مسائل علم المعاني في تفسير

(فتح البيان) للقنوجي

ماجد بن محمد الماجد

قسم اللغة العربية – كلية اللغة العربية – جامعة الملك سعود – الرياض

ملخص البحث:

القرآن منبع البلاغة ومصدر علومها ، وقد كان للمفسرين يد طولى في تلمس مظاهر البلاغة القرآنية، خدمة لكتاب الله – عز وجل – ، وبيانا لإعجازه العظيم .. ومن علماء التفسير الذين عنوا بالبلاغة القرآنية الإمام أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري (ت ١٣٠٧هـ) في تفسيره : (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ويدرس هذا البحث "مسائل علم المعاني" التي تناولها القنوجي في تفسيره . ولقد رغبت في أن أدرس مسائل علم المعاني في تفسير القنوجي لعدة أسباب منها: شرف مادة الكتاب العلمية المتعلقة بالقرآن الكريم ، وبيان جهود العلماء السابقين في دراسة النص القرآني المعجز، ولعناية المؤلف البالغة بمسائل علم المعاني في تفسير كتاب الله – عز وجل – .

منهج البحث:

تتكون خطة البحث من تمهيد، يليه متن البحث، وخاتمة مذيلة بقائمة المصادر والمراجع. وفي المتن تتبعت مسائل علم المعاني في تفسير القنوجي "فتح البيان" ضمن أحد عشراً مبحثا تشمل: اختيار المفردات ، ووحدة التراكيب، وتناص الآيات وتعالقها، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والخبر والإنشاء ، والخروج على مقتضى الظاهر، والوصل والفصل، والإيجاز والإطناب، وتناسب المعاني، ثم تأتي الخاتمة: وفيها نتائج البحث، ومنها أن القنوجي قد عرج على معظم مسائل علم المعاني في تفسيره ، مفيداً من علماء التفسير والبلاغة وغيرهم ممن كان قبله، ويقتبس من شروحهم، وقد كان يدلي بدلوه ، ويقدم آراءه بين آرائهم.

تعريف البلاغة :

أورد القنوجي تعريفات موجزة للبلاغة، تحيط بما ذكره علماء البلاغة ، فقال: (البلاغة إيصال المعنى إلى الفهم في أحسن صورة من اللفظ، وقيل حسن العبارة مع صحة المعنى، وقيل سرعة الإيجاز مع الإفهام وحسن التصرف من غير إضجار. وقيل ما قل لفظه وكثر معناه، وقيل ما طابق لفظه معناه ولم يكن لفظه إلى السمع أسبق من معناه إلى القلب)[1] . وتعريف القنوجي للبلاغة يكاد يشمل ما انتهى إليه البلاغيون[2].

وأما تصور القنوجي عن بلاغة القرآن فيراها في أعلى المراتب، لايداني بيانه بيان، وأن إعجاز الأول في نظمه وتأليفه، كما قرره عبد القاهر الجرجاني والبلاغيون من بعده. قال: (القرآن كلام الله في أعلى طبقات البلاغة والفصاحة لا يشبه كلام الخلق وهو غير مخلوق، ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله، وهو معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب)[3].

المبحث الأول: تخير المفردات :

تخير اللفظة هو أول منازل البلاغة، وأس نظم الكلام، (وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها)[4] .

والنظم القرآني معجز في تراكيبه، وألفاظه متخيرة، فلا توجد كلمة يمكن أن تقوم مقام أخرى في موضع ما، ففي قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ، قال : (فالحكمة في السعي دون الطيران أن ذلك أبعد من الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطيور، أو أن أرجلها سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة)[٥] .

وقد كان هذا دأب القنوجي في الكشف عن سر تخير الكلمات في القرآن الكريم بما يلائم الغرض الذي تدور حوله، بل حينا في تخير الحرف دون غيره ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٩٥]، يقول: (قال هنا "لن" وفي الجمعة "لا" لأن "لن" أبلغ في النفي من "لا" ودعواهم هنا بالغة قاطعة فناسب ذكر "لن" فيها، ودعواهم الجمعة قاصرة مردودة وهي زعمهم أنهم أولياء الله فناسب ذكر "لا" فيها)[٦] .

ومنه مجيء "لن" دون "لا" في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، قال: (وجيء بـ "لن" دون "لا" لأنها أبلغ في النفي)[٧] . ويعلل لتخير صيغة الجمع "ظلمات" على صيغة الإفراد "ظلمة" في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ... ﴾ [البقرة: ١٩]: فيقول: (وإنما جمع الظلمات إشارة إلى أنه انضم إلى ظلمة الليل، ظلمة الغيم والمطر)[٨]. وقد تكون العلة دلالة التقليل في الجمع "معدودات" في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ... ﴾ [البقرة:٢٠٣] ويحتمل أن يكون في هذا الجمع لكونه من جموع القلة إشارة إلى تقليل الأيام أي: قليلات)[٩] . ولاجتماع صيغة الجمع والإفراد معا دلالتها كذلك كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾ [البقرة: ١٦٤]. قال: (وإنما جمع "السموات" لأنها أجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الآخر، ووحد الأرض لأنها كلها من جنس واحد وهو التراب)[١٠] .

وقد يبين ما تختص به الصيغتان من دلالة، كما في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ... ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، قال: (وإفراد "النور" لوحدة الحق، وجمع "الظلمات" لتعدد فنون الضلال)[١١] .

ويعنى ببيان دلالة البناء الصرفي للفظة كما في قوله تعالى : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] ، قال : (التشديد يدل على العلم والتعليم، والتخفيف إنما يدل على العلم فقط، ويؤيد الأولى: "وبما كنتم تدرسون")[١٢] ، أو بيان ما في دلالة اللفظ من معنى خاص كما في قوله تعالى : ﴿ ..وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران :١٨١] ، قال : (وإطلاق الذوق على إحساس العذاب فيه مبالغة بليغة)[١٣] . وكدلالة التفخيم في صيغة المبالغة " فعَّل" في قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران:٣] ، قال: (صيغة التفعيل للدلالة على التفخيم)[١٤] . وقد يتلمس في صيغة المبالغة تشديداً وتهويلا كما في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٨] ، قال: (المجيء بصيغة المبالغة في "شهيد" يفيد مزيد التشديد والتهويل)[١٥] .

كما يعلل لتخير الصيغ الصرفية ومجيء صيغة مخصوصة منها، ومنه قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:٩]، قال "فإن مجيء "يخادعون" على (صيغة "فاعل" تفيد الاشتراك في أصل الفعل... فكأنه خادعهم ... كما خادعوه بإظهار الإسلام وإبطان الكفر مشاكلة لما وقع منهم بما وقع منه.)[١٦]. ومنه تخير صيغة المصدر على غيرها في قوله تعالى: (وهو كره لكم)، قال: (وفي التعبير بالمصدر وهو كره مبالغة)[١٧]. والتغاير بين

صيغتي "كسبت" و"اكتسبت" في قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقد (كرر "فعل" وخالف بين التصريفين تحسيناً للنظم)(١٨). ويمكننا القول أن التغاير هنا مقصود وليس تحسينا للنظم فحسب، بل كل نفس لها جميع ما تكسبه من الحسنات، بأدنى فعل منها، ولذا عبر بالفعل "كسب" فقال: "لها ما كسبت"، أما الإثم والوزر فلا يكتب عليها إلا ما تعمدت فعله، ولذا عبر عنها بالفعل "اكتسب" فقال: "وعليها ما اكتسبت"؛ لأن صيغة "افتعل" تدل على الاجتهاد في طلب الفعل. وتغاير صيغتي: "اصبروا" و"صابروا" في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، قال: (وخص المصابرة بالذكر بعد أن ذكر الصبر لكونها أشد منه وأشق وأكمل وأفضل من الصبر على ما سواه)(١٩).

وتخير اللفظ دون مرادفه، كما في قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ [البقرة: ٢٥٦] قال: (وأصل "الغي" بمعنى الجهل، إلا أن الجهل في الاعتقاد، والغيّ في الأعمال، وهذا استئناف يتضمن التعليل لما قبله)(٢٠). ومنه تخير "خلق" دون مرادفاتها في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، قال: (وعبر هنا بالخلق وفي قصة يحيى بالفعل لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ، وكان الخَلْقُ المبنيُّ على الاختراع أنسب بهذا الكلام من مطلق الفعل)(٢١).

وحينا يعلل للتعبير بلفظ دون آخر لما بينهما من التلازم، فقد عبر بـ "تنسون" دون "تتركون" في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ...﴾ [البقرة: ٤٤]، قال: (عبر عن الترك بالنسيان؛ لأن نسيان الشيء يلزمه تركه، فهو من استعمال الملزوم في اللازم أو السبب في المسبب)(٢٢). وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال: (عبر بالأيدي عن الأنفس؛ لأن بها البطش والحركة)(٢٣).

ويأتي اللفظ حينا لمناسبته المقام كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم...﴾ [النساء: ٤٧]، قال: (.. والمقصود هنا بيان خطئهم في عدم إيمانهم بالقرآن، وهو مصدق لجميع التوراة فتناسب التعبير هنا بإيتائهم الكتاب)(٢٤).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] قال: (ولم يقل: "نبي الله" أو "رسول الله"، لأنه من أحب الأسماء إلى النبي – ﷺ –، ولأنه لما كان واقعاً في كلامه – ﷺ – عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع)(٢٥).

وترد اللفظة حينا لمناسبتها أفهام المخاطبين وتقريب المعنى لهم، كما في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال: (واستدعاء الفرض من الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه... شبه عطاء المؤمن ما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض)(٢٦).

وقد يتخير اللفظ والغاية تجنب التكرار كما في مجيء "أوتي" بدلا من "أنزل" في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ [البقرة: ١٣٦]، قال: (وعبر بالإيتاء دون الإنزال فراراً من التكرار الصوري الموجب للثقل في العبارة)(٢٧). أو لتجنب ما يستكره كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]. قال: (ولم يقل "قلباكما"؛ لأن العرب تستكره الجمع بين تثنيتين في لفظ واحد)(٢٨).

وقد يكون في تخير اللفظة خروج على مقتضى الظاهر لنكتة بلاغية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾ [آل عمران: ١٠٩] ، قال: (وعبر بـ "ما" تغليباً لغير العقلاء على العقلاء لكثرتها ،أو تنزيل العقلاء منزلة غيرهم إظهاراً لحقارتهم في بيان مقام عظمته تعالى)(٢٩). ومنه صيغة الجمع في قوله تعالى : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ...﴾ [البقرة: ١٥١] ، قال: (والتعبير بصيغة التكلم الدالة على العظمة بعد التعبير بالصيغة التي لا دلالة لها عليها من قبيل التفنن وجرياً على سنن الكبراء)(٣٠) .

ويشير القنوجي إلى تخير مخصوص للفظ الواحد في سياقين متقابلين ، كما في قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣] ، فجاءت "سيق" في سياق المؤمنين ، وسياق الكافرين ، قال : (وهذا من بدائع أنواع البديع ، وهو أن يأتي الله – سبحانه وتعالى – بكلمة في حق الكفار فتدل على هوانهم وعقابهم، ويأتي بتلك الكلمة بعينها وهيئتها في حق المؤمنين فتدل على إكرامهم بحسن ثوابهم)(٣١).

ويدق النظر البلاغي عند القنوجي ، فيتلمس لتخير الحرف عللا بلاغية لطيفة ، ومنه اختيار "ما" بدلاً عن "من" لما فيها من الإبهام في قوله تعالى : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:٢]، قال : (ومعناه أنتم لا تعبدون معبودي، فالمقصود المعبود لا العبادة، ولا يصح في النظم البديع والمعنى الرفيع إلا لفظ "ما" لإبهامها ومطابقتها الغرض الذي تضمنته الآية)(٣٢) . ويمكننا القول أن "ما" و"من" اسمان موصولان مشتركان، والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة كلها مبهمة، وليس الإبهام خاصاً بـ"ما" أوبـ"من"، ولكنه عبر بـ"ما" عن الأصنام؛ لأنها لاتعقل، وأما "من" فهي في الأصل للعقلاء . ومنه دلالة "أو" في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٣٩]، قال: ("أو" هنا على بابها من الإبهام على السامع، أو للشك، ونزل نفسه منزلة الشاك في أمره تمويها على قومه)(٣٣). ومنه دلالة "ثم" في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ [الجمعة: ٨] ، قال: (ولما كان المقام في البرزخ أمراً مهولاً لا بد منه نبه عليه وعلى طوله بأداة التراخي فقال: (ثم تردون إلى علم الغيب..)(٣٤). ومنه دلالة " السين" في قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٧]، قال : (والسين في الموضوعين للتسويف وهو من الله محقق... وأتى بالسين الدالة على الاستقبال والتأخير لتلطيف في الكلام)(٣٥). ومنه دلالة " التاء" في قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة:١] ، قال : (والتاء فيهما للمبالغة في الوصف)(٣٦). ومنه دلالة "اللام" في قوله تعالى : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٩]، قال : (وإيثار اللام في "للأذقان" على "على" للدلالة على الاختصاص ، فكأنهم خصوا أذقانهم بالخرور)(٣٧) .

ومنه دلالة "الفاء" في قوله تعالى : ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١-٨٢]، قال: (أتى بالفاء في الشق الأول دون الثاني إيذاناً بتسبب الخلود في النار على الشرك، وعدم تسبب الخلود في الجنة عن الإيمان، بل هو بمحض فضل الله تعالى)(٣٨). وعن السر البلاغي لمجيء الفاء في جواب "يسألونك" في سورة "طه" دون غيرها ، قال : (وكل ما جاء في القرآن من السؤال أجيب عنه بـ"قل" بلا "فاء" إلا في "طه": ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[طه: ١٠٥] ؛ لأن الجواب في الجميع كان بعد وقوع السؤال وفي "طه" كان قبله إذ تقديره : "إن سئلت عن الجبال فقل")(٣٩) .

المبحث الثاني – وحدة التراكيب :

امتاز النص القرآني المعجز بترابط تراكيبه، وحسن انتظامها، بحيث تتناسب معانيه، وتأتلف أجزاؤه، منزه عن

الحشو والإخلال، وقد عني القنوجي ببيان الدلالات البلاغية للتراكيب القرآنية التي توحي بها من خلال السياق والموقف الذي ترد فيه، ومن أهم التراكيب التي تناولها القنوجي : تركيب الجملة الاسمية ، ومنه ورود الاسمية دون الفعلية ، في قوله تعالى : ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣]، قال: (قال: "أم أنتم صامتون" مكان "أو صمتم" لما في الجملة الاسمية من المبالغة في عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر)[٤٠]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] ، قال : (نفى عنهم الإيمان، بالكلية في جميع الأزمنة كما تفيده الجملة الاسمية ففيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره)[٤١]. ومنه قوله تعالى: ﴿... فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] ، قال: (وجاءت الحال جملة اسمية ؛ لأنها أبلغ وآكد، ولو قيل "إلا مسلمين" لم يفد هذا التأكيد)[٤٢] . ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة: ٢١٤] ، قال: (وفي إيثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه، والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره مالا يخفى)[٤٣] . ومنه قوله تعالى : ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٥]، قال: (وفي إيراد الشق الثاني بالجملة الاسمية الدالة على الثبات إيذان برجحانه عندهم)[٤٤] ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، قال: (أي: "عليكم سلام"والعدول إلى الرفع لقصد إفادة الجملة الاسمية للدوام والثبات، بخلاف الفعلية فإنها لمجرد التجدد والحدوث... ولهذا سلام إبراهيم أبلغ من سلام الملائكة)[٤٥]. ومنه جملة الخبر الإنكاري التي تتناسب والحال كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦] ، قال : (فأجابوهم بإثبات رسالتهم بكلام مؤكد تأكيداً بليغاً لتكرر الإنكار ... فأكدوا الجواب بالقسم الذي يفهم من قولهم: ربنا يعلم، وبإن، وباللام)[٤٦]. وتارة يعلل لأسلوب الخبر الإنكاري المؤكد باليمين كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧]، قال: (أكد الإخبار باليمين، فإن قلت: ما معنى اليمين على شيء أنكروه، قلت: هو جائز؛ لأن التهدد به أعظم موقعاً في القلب، فكأنه قيل لهم: ما تنكرونه كائن لا محالة)[٤٧]. ومنه دلالة التأكيد في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة ١٣٠] : قال : (و"إنه في الآخرة" أمر مغيب فاحتاج الإخبار به إلى فضل تأكيد)[٤٨].

وللسياق دلالته عند القنوجي في فهم المعنى المراد، ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء : ١٠٧]، حين جاء الضمير في "قبله" بلا عائد مذكور ، قال : (الضمير يرجع إلى القرآن لدلالة السياق على ذلك)[٤٩].

وأما الجملة الفعلية فلها مقامها ودلالتها التي تختص بها ومنها التجدد كما في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة : ١٥]، قال : (أي ينزل بهم الهوان والحقارة ... فسمَّى الجزاء باسمه، لأنه في مقابلته ، وإنما قال : "يستهزئ" لأنه يفيد التجدد وقتاً بعد وقت وهو أشد عليهم وأنكى لقلوبهم وأوجع لهم من الاستهزاء الدائم الثابت المستفاد من الجملة الاسمية)[٥٠].

وعن الدلالات المعجزة في تركيب الجملة الفعلية في الآية الكريمة : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة: ٦] قال: (لم يقل "نستهدي" أو "نطلب الهداية" حتى يصح أن يكون ذلك الضمير المتقدم المنصوب معمولاً له تقديراً، لكن مع بقاء المخاطبة وعدم الخروج عما يقتضيه لم يقطع النظر عن ذلك الضمير الواقع على تلك الصورة لتوسطه بين هذا الفعل، أعني "اهدنا" وبين من أسند إليه ثم في ضمير الجماعة

معنىً يشير إلى استحقاقه سبحانه إخلاص التوحيد... ثم في كون هذه الهداية هي هداية الصراط المستقيم التي هي الهداية، بالحقيقة، ولاعتبار بهداية إلى صراط لا استقامة فيه، معنى ثالث يشير إلى ذلك المدلول)[٥١].

ولكل فعل زمنه دلالاته كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، قال: ("آمنوا" يفيد الماضي و"عملوا" يفيد المستقبل، فكأنه قال آمنوا ثم داموا عليه آخراً)[٥٢].

ومن التراكيب التي عرض لها القنوجي تركيب الإضافة، كما في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، قال: (لفظ "مالك" معناه الإفرادي من غير نظر إلى معناه الإضافي، يفيد استحقاقه بإخلاص توحيده، ثم في معناه الإضافي إلى يوم الدين معنى ثان)[٥٣].

وعن دلالة التركيب المقيد يقول القنوجي في قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]: (والوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير، وإذا قيد فقد يقيد تارة بالخير وتارة بالشر ومنه قوله تعالى: ﴿... النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢]، ومنه أيضاً ما في هذه الآية من تقييد وعد الشيطان بالفقر وتقييد وعد الله سبحانه بالمغفرة والفضل)[٥٤]. ومن التراكيب ما هو مضاعف الدلالة كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، قال: (أي: لا يرضى بفعلهم ولا يغفر لهم، ونفي المحبة كناية عن البغض والسخط)[٥٥].

ولبعض تراكيب القرآن الكريم دلالات لطيفة عند القنوجي كما في جملة: "لا أجد ما أحملكم عليه" في قوله تعالى: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ...﴾ [التوبة: ٩٢]، قال: (وفي إيثار هذا التعبير على "ليس عندي" لطف في الكلام وتطييب لقلوب السائلين، كأنه قال: أنا أطلب ما تسألونه وأفتش عنه فلا أجده، فأنا معذور)[٥٦].

ولتركيب النكرة في سياق النفي دلالته البلاغية، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ [البقرة: ١٠٥]، قال: (أيُّ خير كان، فهو لا يختص بنوع معين كما يفيده وقوع هذه النكرة في سياق النفي، وتأكيد العموم بدخول "من" المزيدة عليها، وإن كان بعض أنواع الخير أعظم من بعض فذلك لا يوجب التخصيص)[٥٧].

ويتلمس القنوجي في التراكيب القرآنية دلالات تعريضية خفية كما في قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]، فيقول: (خطاب للنبي - ﷺ - وهو تعريض للأمة أي لا يكن أحد من أمته من الممترين... وفيه كناية وهي أبلغ من التصريح)[٥٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، قال القنوجي: (وفي نفي كونه من المشركين تعريض باليهود لقولهم: "عزير ابن الله"، وبالنصارى لقولهم "المسيح ابن الله"، أي أن إبراهيم ما كان على هذه الحالة التي أنتم عليها من الشرك بالله، فكيف تدَّعون عليه أنه كان على اليهودية أو النصرانية، وتدَّعون أنكم على ملته ؟!)[٥٩].

ومن نظرات القنوجي في بلاغة التركيب حديثه عن غايات بلاغية في إسناد الضمائر للفعل: "أراد" في قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم...﴾ [الكهف: ٧٩] فأردت ... وفي قوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا﴾ [الكهف: ٨١] فأردنا... وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا...﴾ [الكهف: ٨٢] (فأراد ربك)، قال (وإنما ذكر أولاً: "فأردت" لأنه إفساد في الظاهر وهو فعله، وثانياً: "فأردنا" لأنه إفساد من حيث الفعل، إنعام من حيث التبديل،

وثالثاً: "فأراد ربك" لأنه إنعام محض وغير مقدور للبشر)[٦٠].

ومنه التأكيد بالمصدر في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الاسراء: ١٢]، قال: (وإنما ذكر المصدر وهو قوله: "تفصيلاً" لأجل تأكيد الكلام وتقريره، فكأنه قال: فصلناه حقاً على الوجه الذي لا مزيد عليه)[٦١].

المبحث الثالث - تناص الآيات وتعالقها:

ويعنى القنوجي ببيان التناص بين آيات الكتاب العزيز، وترابط معانيها، وتعالق دلالاتها، فبعضها آخذ بعضها، ومنه التعالق بين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨]. وقوله تعالى: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ...﴾ [المائده ١١٦] قال: (توجيه السؤال إليها لإظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كأنه لا يستحق أن يخاطب ويسأل عن ذلك، وفيه تكبيت لقاتلها وتوبيخ له شديد بصرف الخطاب كقوله: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ وهذه الطريقة أفظع في ظهور جناية القاتل وإلزام الحجة عليه)[٦٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، قال: (الخطاب لكفار مكة والمقصود به التوبيخ لهم والتبكيت؛ لأن من قدر على خلق السماء التي لها هذا الجرم العظيم .. كيف يعجز عن إعادة الأجسام التي أماتها بعد أن خلقها أول مرة. ومثل هذا قوله سبحانه: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١][٦٣]. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾ [فاطر: ٢٨]، قال: (وهو من تتمة قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ...﴾ [فاطر: ١٨] على معنى إنما يخشاه - سبحانه - بالغيب العالمون به، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة)[٦٤].

المبحث الرابع - الحذف والذكر:

ذكر عناصر التركيب هو الأصل في الكلام، ولا يعدل عنه إلى الحذف إلا لقرينة تدل عليه، ويترجح الذكر لأغراض بلاغية نص عليها البلاغيون[٦٥]، ومن الأغراض التي أوردها القنوجي في تفسيره:

- **الذكر للتعظيم**: ومنه ذكر "الصلاة" في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ...﴾ [البقرة: ٤٥] قال: (وأفرد الصلاة بالذكر تعظيماً لشأنها)[٦٦]. ومنه ذكر "الله" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:٩] قال: (وإظهار الاسم الجليل لإبراز كمال التعظيم والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب)[٦٧].

- **الذكر للشرف**: ومنه ذكر "الوجه" في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ..﴾ [البقرة: ١١٢]، قال: (أخلص وخص الوجه بالذكر لكونه أشرف ما يرى من الإنسان، ولأنه موضع السجود، ومجمع الحواس والمشاعر الظاهرة وفيه يظهر العز والذل)[٦٨]. ومنه ذكر "النخيل" و"الأعناب" في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، قال: (وخص النخيل والأعناب بالذكر مع قوله: "لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ" لكونهما أكرم الشجر وأشرف الفواكه جامعين لفنون المنافع)[٦٩]. وقريب منه غرض التشريف كذكر "الصلاة الوسطى" في قوله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال: (وأفرد الصلاة الوسطى بالذكر بعد دخولها في عموم الصلوات تشريفاً لها)[٧٠]. ومنه ذكر "الفرقان" في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٤]، قال: (وكرر ذكره تشريفاً له مع ما يشتمل عليه هذا الذكر الآخر من الوصف له بأنه يفرق بين الحق والباطل)[٧١].

- **الذكر للأولى**: كما في قوله تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الروم:٨٣]، قال: (ووجه

تخصيص الأصناف الثلاثة بالذكر أنهم أولى من سائر الأصناف ولكون ذلك واجباً لهم على كل من له مال فاضل عن كفايته وكفاية من يعول."(٧٢). ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦] ، قال: (وخص هؤلاء بالذكر لأنهم أخص القرابة وأولاهم بالحنو والرأفة)(٧٣). ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، قال: (خص سبحانه حالة الكبر بالذكر لكونها إلى البر من الولد أحوج من غيرها)(٧٤).

– **الذكر للشهرة** : ومنه ذكر الأبناء في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ...﴾ [البقرة : ١٤٦]، قال : (وخص الأبناء دون البنات أو الأولاد لأن الذكور أعرف وأشهر وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق)(٧٥) .

– **الذكر للإظهار والتفخيم** : ومنه قوله تعالى : ﴿مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...﴾ [البقرة : ١٦٥] قال : (إظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف، وإبانة كمال قبح ما ارتكبوه)(٧٦) .

– **الذكر للبيان** : كما في قوله تعالى : ﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا ...﴾ [البقرة : ٢٨٢]، قال : (إظهارٌ في مقام الإضمار لزيادة الكشف والبيان، لا لأن الأمر والنهي لغيره)(٧٧).

– **الذكر للتأكيد** : ومنه ذكر "قلبه " في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة : ٢٨٣]، قال: (خص القلب بالذكر لأن الكتم من أفعاله، وإسنادُ الفعل إلى الجارحة التي تعمله أبلغ)(٧٨) – الذكر للتحذير والتخويف: ومنه الجمع بين "الله" و"ربه" في قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، قال: (وفيه مبالغات من حيث الإتيان بصيغة الأمر الظاهرة في الوجوب، والجمع بين ذكر الله والرب وذكره عقب الأمر بأداء الدَّيْن، وفيه من التحذير والتخويف مالا يخفى)(٧٩) .

– **الذكر بالتلميح** في قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ٧١-٧٢] قال : (ولم يذكر أصحاب الشمال تصريحاً ولكنه ذكر سبحانه ما يدل على حالهم القبيح فقال : "ومن كان في هذه أعمى ...")(٨٠) .

– **الحذف** : الحذف إسقاط جزء من الكلام لدليل ، وفي كل حذف محذوف مقدر يفهم من السياق، والحذف خلاف الأصل، إذا الأصل هو الذكر ، ولايرد الحذف في القرآن الكريم إلا وهو أبلغ من الذكر(٨١) ، ومن أنواع الحذف التي أوردها القنوجي للحذف في تفسيره :

– **حذف الخبر** في قوله تعالى : ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣] قال: (الخبر محذوف أي "أولى وأمثل")(٨٢). ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ...﴾ [البقرة: ١٧٦] قال: (خبر اسم الإشارة محذوف والتقدير: "ذلك معلوم" والمراد بالكتاب هنا القرآن أو التوراة والحق الصدق)(٨٣).

– **حذف الفعل** كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي...﴾ [البقرة : ٢٦٠] قال: ("إذ" ظرف منصوب لفعل محذوف أي : "اذكر وقت قول إبراهيم"، وإنما كان الأمر بالذكر موجهاً إلى الوقت دون ما وقع فيه مع كونه المقصود لقصد المبالغة؛ لأن طلب وقت الشيء يستلزم طلبه بالأولى)(٨٤) – حذف الفاعل في قوله تعالى : ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، قال : (وفاعله محذوف أي: ظلمه للعالمين)(٨٥). ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]، قال : (وفاعل "ألقي" محذوف ... لجهلها به إن لم تكن شاهدته ، ... أو لاحتقاره إن كانت رأته)(٨٦) .

– **حذف المفعول** في قوله تعالى : ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، قال: (فلو شاء هدايتكم جميعاً إلى الحجة البالغة لهداكم أجمعين" ولكنه لم يشأ ذلك) (٨٧).

– **حذف المضاف** في قوله تعالى: ﴿جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران:٩]، قال (أي "لحساب يوم" أو "لجزاء يوم" على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه)(٨٨).

ومنه قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] قال : (لما نفّر عباده عن الميل إلى الدنيا بما ضربه لهم من المثل السابق، رغبهم في الدار الآخرة بإخبارهم بهذه الدعوة منه عزَّ وجلَّ إلى دار السلام)(٨٩).

– **حذف جواب الشرط** : ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ [البقرة : ١٦٥] قال : (وجواب "لو" محذوف أي : "لتبينوا ضرر اتخاذهم الآلهة" كما حذف في قوله : "ولو ترى إذ وقفوا على النار"، "ولو ترى إذ وقفوا على ربهم")(٩٠) .

وقد يرد حذفه مع الاستفهام الإنكاري كما في قوله تعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ...﴾ [البقرة : ١٧٠] قال : (الهمزة للإنكار والواو إما للحال أو للعطف، وجواب "لو" محذوف ... وتقديره: "لا تبعوهم")(٩١) .

– **حذف الموصول**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤] (أي و"ما بث" وفيه زيادة فائدة وهو جعله آية مستقلة وحذف الموصول شائع في كلام العرب)(٩٢).

– **حذف المتعلقات لغرض التعميم**: ومنه قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] قال : (حذف المتعلق مشعر بالتعميم أي: في جميع الأوامر والنواهي)(٩٣).

ومنه قوله تعالى : ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] قال : (وحُذفَ متعلق الأفعال الثلاثة أي: يدعون ويأمرون وينهون لقصد التعميم)(٩٤).

– **حذف المخصوص** في قوله تعالى : ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨]، قال : (التقدير: "ما مهدوا لأنفسهم في جهنم بكفرهم" أو "ما مهد الله لهم من النار"، فالمخصوص محذوف وهو هذا المقدر "أي بئس المنزل")(٩٥). ومنه قوله تعالى : ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٦] قال : (والمخصوص بالمدح محذوف أي : الجنة)(٩٦) .

– **حذف الجملة** كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٨١] قال : (وقيل في الكلام حذف والمعنى: "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ليعلمن الناس ما جاءهم من كتاب وحكمة وليأخذن على الناس أن يؤمنوا..." ودل على هذا الحذف قوله : ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾(٩٧) . ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦] قال : (هذا إضراب عن كلام مقدر يدل عليه السياق وينساق إليه الكلام أي أنتم لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات الفانية العاجلة.")(٩٨) .

– **حذف الحرف للاستخفاف**: ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ [النساء:٤٠] قال: (وسقوط النون لكثرة الاستعمال تشبيهاً بحروف اللين لأنها ساكنة فحذفت استخفافاً)(٩٩).

المبحث الخامس – التعريف والتنكير :

وهما من مباحث الإسناد في البلاغة العربية ، ولكل منهما مواضعه.

أ – التعريف :

هو الدلالة على معين، أي أن في اللفظ ما يشير إلى أن السامع يعرفه، والتعين في التعريف إما أن يكون باللفظ ذاته كما في الأعلام، وإما بقرينة خارجية كما في غيره من بقية المعارف(١٠٠)، ومن أنواع التعريف التي أوردها القنوجي:

– **التعريف بالعلمية** : ومنه قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] قال: (وأبولهب اسمه عبدالعزى بن عبد المطلب، وذكره سبحانه بكنيته لاشتهاره بها، ولكون

في هذه الكنية ما يدل على أنه ملابسٌ للنار)[١٠١].

– **التعريف** بـ (أل): ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ [الأعراف: ١٣١] قال: (ووجه تعريف الحسنة أنها كثيرة الوقوع وتعلق الإرادة بإحداثها)[١٠٢].

– **التعريف باسم الإشارة**: ومنه قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ...﴾ [البقرة: ٥]، قال: (وفيه من البعد للإشعار بعلو درجتهم ورفعة مرتبتهم في الفضل)[١٠٣].

ومنه التعريف بـ "ذلك" في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢] قال: (والإشارة بقوله: "ذلك بما قدمت أيديكم" إلى العذاب المذكور قبله، وأشار إلى القريب بالصيغة التي يشار بها إلى البعيد للدلالة على بعد منزلته في الفظاعة)[١٠٤]. ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ٢] قال (أي: القرآن ... والعرب قد تستعمل الإشارة إلى البعيد الغائب، مكان الإشارة إلى القريب الحاضر. ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [السجدة: ٦] وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام: ٨٣][١٠٥]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٦٤]، قال: (وفي "هذه" تصغير للدنيا وازدراء بها)[١٠٦]. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، قال: (الإشارة إلى يوسف والخطاب للنسوة. وقيل الإشارة إلى الحب فالضمير له، والمعنى فذلك الحب الذي لمتنني فيه هو ذلك الحب)[١٠٧].

– **التعريف بالإضافة**: ومنه قوله تعالى: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، قال: (ولم يقل: "ابنك" إشارة إلى أنه يكنى بهذه الكنية المشتملة على الإضافة للظاهر)[١٠٨]. ومنه التعريف بالمضاف إليه كما في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قال: (في "مالك يوم الدين" زيادة إحاطة وشمول، فإن ذلك الملك إذا كان في يوم الدين الذي يشتمل على كل دين كان من له هذا الملك حقيقاً بأن يخلص العباد توحيده ويفردونه بالعبادة كما تفرد بملك يوم له هذا الشأن)[١٠٩]. ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا...﴾ [الكهف: ٨٢]، قال (وأضاف الرب إلى ضمير موسى تشريفاً له)[١١٠]، ومنه قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ...﴾ [الهمزة:٦]، قال (وفي إضافتها إلى الاسم الشريف تعظيم لها وتفخيم)[١١١].

– التعريف بالاسم الموصول ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ [يوسف: ٢٣]، قال: (ولم يقل "امرأة العزيز" أو "زليخا" قصداً إلى زيادة التقرير، فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك. ولإظهار كمال نزاهته – عليه السلام – فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكها ينادي بكونه في أعلى معارج العفة والنزاهة، والعدول عن اسمها للمحافظة على الستر أو للاستهجان بذكرها)[١١٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البروج: ٩]، قال: (ثم وصف سبحانه بما يدل على العظم والفخامة فقال: (الذي له ملك السموات والأرض)[١١٣]. ومنه قوله تعالى: ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤]، قال (وفي هذه العبارة تهويل للأمر الذي غشاها به وتعظيم له)[١١٤].

ب – التنكير:

وكما أن للتعريف مواضعه، فللتنكير مواضعه أيضاً، ومن مواضع التنكير التي أوردها القنوجي في تفسيره:

– **التنكير للتكثير**: ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ...﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قال: (والتنكير للتكثير أي: وجوه كثيرة)[١١٥]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[فاطر:٤]، قال: (نكّر "رسلاً" أي: رسل ذوو عدد كثير، وأولو آيات ونذر)[١١٦].

– **التنكير للتعظيم**: ومنه قوله تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، قال: (والتنوين للتعظيم

أي: "رجعوا متلبسين بنعمة عظيمة" وهي السلامة من عدوهم)[117]. ومنه قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾ [التوبة: ٢١]، قال: (التنكير في الثلاثة - "رحمة"، "رضوان"، "جنات" - للتعظيم)[118]. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ﴾ [البقرة : ٢٤٣]، قال: (التنكير للتعظيم أي: لذو فضل عظيم)[119]. ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة : ٢٦٩] قال: (والتنكير للتعظيم)[120]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ [النمل: ٥٨] ، قال : (وهذا التأكيد يدل على شدة المطر، وأنه غير معهود)[121]. ومنه قوله تعالى : ﴿فِيهِ شِفَاءٌ﴾ [النحل: ٦٩]، قال: (وتنكيره إن أريد به التعظيم لا يدل إلا على أن فيه شفاء عظيماً لمرض أو أمراض لا لكل مرض)[122].

- **التنكير للتحقير** : ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ [البقرة : ٩٦]، قال : (وتنكير "حياة" للتحقير أي : أنهم أحرص الناس على حقير حياة وأقل لبث في الدنيا)[123]. ومنه قوله تعالى : التنكير للتحقير ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧]، قال: (وتنكير الجوع للتحقير)[124].

- **التنكير للتعميم** : ومنه قوله تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ...﴾ [آل عمران:١٩٥]، قال : ("من" بيانية مؤكدة لما تقتضيه النكرة الواقعة في سياق النفي من العموم)[125].

- **التنكير للتفخيم** : ومنه قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة : ٥] ، قال : (والإبهام المفهوم من التنكير في "هدى" لكمال تفخيمه أي "على هدى أيَّ هدى"، لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره)[126]. ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران :١٥] ، قال : (أي بما هو خير لكم من تلك المستلذات ومتاع الدنيا وإبهام الخير للتفخيم)[127]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج :٣] ، قال : (لم يعرفا بلام العهد لأن التنكير أدل على التفخيم والتعظيم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة : ١٦٣]. وقد يأتي التنكير لأكثر من غاية ومنه قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس : ٦] قال : (يريد جميع ما خلق من الإنس والجن، التنكير للتفخيم أو للتكثير)[129] .

- **التنكير للتهويل** : ومنه قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾ [البقره: ٢٨١] ، قال : (هو يوم القيامة وتنكيره للتهويل)[130] .

- التنكير للتقليل : ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ...﴾ [الأعراف:١٣١]، قال : (ووجه تنكير السيئة ندرة وقوعها وعدم القصد لها إلا بالتبع)[131]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]، قال: (وإن أدنى رضوان الله لا يساويه شيء من اللذات الجسمانية)[132]. ومنه قوله تعالى : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة : ١٧٨]، قال : (فتنكير "شيء" للتقليل، فيتناول العفو من الشيء اليسير من الدية، والعفو الصادر عن فرد من أفراد الورثة)[133]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ...﴾ [الأنبياء: ٤٦]، قال: (أي: ولئن مسهم أقل شيء من العذاب، وفيه مبالغات ثلاث: ذكر المسِّ، وما في النفحة من معنى القلة، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء، والبناء الدال على المرَّة)[134] .

- التنكير للتشديد كما في قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٥٠] ، قال : (وفي "وكفى به إثما..." من تعظيم الذنب وتهويله مالا يخفى أي : "كفى بالافتراء وحده" ...، والتنكير في "إثماً" للتشديد)[135] .

المبحث السادس - التقديم والتأخير :

للكلمات في التركيب رتبة معينة ، وترتيب خاص قد يكون ملزماً كتقديم الموصوف على الصفة، والمضاف على المضاف

إليه، وقد يكون اختياراً كتقديم الخبر على المبتدأ، والنوع الاختياري وثيق الصلة بمباحث البلاغة، وبه تتفاضل التراكيب الأسلوبية ، وقد بين البلاغيون المواضع التي يحسن فيها تقديم وتأخير كل عنصر من عناصر التركيب[١٣٦] ومن المواضع التي بين القنوجي ما فيها من تقديم بلاغي :

التقديم والتأخير من المباحث المهمة في البلاغة العربية، والغالب أن يقدم المسند إليه في الجملة الاسمية، ويقدم المسند في الجملة الفعلية، وربما حصل تقديم وتأخير لأغراض بلاغية، ومن مواضع التقديم التي أوردها القنوجي في تفسيره :

– التقديم للاختصاص كما في تقديم المفعول في قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة :٥] ، قال : (تقديم الضمير معمولاً للفعل الذي بعده يفيد اختصاص العبادة به، ومن اختص بالعبادة فهو الحقيق بإخلاص توحيده)[١٣٧]. ومنه تقديم الضمير المنفصل في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، قال : (أي : تخصونه بالعبادة وتقرون بأنه إلهكم لا غيره كما يفيد تقديم المفعول)[١٣٨] . ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة : ٤٠] قال : (وتقديم معمول الفعل يفيد الاختصاص)[١٣٩]. وقد يجتمع مع الاختصاص التهكم كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة : ٥٧] قال : (وتقديم الأنفس يفيد الاختصاص وفيه ضرب تهكم)[١٤٠]. ومنه تقديم المفعول في قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، قال: (وتقديم المفعول لأنه المقصود بالإنكار)[١٤١]. ومنه تقديم الخبر في قوله تعالى : ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة : ٢٦٢]، قال (وتقديم الخبر يفيد اختصاص ذلك الأجر بهم)[١٤٢]. ومنه تقديم الظرف في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة : ٢٦٧] قال : (وتقديم الظرف يفيد التخصيص)[١٤٣]. ومنه قوله تعالى : ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤] قال: (وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص)[١٤٤]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، قال: (والتقديم في الموضعين للتخصيص)[١٤٥]. ومنه تقديم الظرف في قوله تعالى : ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]، قال: (وتقديم الظرف – له – يفيد الاختصاص به تعالى من حيث الحقيقة؛ لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه فكان الملك له حقيقة دون غيره، ولأن أصول النعم وفروعها منه تعالى فالحمد له بالحقيقة)[١٤٦] .

– التقديم للحصر : ومنه تقديم الظرف في قوله تعالى : ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة : ٤] أي بالدار الآخرة ..وفي تقديم الظرف مع بقاء الفعل على الضمير إشعار بالحصر)[١٤٧] .

– التقديم للاهتمام، كما في تقديم الجار والمجرور على فعله في قوله تعالى : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١]، قال : (قدم المجرور على المفعول به اهتماماً بذكر المحل قبل ذكر الحال والرعب)[١٤٨]. ومن التقديم للاهتمام قوله تعالى : ﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ [البقره:٢٨٢]، قال (وقدم الصغير هنا على الكبير للاهتمام لدفع ما عساه أن يقال أن هذا مال صغير أي : قليل لا احتياج إلى كتبه)[١٤٩]. ومنه تقديم "لا " على القسم في قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(النساء: ٦٥): قال (قدم "لا" على القسم اهتماماً بالنفي وإظهاراً لقوته)[١٥٠]. ومنه تقديم الظرف على الفاعل في قوله تعالى: (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [النساء:٤٧] قال: (قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به)[١٥١]. ومنه تقديم المفعول به في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة : ١٤٣]، قال : (وإنما أخر لفظ "على" في شهادة الأمم على الناس وقدمها في شهادة الرسول عليهم؛ لأنهم الغرض... إثبات شهادتهم على الأمم)[١٥٢]. وقد يجتمع غرضان للتقديم ، الاهتمام ورعاية الفواصل ومنه قوله تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة : ٣]، قال : (وتقديم المفعول به للاهتمام به والمحافظة على رؤوس الآي)[١٥٣]. ومنه قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً﴾ [الملك: ١٥] ، قال : (وتقديم "لكم" على مفعولي الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر، فإن ما حقه التقديم إذا أخر ... تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره أفضل تمكن)[١٥٤]. ومنه قوله تعالى : ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [المنافقون:١٠]، قال : (وقدم المفعول على الفاعل للاهتمام)[١٥٥]. ومنه قوله تعالى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص: ٣] قال ، (قدم ذكر نفي الولد مع أن الوالد مقدم للاهتمام ؛ لأجل ما كان يقوله الكفار من المشركين أن الملائكة بنات الله، واليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله، ولم يدع أحد أن له والداً فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال: "لم يلد")[١٥٦] .

– التقديم للعناية بالمقدم والتشويق للمؤخر كما في تقديم الظرف وتأخير المفعول في قوله تعالى : ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران : ٣]، قال: (قدم الظرف على المفعول للاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر)[١٥٧]. ومن التقديم للعناية وحدها قوله تعالى : ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء :٢]، قال: (وتقديم ما يتعلق باليتامى لإظهار كمال العناية بأمرهم وملابستهم للأرحام)[١٥٨]. ومنه تقديم الخبر في قوله تعالى : ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥] قال: (قدم الخبر– سحر – هنا على المبتدأ لأنه الذي وقع في الاستفهام عنه، وتوجيه التوبيخ إليه)[١٥٩].

– التقديم لرعاية الفواصل كما في قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧] قال : (وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص؛ لأن الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول، وهذا جانب المشبه وهم الكفار، وقوله سابقاً: ﴿ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران:١١٧] في جانب المشبه به وهم أصحاب الزرع فلا تكرار)[١٦٠]. ومنه قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة : ٥]، قال : (وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤوس الآي)[١٦١]. وقد يقدم الأبلغ في الفاصلة كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٤٣] "الرؤوف" كثير الرأفة وهي أشد من الرحمة وأكثر منها والمعنى متقارب وقدم الأبلغ للفاصلة)[١٦٢] .

– التقديم للترتيب في الوجود كما في قوله تعالى : ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١]، قال: (وقدّم المأوى على المثوى ، لأنه على الترتيب الوجودي يأوي ثم يثوي.[١٦٣] . ومنه قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ، قال : (علم عباده كيفية الدعاء فمن أراد أن يدعو فليقدم الثناء على الله أولاً ثم يأتي بالدعاء) [١٦٤]. أو للترتيب في القرب كما في قوله تعالى : ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ..﴾ [البقرة : ١٧٧] ، قال: (وقدم ذوي القربى لكون دفع المال إليهم صدقة وصله إذا كانوا فقراء)[١٦٥]. ومنه قوله تعالى: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: (وقدم السِّنة على النوم؛ لكونها تتقدمه في الوجود فهو على حد {لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها}[١٦٦]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، قال : (وإنما قدم الليل على النهار لأن الظلمة أقدم)[١٦٧].

أو للترتيب في الرتبة كما في قوله تعالى : ﴿مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾ [البقرة : ٨]، قال :

(ذكر سبحانه في أول هذه السورة المؤمنين الخلص، ثم ذكر بعدهم الكفرة الخلص، ثم ذكر ثالثاً المنافقين في الآيات الثلاث عشرة وهم الذين لم يكونوا من إحدى الطائفتين، بل صاروا فرقة ثالثة؛ لأنهم وافقوا في الظاهر الطائفة الأولى، وفي الباطن الطائفة الثانية)[١٦٨].

أو للترتيب في الأولية كما في قوله تعالى: ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة : ١٨٠] (قدمهما لوجوب حقهما على الولد؛ لأنهما السبب في وجوده .. وانظر إلى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الإنفاق كيف فصله ثم أتبعه بالإجمال فقال: {وما تفعلوا من خير}[١٦٩]. ومنه قوله تعالى: ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة : ١٣٦] قال : (وقدم إسماعيل على إسحاق؛ لأنه أسبق منه في الولادة بأربع عشرة سنة)[١٧٠]. ومنه قوله تعالى : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠] ، قال : (وذكر الأنهار عقب الجبال لأن معظم عيون الأنهار وأصولها تكون من الجبال)[١٧١] .

– تقديم الوسيلة على الطلب : ومنه قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :٥] ، قال : (وقدمت العبادة على الاستعانة ... لكون الأولى وسيلة إلى الثانية، وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب)[١٧٢]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ...﴾ [البقرة : ٢٨٥] قال : (وقدم السمع والطاعة على طلب المغفرة؛ لكون الوسيلة تتقدم على المتوسل إليه)[١٧٣] .

– التقديم للكثرة كما في قوله تعالى : ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ...﴾ [آل عمران :١٤] : (بدأ بالنساء لكثرة تشوق النفوس إليهن والاستئناس والالتذاذ بهن؛ لأنهن حبائل الشيطان وأقرب إلى الافتتان)[١٧٤]. ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] ، قال : (وقدم الأموال على الأولاد لأن فتنة المال أكثر)[١٧٥]. ومنه قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن:٢] ، قال : (وقدم الكافر على المؤمن لأنه الأغلب عند نزول القرآن)[١٧٦] .

– التقديم للتهديد كما في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] قال: (ففيه وعد ووعيد خلا أن في تقديم المفسد مزيد تهديد وتأكيد للوعيد)[١٧٧] –

التقديم للاستبعاد كما في قوله تعالى : ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة : ٢٥٩] ، قال : (وتقديم المفعول لكون الاستبعاد ناشئاً من جهته لا من جهة الفاعل)[١٧٨].

– التقديم للأفضلية كما في قوله تعالى : ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ﴾ [الأنعام:٩٩]، قال : (وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الأفضلية؛ لأن حاجة الناس إليه أكثر. لأنه القوت المألوف)[١٧٩]. ومنه تقديم صدقة الليل على صدقة النهار في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة : ٢٧٤]، قال : (وفي الآية إشارة إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لأنه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار، وقدم السر على العلانية)[١٨٠]. ومنه قوله تعالى : ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ [آل عمران: ٤٣]، قال تعالى: (وقدم السجود على الركوع لكونه أفضل)[١٨١]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة : ٢١]، قال : (وفي تخصيص الفكهة بالتخيّر، واللحم بالاشتهاء للبلاغة؛ لأن الجائع مشته، والشبعان غير مشته، بل هو مختار، ولذا قدم الفاكهة على اللحم)[١٨٢] .

– التقديم للتدليل كما في قوله تعالى : ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[الأنعام: ١٥١] ، قال : (وكان ظاهر السياق أن يقدم ويقال: "نحن نرزقهم" وإياكم كما في آية الإسراء؛ لأن الكلام في الأولاد، ولكن قدم هنا خطاب الآباء ليكون كالدليل على ما بعده)[١٨٣] .

- التقديم للأضعف كما في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ٩١]، قال: (بدأ بالعذر في أصل الخلقة فقال: "ليس على الضعفاء..."، وهم أرباب الزمانة والهرم والعمى والعرج، ونحو ذلك كالشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الخلقة ضعيفاً نحيفاً... ثم ذكر العذر العارض فقال: "ولا على المرضى..." ثم ذكر العذر الراجع إلى المال لا إلى البدن فقال: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ..﴾ [التوبه: ٩١][١٨٤]. ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ...﴾ [الرحمن: ١١]، قال تعالى: (نكرت لأن الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها، فهو من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى)[١٨٥].

ومنه قوله تعالى :﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح : ٨-٩]، قال : (وهكذا يفعل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يبتدئ بالأهون ثم بالأشد فالأشد)[١٨٦] .

- التقديم بحسب السياق :ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١-٢]، وقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى : ١-٢] ، قال : (وقدم هنا الضحى على الليل وفي السورة قبلها قدم الليل لأن لكل منهما أثراً من صلاح العالم ، ولليل فضيلة السبق، وللنهار فضيلة النور، فقدم هذا تارة وهذا أخرى، أو أنه قدم الليل في سورة أبي بكر؛ لأن أبا بكر سبق له كفر، وقدم الضحى في سورة محمد؛ لأنه نور محض ولم يتقدمه ذنب، ولم يفصل بين السورتين إشارة إلى أنه لا واسطة بين النبي - ﷺ - وأبي بكر)[١٨٧].

- التقديم لتأكيد الشمول كما في قوله تعالى : ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ...﴾ [النساء:٣٣] قال : ("ولكل" ... مفعول ثانٍ قُدم لتأكيد الشمول)[١٨٨] .

المبحث السابع - الخبر والإنشاء:

الخبر ما احتمل الصدق والكذب، فإن طابق الواقع فهو صادق، وإن خالفه فهو كاذب، قال القزويني (هذا هو المشهور وعليه التعويل)[١٨٩]. والأصل أن غرض الخبر الدلالة على أمرين: إفادة المخاطب حكماً جديداً لم يكن يعرفه من قبل وذلك يسمى "فائدة الخبر"، والآخر: إفادة المخاطب أن المتكلم عارف بالخبر ، ويسمى "لازم الفائدة" . وغرض الخبر هو : إفادة المخاطب أمراً في ماض أو مستقبل أو دائم)[١٩٠]. أي أن الخبر إذا ألقي إلى من يجهله سمي "فائدة الخبر" وإذا ألقي إلى من لا يجهله سمي "لازم الفائدة" .

وللخبر بالنظر إلى حال المخاطب ثلاثة أحوال: الخبر الابتدائي ويخلو من المؤكدات . والخبر الطلبي : وفيه مؤكد واحد لتمكينه في نفس المخاطب المتردد في تصديق مضمونه. والخبر الإنكاري : وفيه أكثر من مؤكد لتمكينه في نفس المخاطب المنكر لمضمونه[١٩١]، ويخرج الخبر عن معنى الإفادة إلى معان بلاغية[١٩٢]، ومن المعاني التي ذكرها القنوجي :

- الخبر يراد به الوعيد: ومنه قوله تعالى : ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، قال : (وفي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع منه الأفئدة)[١٩٣]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة : ٧٤] ، قال : (فيه وعيد شديد وتهديد ليس عليه مزيد)[١٩٤]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ [الحاقة: ٤٩] ، قال: (أي إن بعضكم يكذب بالقرآن فنحن نجازيهم على ذلك بما يليق به إظهاراً للعدل وفي هذا وعيد شديد)[١٩٥] .

- الخبر يراد به النهي: ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٢] قال: (هذا النفي هو بمعنى النهي المقتضي للتحريم)[١٩٦]. ومنه قوله تعالى: ﴿لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣]،

قال: (خبر بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من الاعتناء بشأن المنهي عنه، وتأكد طلب امتثاله حتى كأنه امتثل وأخبر عنه)(١٩٧). ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال: (ظاهر الآية ... خبر ومعناه نهي، وإنما نهى عن ذلك... لأنها في الحج أسمج وأفظع منه)(١٩٨). ومنه قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٠] (وفي هذا الخبر معنى النهي عن الاقتصار على طلب الدنيا والذم لمن جعلها غايته ورغبته ومعظم مقصوده)(١٩٩).

– الخبر يراد به التهديد: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] قال: (وفيه من التهديد وتشديد الوعيد مالا يخفى)(٢٠٠). ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، قال: (فيه تخويف وتهديد لهم وإنما خصهم بالظلم؛ لأنه أعم من الكفر؛ لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافراً فلهذا كان أعم وكانوا أولى به)(٢٠١). ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩] قال: (فيه وعيد وتهديد لهم عظيم)(٢٠٢). ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٤١] قال: (وكرر قوله سبحانه "تلك أمة" لتضمنها معنى التهديد والتخويف الذي هو المقصود في هذا المقام)(٢٠٣). ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [تبارك: ٢٩]، قال: (وفي هذا تهديد شديد مع إخراج الكلام مخرج الإنصاف)(٢٠٤). ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، قال: (فيه من التهديد العظيم والزجر البليغ ما تقشعر له الجلود، وترجف منه الأفئدة)(٢٠٥).

– الخبر يراد به التهكم والاستهزاء: قال تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٣٩]، قال: (فإن زعمتم إن كتابكم الذي آمنتم به أمركم بهذا فبئس ما يأمركم به إيمانكم بكتابكم، في هذا من التهكم مالا يخفى والمعنى لستم بمؤمنين)(٢٠٦)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٢] (استهزاء منهما؛ لأنهما إنما يقولانه لمن قد تحقق ضلاله والأولى أولى)(٢٠٧).

– الخبر يراد به التوبيخ: ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...﴾ [البقرة: ١٢٤]، قال: (والغرض من هذا التذكير توبيخ أهل الملل المخالفين، وذلك لأن إبراهيم يعترف بفضله جميع الطوائف قديماً وحديثاً)(٢٠٨).

– الخبر يراد به الأمر: ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قال: (والنفي هنا يعني النهي؛ لئلا يلزم الخلف في خبره تعالى، والعرب إذا بالغت في النهي عن الشيء أبرزته في صورة النفي المحض إشارة إلى أنه ينبغي ألا يوجد البتة... وعكسه في الإثبات إذا بالغوا في الأمر بالشيء أبرزوه في صورة الخبر)(٢٠٩). ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، قال: (وهو خبر بمعنى الأمر للدلالة على تحقيق مضمونه، وليس أمر إيجاب، وإنما هو أمر ندب واستحباب)(٢١٠).

– الخبر يراد به التحسر: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ...﴾ [آل عمران: ٣٦]، قال: (وفيه معنى التسليم لله والخضوع والتنزيه له أن يخفي عليه شيء. على جهة التعظيم لما وضعته والتفخيم لشأنه والتجهيل لها حيث وقع منها التحسر والتحزن)(٢١١).

– الخبر يراد به الدعاء: ومنه قوله تعالى: ﴿فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤]، قال: (وقد تقول العرب هذه الكلمة على طريق التعجب كقولهم: "قاتله الله من شاعر، أو ما أشعره"، وليس بمراد هنا، بل المراد ذمهم وتوبيخهم، وهو طلب من الله سبحانه طلبه من ذاته عزّ وجل أن يلعنهم ويخزيهم)(٢١٢).

– الخبر يراد به الاستفهام: ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:

١٢٤]، قال : (ويحتمل أن يكون هذا من إبراهيم لقصد الاستفهام وإن لم يكن بصيغته أي : ومن ذريتي ماذا يكون يا رب؟ فأخبره أن فيهم عصاة وظلمة)(٢١٣).

ب – الإنشاء : وكما يخرج الخبر إلى أغراض بلاغية ، فكذلك الإنشاء يخرج إلى أغراض بلاغية(٢١٤) ، ومن الأغراض التي أوردها القنوجي :

– الأمر يراد به التسوية: ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا...﴾ [التوبة: ٥٣]، قال: (هو أمر في معنى الخبر أي: أنفقتم طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم ... وفيه الإشعار بتساوي الأمرين في عدم القبول)(٢١٥).

– الأمر يراد به الدعاء: ومنه قوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦] ، قال : (وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد من الهداية والثبات عليه)(٢١٦).

– الأمر يراد به التعجيز: ومنه قوله تعالى : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٣] ، قال : (وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم)(٢١٧).

– الأمر يراد به التهويل: ومنه قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤]، قال: (وفي هذا من التهويل ما لا يقادر قدره من كون هذه النار تتقد بالناس والحجارة فأوقدت بنفس ما يراد إحراقه بها)(٢١٨). ومنه قوله تعالى : ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي﴾ [البقرة : ٣١]، قال: (أي: أخبروني أمر تعجيز)(٢١٩).

– الأمر يراد به التهديد: ومنه قوله تعالى :﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[البقره: ٤٠]، قال : (ويتضمن الأمر به معنى التهديد)(٢٢٠). ومنه قوله تعالى : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[فصلت:٤٠]، قال: ("اعملوا ما شئتم": هذا أمر تهديد، أي: اعملوا من أعمالكم التي تلقيكم في النار)(٢٢١). ومنه قوله تعالى : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٤] ، قال: ("فتمتعوا": أريد به التهديد أيضاً)(٢٢٢). ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور:٣١]، قال: (أمر تهديد لا إيجاب... لأن تربصهم هلاكه حرام لا محالة)(٢٢٣). ومنه قوله تعالى : ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ [الاسراء: ٦٤]، قال : (والأمر للتهديد كما يقال: اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك)(٢٢٤). ومنه قوله تعالى : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥]، قال: (ثم قال سبحانه على سبيل التهديد والترهيب... (فتمتعوا) بما أنتم فيه من ذلك)(٢٢٥).

– الأمر يراد به التوبيخ: ومنه قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾ [البقرة : ٤٤]، قال : (الهمزة للاستفهام مع التوبيخ للمخاطبين، وليس المراد توبيخهم على نفس الأمر بالبر ، فإنه فعل حسن مندوب إليه، بل سبب ترك فعل البر المستفاد من قوله: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقره:٤٤](٢٢٦) .

– الأمر يراد به الوعيد: ومنه قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ [البقرة : ٤٨] ، قال : (أمر معناه الوعيد والمراد باليوم يوم القيامة)(٢٢٧).

– الأمر يراد به الإباحة: ومنه قوله تعالى : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ [الحج: ٢٨] ، قال : (أمر إباحة)(٢٢٨). ومنه قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [تبارك: ١٥] ، قال : ("فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا": الأمر للإباحة)(٢٢٩) .

– الأمر للتعجيز والإهانة: ومنه قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾[البقرة: ٦١]، قال: (الأمر للتعجيز والإهانة؛ لأنهم كانوا في التيه لا يمكنهم هبوط مصر لانسداد الطرق عليهم... فهو مثل: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠](٢٣٠). ومنه قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قال: (أمر إهانة)(٢٣١). ومنه قوله

تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان :٤٩]، قال: ("ذق": الأمر للإهانة به أي : قولوا له تهكماً وتقريعاً وتوبيخاً: "ذق العذاب.")(٢٣٢). ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [يونس: ٨٠] قال: ("أي : اطرحوا على الأرض ما معكم من حبالكم وعصيكم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين أن ما أتوا به فاسد زاهق)(٢٣٣).

– الأمر يراد به التقريع: ومنه قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..﴾ [البقرة: ٢١١]، قال: (وهو سؤال تقريع وتوبيخ)(٢٣٤).

– الأمر يراد به الدعاء : ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩] ، قال : (وهو دعاء يتضمن استمرار غيظهم ما داموا في الحياة بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يأتيهم الموت)(٢٣٥) .

– الأمر يراد به الامتنان: ومنه قوله تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، قال:"كلوا واشربوا" وهذا أمر امتنان لا أمر تكليف)(٢٣٦) .

– الأمر يراد به الخبر : ومنه قوله تعالى : ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٩]، قال:("فليلقه اليم بالساحل" الأمر للبحر مبني على تنزيله منزلة من يفهم ويميز لما كان إلقاؤه بالساحل أمراً واجب الوقوع، وهذا أمر معناه الخبر، وإنما جيء به بصيغة الأمر مبالغة، إذ الأمر أقطع الأفعال وآكدها)(٢٣٧).

– الاستفهام يراد به الإنكار: ومنه قوله تعالى : ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ...﴾ [آل عمران: ١٠١]، قال: (وهذا الاستفهام هو للإنكار عليهم والتعجب من حالهم وفيه تبكيت وتعنيف لهم.)(٢٣٨) ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ [البقرة : ٧٥]، قال: (الاستفهام فيه معنى الإنكار كأنه أيسهم من إيمان هذه الفرقة من اليهود)(٢٣٩). وقد يرد مع الإنكار التوبيخ كما في قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾[البقرة: ١٦] ، قال : (الهمزة للإنكار مع التوبيخ)(٢٤٠). ومنه قوله تعالى : ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ...﴾ [البقرة : ٨٧] ، قال: (وبخهم الله سبحانه بهذا الكلام المعنون بهمزة التوبيخ)(٢٤١). ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ...﴾ [البقرة: ١٣٠]، قال: (الاستفهام للإنكار)(٢٤٢). وقد يجتمع إلى الإنكار الالتفات ، ومنه قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، قال : ("هل ينظرون" استفهام إنكاري ... والمراد هل ينتظر الزالون التاركون للدخول في الإسلام والمتبعون خطوات الشيطان، فهو التفات إلى الغيبة للإيذان بأن سوء صنيعهم موجب للإعراض عنهم وحكاية جناياتهم لما عداهم من أهل الإنصاف على طريق الإهانة)(٢٤٣). كما قد يجتمع في الاستفهام الإنكار والتعجب ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] ، قال : (قال على طريقة التعجب والإنكار يعني: لا يقول هذا ولا يفعله)(٢٤٤) .

وقد يجتمع في الاستفهام الإنكار والاستبعاد: ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠١] قال: (الاستفهام للإنكار والاستبعاد: أي: من أين يأتيكم ذلك ولديكم ما يمنع منه، ويقطع أثره وهو تلاوة آيات الله عليكم أي القرآن الذي فيه بيان الحق والباطل)(٢٤٥) .

– الاستفهام يراد به التقرير: ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ ...﴾ [البقرة : ١٠٧]، قال : (والاستفهام للتقرير)(٢٤٦). ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا...﴾ [البقرة: ٢٤٣]، قال: (الاستفهام للتقرير)(٢٤٧). وقد يجتمع غرضا التقرير والإنكار كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤]، قال : (فعلى هذا معنى الاستفهام هنا التقرير والإنكار أي أحسبتم دخولكم الجنة واقعاً والغرض من هذا التوبيخ تشجيعهم على الصبر والحث عليه)(٢٤٨). ويشير إلى معنى التحقير الذي يتضمنه استفهام التقرير ، ومنه قوله تعالى :

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس : ١٨] ، قال : (أي من أي شيء خلق الله هذا الكافر، والاستفهام للتقرير، أو تحقير له، والأول أظهر؛ لأن الاستفهام ذكروا من معانيه التقرير، لكن التحقير أخص بالمقام)(٢٤٩).

- الاستفهام يراد به التعجب: ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٢٣]، قال: (فيه تعجيب لرسول الله - ﷺ - ، أو لكل من تصح منه الرؤية من حال هؤلاء وهم أحبار اليهود)(٢٥٠).

- الاستفهام يراد به التقريع : ومنه قوله تعالى : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ...﴾ [البقرة: ١٠٨]، قال: (أم بمعنى "بل" وفي هذا توبيخ وتقريع أي سؤالاً مثل ما سئل موسى حيث سألوه أن يريهم الله)(٢٥١).

ومنه قوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون :٥٥]، قال: (استفهام تقريع، والمعنى :كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء أصلاً كالبهائم التي لا تفهم ولا تعقل)(٢٥٢)، وقد يرد استفهام التقريع مع الالتفات كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧]، قال: (الخطاب للإنسان الكافر، والاستفهام للتقريع والتوبيخ ولإلزام الحجة)، ومثله قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [تبارك: ٢٠] ، قال : (الاستفهام للتقريع والتوبيخ والالتفات عن الغيبة إلى الخطاب للتشديد في ذلك التبكيت)(٢٥٣) .

- الاستفهام يراد به الأمر : ومنه قوله تعالى : ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ...﴾ [آل عمران:٢٠] قال : (استفهام تقريري يتضمن الأمر أي: أسلموا)(٢٥٤) .

- الاستفهام يراد به التوبيخ : ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ...﴾ [البقرة: ١٣٩]، قال: (وفي الآية توبيخ لهم وقطع لما جاؤا به من المجادلة والمناظرة..)(٢٥٥).

وربما اجتمع في الاستفهام التوبيخ والتعجب ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٦] قال : (الهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم)(٢٥٦) .

- الاستفهام يراد به الجحد : ومنه قوله تعالى : ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا﴾ آل عمران: ٨٦] ، قال : (هذا الاستفهام معناه الجحد أي: لا يهدي الله)(٢٥٧) .

- الاستفهام يراد به الاستبعاد: ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ [آل عمران: ٤٧] ، قال : (على طريقة الاستبعاد العادي)(٢٥٨) .

- الاستفهام يراد به النفي: ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم﴾ [آل عمران: ١٦٠]، قال: (أتى به في صورة الاستفهام وإن كان معناه نفياً ليكون أبلغ)(٢٥٩).

- الاستفهام يراد به التمني:ومنه قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ﴾[الأعراف: ٥٣]، قال: (استفهام ومعناه التمني)(٢٦٠).

- الاستفهام يراد به التقرير: ومنه قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾[الأعراف: ١١٣]، قال : (الاستفهام للتقرير أي: استفهموا فرعون عن الجعل الذي سيجعله لهم على الغلبة)(٢٦١).

ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ١٦] ، قال :(الاستفهام إنكاري وهو داخل على نفي ، ونفي النفي إثبات، ويعبر عنه بالاستفهام التقريري والمراد به طلب الإقرار بما بعد النفي)(٢٦٢).

وقد يجتمع التقرير والإنكار، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال : (وهمزة الاستفهام لإنكار النفي وتقرير المنفي أي: ألم ينته علمك أو نظرك إلى هذا الذي صدرت منه هذه المحاجة. و"ألم تر": كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام)(٢٦٣).

وحيناً يجتمع مع التقرير الإيجاب، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة : ٢٦٠] قال : (ألف استفهام وإنما هي ألف إيجاب وتقرير)(٢٦٤) .

– الاستفهام يراد به التهويل: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين:٨]، قال: (ثم ذكر ما يدل على تهويله وتعظيمه فقال: "وما أدراك ما سجين")[٢٦٥]. وربما وصفه بالتعظيم كما في قوله تعالى: ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة:٢]، قال: (هذه الجملة وإن كان لفظها لفظ الاستفهام فمعناها التعظيم والتفخيم لشأنها)[٢٦٦]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾[الهمزة:٥]. قال: (وهذا الاستفهام للتهويل والتفظيع حتى كأنها ليست مما تدركه العقول، وتبلغه الأفهام)[٢٦٧]. وقد يصف هذا الأسلوب بالتفخيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر:٢]، قال: (في هذا الاستفهام تفخيم لشأنها حتى كأنها خارجة عن دراية الخلق لا يدريها إلا الله سبحانه)[٢٦٨].

– الاستفهام يراد به التحسر والتمني: ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٣]، قال: (أي: مؤخرون وممهلون عن الهلاك ولو طرفة عين لنؤمن، قالوا هذا تحسراً على ما فات من الإيمان، وتمنياً للرجعة إلى الدنيا لاستدراك ما فرط منهم)[٢٦٩].

– الاستفهام يراد به الاستهزاء والسخرية: ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٨]، قال: (أي: متى حصول هذا الوعد الذي تعدنا به من العذاب ؟! قالوا ذلك على جهة الاستهزاء والسخرية)[٢٧٠].

– الاستفهام يراد به الأمر: ومنه قوه تعالى: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، قال: "هل" بمعنى الاستفهام، ثم يتدرج إلى أن يصير عرضاً وحضاً، والحث كالإغراء أمر."[٢٧١].

– الاستفهام يراد به التهديد: ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات:٩]. قال: (الاستفهام للإنكار... وهذا تهديد ووعيد)[٢٧٢].

المبحث الثامن – الخروج على مقتضى الظاهر[٢٧٣].

ومن ظواهر الخروج على مقتضى الظاهر عند القنوجي:

– وضع المضمر موضع المظهر: [٢٧٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، قال: (وفيه الإظهار في مقام الإضمار للنداء عليهم بهذا الوصف القبيح)[٢٧٥].

– وضع المظهر موضع المضمر: [٢٧٦] ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة : ٩٥] ، قال : (هو من وضع الظاهر موضع المضمر لنكتة تقدر في كل محل بما يناسبه)[٢٧٧]. ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٩٨] قال:(أي: "عليهم" وضعاً للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم.)[٢٧٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ...﴾ [البقرة: ١٦٢]. قال: (وإنما أضمرت الدار لعظم شأنها)[٢٧٩]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] قال: (وفيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم)[٢٨٠] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٧]، قال: (أقام ظاهرين مقام مضمرين إذ الأصل قالوا لها أي: للآيات، ولكنه أبرزهما ظاهرين لأجل الوصفين المذكورين)[٢٨١]. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧] ، قال :(والمقام للضمير وأتى بالمظهر توصلاً لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به)[٢٨٢]، ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨]، قال : (وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة البيان)[٢٨٣]، ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: ٤٢]، قال : (هذا من وقوع

الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على اتصافهم بهذه الصفة القبيحة والأصل: "أم يريدون كيداً فهم..."(٢٨٤)

– الالتفات:(٢٨٥) قال القنوجي : (من فوائد الالتفات تطرية الكلام ، وصيانة السمع عن الضجر والملال؛ لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد)(٢٨٦) ، ومن ألوان الالتفات التي ذكرها القنوجي ، الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، قال : (تلك مبتدأ والجنة صفته والموصول مع صفته صفة للجنة، والخبر "بما كنتم" ... وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب."(٢٨٧). ومنه قوله تعالى : ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦]، قال : (أقسم بنفسه على نفسه أنه ليسألهم يوم القيامة، وهذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب، وهو من بديع الكلام وبليغه"(٢٨٨). ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٤]، قال: ("فتمتعوا فسوف تعلمون"وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب لأجل المبالغة في زجرهم"(٢٨٩).

ومنه الالتفات من المتكلم إلى الغائب في قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ...﴾ [الكهف: ٨١-٨٢] ، فانتقل من ضمير المتكلم في " أردنا " إلى الغائب في "ربك" ، قال : (ففي تلوين العبارة نوع من الحسن آخر وهو الافتنان في الكلام. فإنه أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظاً له)(٢٩٠).

ومنه الالتفات من الخطاب إلى التكلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ﴾ [يس:٢٢-٢٣]، قال: (جعل الإنكار متوجهاً إلى نفسه، وهم المرادون به، أي: لا أتخذ من دون الله آلهة وأعبدها وأترك عبادة من يستحقها وهو الذي فطرني)(٢٩١).

ومنه الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ * وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ [السجدة: ٩-١٠] ، قال : "﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ﴾" كلام مستأنف لبيان أباطيلهم، بطريق الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة، إيذاناً بأن ما ذكر من عدم شكرهم لتلك النعم موجب للإعراض عنهم."(٢٩٢) .

– الأسلوب الحكيم: (٢٩٣) ومنه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، قال: (هو جواب بغير ما سأل عنه تنبيهاً على أن الأولى لهم أن يسألوا عن هذا المجاب لا عن سبب الاختلاف .. وهو – أي الأسلوب الحكيم – : تلقي المخاطب بغير ما يترقب تنبيهاً على أن الأولى بالقصد ووجه ذلك أنهم سألوا عن أجرام الأهلة باعتبار زيادتها ونقصانها فأجيبوا بالحكمة التي كانت الزيادة والنقصان لأجلها لكون ذلك أولى بأن تقصيره السائل وأحق بزن يتطلع لعلمه)(٢٩٤). ومنه قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ...﴾ [البقرة : ٢١٥] ، قال: (سألوا عن الشيء الذي ينفقونه ما هو ؟ أي ما قدره؟ وما جنسه... ؟ ، فأجيبوا ببيان المصرف الذي يصرفونه تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد)(٢٩٥) ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً * قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً﴾ [الإسراء: ٦٢-٦٣] . قال : (ولم يجبه عن هذا السؤال إهمالاً له وتحقيراً حيث

اعترض على مولاه وسأله بـ "لم."[٢٩٦]. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، قال: (أي بالجواب لا على وفق السؤال أو من المستهزئين بالمؤمنين وهذا أبلغ من قولك أن أكون جاهلاً)[٢٩٧].

– التعبير بالماضي عن المستقبل: [٢٩٨] ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، قال: (ودخلت "إذ" وهي لما مضى في إثبات هذه المستقبلات تقريباً للأمر وتصحيحاً لوقوعه، وهو ما يتكرر في القرآن كثيراً)[٢٩٩]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، قال (وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكأنه قد كان)[٣٠٠]. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، قال: (أي: فكان بشراً، أريد بالمستقبل الماضي أي حكاية حال ماضية)[٣٠١]. ومنه قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢١٢]، قال: (وجيء به ماضياً دلالة على أن ذلك فرغ منه)[٣٠٢]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] قال: (والتعبير بالماضي مع كون بعضه مترقباً لتغليب المحقق على المقدر أو لتنزيل ما في شرف الوقوع منزلة الواقع)[٣٠٣]. ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق: ٩]، قال: (وجيء به على لفظ الماضي؛ لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان)[٣٠٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣]، قال: ("وأخلده" ماض معناه المضارع أي: يخلده)[٣٠٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، قال: (وإنما عبّر بالماضي مع كونه معطوفاً على المضارع للدلالة على تحقيق الوقوع)[٣٠٦].

– الجمع بين الماضي والمستقبل: ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]، قال: (والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر)[٣٠٧].

– التعبير بالمضارع عن الماضي: ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٥٢] قال: (المضارع هنا موضوع موضع الماضي وفاعل ذلك هو الله تعالى)[٣٠٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، قال: (والتعبير بالمضارع مع أن المقام للماضي لاستحضار الصورة الغريبة)[٣٠٩]. ومنه قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢]، قال: ("سيقول" بمعنى "قال" وإنما عبر عن الماضي بلفظ المستقبل للدلالة على استدامته والاستمرار عليه)[٣١٠]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قال: ("يرفع" حكاية حال ماضية استحضاراً لصورته العجيبة)[٣١١]. ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...﴾ [الحشر: ١١]، قال: ("يقولون لإخوانهم" التعبير بالمضارع لاستحضار الصورة، أو للدلالة على الاستمرار)[٣١٢]. ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ...﴾ [طه: ٤٠]، قال: (وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية)[٣١٣].

– القلب: [٣١٤] ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦]، قال: (والأصل: فعموا عن الأنباء، ولكنه عكس الكلام للمبالغة)[٣١٥].

– وضع الجمع موضع المفرد: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧]: قال: (والمراد بالملائكة ملك الموت وحده، وإنما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم)[٣١٦]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾

[يوسف : ٤٥]، قال: (خاطب الملك بلفظ الجمع للتعظيم)[٣١٧]. ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] ، قال : (خطاب لرسول الله - ﷺ - بلفظ الجمع تعظيماً له، أو خطاب له ولأمته)[٣١٨] .

- وضع المفرد موضع المثنى : ومنه قوله تعالى : ﴿إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش:٢] ، قال : (ولم يقل رحلتي الشتاء لأمن الإلباس)[٣١٩] .

- وضع المفرد موضع الجمع: ومن قوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ..﴾ [البقرة: ٤١]، قال: (الخطاب لجماعة، والكافر لفظه واحد وهو في معنى الجمع أي أول الكفار أو أول فريق كافر)[٣٢٠]. ويأتي قصداً لكل واحد بعينه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ [الزخرف: ٧٢] . قال : (ولم يقل "وتلكم" الذي هو مقتضى أورثتموها إيذاناً بأن كل واحد مقصود بذاته)[٣٢١]. ويأتي لمراعاة الفواصل، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]، قال: (إنما أفرد في اللفظ لموافقة رؤوس الآي)[٣٢٢].

المبحث التاسع - الفصل والوصل:

(الوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه ، وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ، ولا يحيط علماً بكنهه ؛ إلا من أوتي فهم كلام العرب طبعاً سليماً، ورزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً، ولهذا قصر بعض علماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل)[٣٢٣].

أ - الفصل: [٣٢٤] ومن شواهد الفصل عند القنوجي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال: (فيكون هذا التفصيل على هذا كلاماً مستأنفاً جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل: هل منهم من آمن واستحق ما وعده الله)[٣٢٥].

ومنه قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]، قال: (وجملة "سنكتب" على هذا مستأنفة جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل: ماذا صنع الله بهؤلاء الذي سمع منهم هذا القول الشنيع فقال: "قال لهم: نكتب ما قالوا")[٣٢٦]. ومن الفصل لكمال الانقطاع بين الجملتين، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٤-٦]، قال: (ذكر سبحانه فريق الشر بعد الفراغ من ذكر فريق الخير قاطعاً لهذا الكلام عن الكلام الأول معنوناً له بما يفيد أن شأن جنس الكفرة عدم إجداء الإنذار لهم، وأنه لا يترتب عليه ما هو المطلوب منهم من الإيمان)[٣٢٧]. ومن الفصل لكمال الاتصال، قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ٤١]، قال: (تأكيد لما قبله أو بدل منه أو استئناف)[٣٢٨]. ومنه الفصل للبيان كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ١٦٩]، قال: (ثم بين عداوته ما هي فقال: "إنما يأمركم")[٣٢٩]. ومنه الفصل لشبه كمال الاتصال، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[طه: ٢٥]، قال : "مستأنفة كأنه قيل فماذا قال موسى.")[٣٣٠]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٢-٣]، قال: "الطارق فسره بالنجم إزالة لذلك الإبهام الحاصل بالاستفهام، والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر نشأ مما قبله كأنه قيل ما هو فقيل: هو النجم الثاقب"[٣٣١].

ب - الوصل : [٣٣٢] ومن شواهد الوصل عنده قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، قال: (وهذه الجملة تفصيل للجملة التي مثلها وتقرير لها. أي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه فلا

يضاره بسبب ولده)[٣٣٣]. ومنه قوله تعالى : ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة : ١٠٩] ، قال : (والعطف على هذا للتأكيد وحسَّنه تغاير اللفظين، وفيه الترغيب في ذلك والإرشاد إليه)[٣٣٤] .

المبحث العاشر - الإيجاز والإطناب :

أ - الإيجاز : (الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضلٌ داخل في باب الهذر والخطل، وهما من أعظم أدواء الكلام، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة.)[٣٣٥] ، ومن ألوان الإيجاز التي ذكرها القنوجي :

- حذف المبتدأ: ومنه قوله تعالى : ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [البقرة : ١٤٧] ، قال : (أي: جاءك الحق من ربك يعني الذي أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم هو الحق والجملة على هذا خبر مبتدأ محذوف)[٣٣٦] .

- حذف الفعل: ومنه قوله تعالى: ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، قال: (وصف لقوله "متاعاً" أو مصدر لفعل محذوف أي حق ذلك حقاً)[٣٣٧].

- حذف مفعول المشيئة: ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ...﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، قال : (أي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا فمفعول المشيئة محذوف على القاعدة)[٣٣٨] .

- حذف جواب "لو" :ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠] ، قال : (وجواب "لو" محذوف أي لشاهدت أمراً عظيماً)[٣٣٩] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ...﴾ [الحديد:١٠]، قال : (وفي الكلام حذف، والتقدير: لا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل، محذوف لظهوره، ولدلالة ما سيأتي عليه، فإن الاستواء يكون بين الشيئين ، ولا يتم إلا بذكر اثنين ، وإنما كانت النفقة والقتال قبل الفتح أفضل من النفقة والقتال بعده)[٣٤٠] ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ ...﴾ [الأنبياء: ٣٩] ، قال : (وجواب "لو" محذوف لأنه أبلغ من الوعيد)[٣٤١] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾[الرعد: ٣١]، قال : (التقدير: "وهم يكفرون بالرحمن لو أن قرآناً" كثيراً ما تحذف العرب جواب "لو" إذا دل عليه سياق الكلام."[٣٤٢]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ...﴾ [القصص: ٤٧] ، قال : (أي: ولولا إصابة المصيبة لهم، وجوابها محذوف... تقديره: ما أرسلنا إليهم رسلاً)[٣٤٣]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩] ، قال : (أي تمنت وأحبت إضلالكم... و"لو" حرف امتناع لامتناع والجواب محذوف أي: لسروا بذلك وفرحوا)[٣٤٤] .

- حذف جواب الشرط : ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧]، قال : ("فلم..." : جواب شرط محذوف أي : وإن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم أنتم)[٣٤٥].

- حذف المنادى : ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ...﴾ [القصص: ٤٦]، قال : (أي: ما كنت يا محمد بجانب الطور إذ كلمنا موسى فنادينا أمتك)[٣٤٦].

- حذف الضمير : ومنه قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ [النحل: ١٩]، قال: (أي ما تضمرونه من العقائد والأعمال "وما تعلنون" أي وما تظهرونه منها، وحذف العائد لمراعاة الفواصل)[٣٤٧] - حذف جواب القسم : ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ

سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: ١-٥] ، قال : (وجواب القسم بهذه الأمور التي أقسم الله بها محذوف. أي: والنازعات وكذا أو كذا لتبعثن)(٣٤٨).

– حذف الفضلة : وذلك بقصد التعميم : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦]، قال: (ولم يذكر ما يطيعونه فيه لقصد التعميم كما يشعر به الحذف على ما تقرر في علم المعاني من أن مثل هذا الحذف مشعر بالتعميم)(٣٤٩) .

– حذف الصفة: ومنه قوله تعالى: ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩]، قال: أي صالحة لا معيبة)(٣٥٠).

– حذف الجملة: ومنه قوله تعالى : ﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٦] ، قال : (في الكلام حذف، أي فذهبا إليهم، فكذبوهما فأهلكناهم إثر ذلك التكذيب إهلاكا عظيماً، فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاءً بما هو المقصود منها، وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل، واستحقاق التدمير بتكذيبهم)(٣٥١) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٩] قال: (في الكلام حذف والتقدير: "فذهب الهدهد فألقاه إليهم فسمعها تقول: يا أيها الملأ " إني ألقي إلي كتاب كريم)(٣٥٢) .

– حذف المصدر: ومنه قوله تعالى : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا... ﴾ [سبأ: ١٣] ، قال : ("واعملوا عملاً شكراً" على أنه صفة مصدر محذوف)(٣٥٣) .

ب – الإطناب :

"المنطق إنما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلاّ بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشدّه إحاطةً بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامّة إلاّ بالاستقصاء، والإيجاز للخواصّ، والإطناب مشتركٌ فيه الخاصة والعامة، والغبي والفطن، والرّيِّض والمرياض، ولمعنى ما أطيلت الكتب السلطانية في إفهام الرعايا. والقول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه، ولكلّ واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ."(٣٥٤) ومن أنواع الإطناب التي ذكرها القنوجي :

– التكرار : ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ:٥] ، قال : (ثم كرر الردع والزجر للمبالغة في التأكيد والتشويق في الوعيد)(٣٥٥).

وقد يأتي التكرار لطول الكلام كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٩]، قال : ("ثم تابوا من بعد ذلك" أي : من بعد عملهم للسوء، وفيه تأكيد، فإن "ثم" قد دلت على البعدية فأكدها بزيادة ذكر البعدية... ثم كرر ذلك تأكيداً وتقريراً فقال:﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[الأعراف: ١٥٣](٣٥٦). وقد يأتي التكرار لاختلاف السبب المستوجب له كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء ١٠٧ ، ١٠٩]، قال : "كرر ذلك الخرور للأذقان لاختلاف السبب، فإن الأول لتعظيم الله – سبحانه – وتنزيهه وللسجود ، والثاني للبكاء بتأثير مواعظ القرآن في قلوبهم ومزيد خشوعهم)(٣٥٧) .

– الاعتراض : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ [المنافقون:١] ، قال : (جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها، وهو ما أظهروه من الشهادة، وإن كانت بواطنهم على خلاف ذلك."(٣٥٨). وقد يأتي الاعتراض للتعليل ومنه قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى * إِلاَّ مَا شَاءَ

﴿اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ * فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٦-٩] ، قال : ("ونيسرك لليسرى" معطوف على "سنقرئك" ... وما بينهما اعتراض وارد للتعليل)[٣٥٩]. وقد يكون الاعتراض مبيناً لما تقدم عليه، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقال : (وهذه الجملة اعتراضية مبنية لما في الجملة الأولى من تعظيم الموضوع ورفع شأنه وعلو منزلته)[٣٦٠].

ويربط القنوجي بين الاعتراض وحسن التخلص كما في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢١ - ٢٤] ، قال : (وقوله: "وكذلك مكنا ليوسف" إلى هنا اعتراض جيء به أنموذجاً للقصة... ولا يخفى أن مدار حسن التخلص إلى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة إنما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز")[٣٦١] .

– التذييل : ومنه قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]، قال: ("والله عليم بذات الصدور": جملة مقررة لما قبلها من شمول علمه لكل معلوم، وهي تذييلية")[٣٦٢] .

– الإيضاح بعد الإبهام: ومنه قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] (جملة مفسرة لما أبهم في المثل وخبر مستأنف على جهة التفسير لحال خلق آدم)[٣٦٣]، ومنه قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق:١-٢]، قال: (وإذا كان المراد بالذي خلق، الذي خلق الإنسان، فيكون الثاني تفسيراً للأول، والنكتة ما في الإبهام ثم التفسير من التفات الذهن وتطلعه إلى معرفة ما أبهم أولاً ثم فسر ثانياً)[٣٦٤] .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ...﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، قال : ("أسباب السموات": بيان للأسباب؛ لأن الشيء إذا أبهم ثم فسر كان أوقع في النفوس، وأفخم للشأن)[٣٦٥].

– التفصيل بعد الإجمال : ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ، قال : (تفصيل لأحوال الفريقين بعد الإشارة إليها إجمالاً وتقديم بيان حال الكفار لما أن المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الإجمال والتفصيل ، والإفضاء إلى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدأ بذلك عند الإجمال، ففي الآية حسن ابتداء، وحسن اختتام)[٣٦٦] ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ [الأنعام:٩٩]، قال : (ثم فصل هذا الإجمال فقال: فأخرجنا منه خضراً)[٣٦٧] ، ومنه قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢١٥]، قال : (قدمهما – الوالدين – لوجوب حقهما على الولد لأنهما السبب في وجوده ... وانظر إلى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الإنفاق كيف فصله ثم أتبعه بالإجمال فقال: (وما تفعلوا من خير) [٣٦٨]. ومنه قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٣٢-١٣٤] ، قال : (من

أنواع النعم والخير الحاصلة لكم، ثم فصل هذا الإجمال بقوله " أ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾"(٣٦٩) ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ [الشعراء: ٤٩]، قال : (أجمل التهديد أولاً للتهويل، ثم فصله فقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾(٠٧٣) .

– ذكر العام بعد الخاص: ومنه قوله تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ...﴾[النحل:١١]، قال: (قدم الزرع لأنه أصل الأغذية التي يعيش بها الناس... وذكر "الزيتون" بعد الزرع لكونه فاكهة من وجه وإداماً من وجه لكثرة ما فيه من الدهن والبركة ... وذكر النخيل لكونه غذاء وفاكهة ... وجمع الأعناب لاشتمالها على الأصناف المختلفة ... ثم أشار إلى سائر الثمرات إجمالاً فقال: "ومن كل الثمرات")(٣٧١). ومنه قوله تعالى : ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٢-١٨٣]، قال : (أي: "لا تنقصوا حقوقهم التي لهم" "وهذا تعميم بعد التخصيص")(٣٧٢) .

– ذكر الخاص بعد العام: ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة : ٢٠٥] ، قال : ("الحرث والنسل": من عطف الخاص على العام فإن الفساد أعم من ذلك فيشمل سفك الدماء ونهب الأموال)(٣٧٣). ومنه قوله تعالى : ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ، قال : (هذا من باب عطف الخاص على العام إظهاراً لشرفهما وأنهما الفردان الكاملان من الخير الذي أمر الله به عباده بالدعاء إليه)(٣٧٤). ومنه قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء : ١٤٧-١٤٨] ، قال : (ذكر النخل مع دخوله تحت الجنات لفضله على سائر الأشجار)(٣٧٥) .

– التكميل : (٣٧٦) منه قوله تعالى: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، قال : (وذكر "جناحيه" ليدفع الإبهام ؛ لأن العرب تستعمل الطيران لغير الطير كقولهم: طر في حاجتي أي أسرع)(٣٧٧) .

– التكرار: ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦] ، قال : ("فلما عتوا" تكرير لقوله: "فلما نسوا ما ذكروا به..." للتأكيد والتقرير)(٣٧٨) . ومنه قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ٥] ، قال : (في تكرير اسم الإشارة دلالة على أن كلاً من الهداية الماضية والفلاح الآتي بحيث لو انفرد أحدهما لكفى مميزاً على حاله)(٣٧٩). ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة : ٣٤] ، قال : (وهذه القصة – قصة آدم – ذكرت في القرآن في سبع سور... ولعل السر في تكريرها تسلية رسول الله ﷺ)(٣٨٠). ويأتي التكرار للتهويل ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٢] ، قال : (كرر للتهويل)(٣٨١) ، ويكرر الحرف للشمول ، ومنه قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ...﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، قال : (وكرر حرف النفي للتنصيص على شمول النفي لكل واحد منهما)(٣٨٢). ويكرر النداء كما في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا...﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، قال : (تكرير النداء للإيذان بمزيد من التضرع واللجوء إلى الله سبحانه)(٣٨٣) . ويأتي التكرار للتخصيص والتلذذ ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، قال : (وتكرير الضمير للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة منهما ولإبراز الإلتذاذ بالمناجاة والخطاب)(٣٨٤). ويأتي التكرار للتشريف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا...﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧]، قال : (أعاد الفعل لقصد تشريف المؤمنين عن أن يكون الفعل المسند إليهم وإلى المنافقين واحداً)(٣٨٥).

ويشير القنوجي إلى البيان القرآني في المراوحة بين أسلوبي الإيجاز والإطناب في تناول القصة نفسها ، قال : (القرآن يأتي تارة بالقصة باللفظ الطويل، ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود)[٣٨٦]. ويترقى أسلوب المراوحة بين الإطناب والإيجاز عند القنوجي ليكون على مستوى السور ، ومنه مراوحة القرآن في سرد أحوال الكفار وأحوال المؤمنين كما وردت في سورتي "الدهر" و"المرسلات"، قال : (ثم لما ذكر - سبحانه - في سورة الدهر أحوال الكفار في الآخرة على سبيل الاختصار، وأطنب في أحوال المؤمنين فيها، ذكر في هذه السورة - المرسلات - أحوال الكفار على سبيل الإطناب، وأحوال المؤمنين على سبيل الإيجاز فوقع بذلك التعادل بين السورتين)[٣٨٧].

المبحث الحادي عشر - تناسب المعاني[٣٨٨]:

يقصد بتناسب المعاني (ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر)[٣٨٨] ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران ١١٣- ١١٦] ، قال : (لما ذكر تعالى مؤمني أهل الكتاب ذكر كفارهم في هذه الآية)[٣٨٩] .

ومن التناسب : ذكر حال الكفار ثم حال المؤمنين كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء : ٥٦-٥٧]، قال : (ثم أتبع وصف حال الكفار بوصف حال المؤمنين... وعلى عادته - تعالى - من ذكر الوعيد مع الوعد وعكسه)[٣٩٠] .

ومن التناسب: ذكر الأمر وضرب المثل له، ومنه قوله تعالى عن المنافقين : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة : ٧١] ، قال (ولما ذكر حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان؛ لأنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه... وذلك هو المتناهي في الإيضاح)[٣٩١] ومن التناسب: الجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...﴾ [البقرة: ٢٤- ٢٥]، قال: (لما ذكر تعالى جزاء الكافرين عقبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد)[٣٩٢].

ومن التناسب : المناسبة بين الفواصل والآيات ، ومنه قوله تعالى : ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٧-٨] ، قال : (ختم هذه الآية "بلا يعلمون"، وما قبلها بـ "لا يفقهون"؛ لأن الأول متصل بقوله: "ولله خزائن السموات والأرض" وفي معرفتها غموض يحتاج إلى فطنة وفقه، فناسب نفي الفقه عنهم، والثاني متصل بقوله: "ولله العزة" وفي معرفتها غموض زائد يحتاج إلى علم فناسب نفي العلم عنهم فالمعنى لا يعلمون أنه الله معز أولياءه ومذل أعداءه.")[٣٩٣].

ومن التناسب: المناسبة بين الصفة والموصوف، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ

شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران ١٧٧-١٧٨]، قال: (ولما جرت العادة بسرور المشتري بما اشتراه عند كون الصفقة رابحة، وبتألمه عند كونها خاسرة، ناسب وصف العذاب بالأليم ... ولما تضمن الإملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها، وذلك مما يقتضي التعزز والتكرم وصف عذابهم بالإهانة ليكون جزاء وفاقا)(٢٩٤).

ومن التناسب: عطف خبر البنت على خبر الأم، ومنه قوله تعالى :﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ... ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٣٥، ٤٥]، قال: (وإذ قالت الملائكة..." عطف على "إذ قالت امرأة عمران ..." عطفا لقصة البنت على قصة أمها لما بينهما من كمال المناسبة وقصة زكريا وقعت بينهما لمناسبة)(٢٩٥).

ومن التناسب : المناسبة بين الفواصل والآي ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] ، قال : (وما أحسن ما ختم به هذا الامتنان الذي لا يلتبس على إنسان مشيراً إلى عظيم غفرانه وسعة رحمته فقال: "إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ")(٢٩٦) .

ومن التناسب : الجمع بين الأمر ودليله ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ١٦٣-١٦٤]، قال : (لما ذكر سبحانه التوحيد بقوله : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ عقب ذلك بالدليل الدال عليه وهو هذه الأمور الثمانية التي هي من أعظم صنعة الصانع الحكيم)(٢٩٧) .

ومن التناسب: الجمع بين الطعام والشراب ، ومنه قوله تعالى: ﴿ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٥-٦]، قال: "ولما ذكر سبحانه شرابهم عقبه بذكر طعامهم فقال: "لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ")(٢٩٨).

ومن التناسب : الجمع بين الوعيد والوعد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ [الأعلى: ١٠-١٣] ، قال : "ولما ذكر تعالى وعيد من أعرض عن النظر في دلائل الله أتبعه بالوعد لضده فقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ [الأعلى:٤١](٢٩٩).

الهوامش

١ - فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ؛ تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري ،- بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ ٣/١٦٥.

٢ - انظر : مفتاح العلوم ليوسف السكاكي ،- القاهرة ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، ص١٩٦، الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ؛ تحقيق محمد خفاجي ،- ط٢ ،- القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٤م ، ص ٩ .

٣ - فتح البيان ٧/٤٥٢.

٤ - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني؛ تحقيق محمود شاكر ،- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ص٤٤ .

٥ - فتح البيان ٢/١١٣.

٦ - المرجع السابق ١/٢٧٧.

٧ - المرجع نفسه ٢/٣٢٥.

٨ - المرجع نفسه ١/ ١٠٠.

٩ - المرجع نفسه ١/٣٦٣.

١٠- المرجع نفسه ١/٣٢٧.

١١- المرجع نفسه ٢/١٠١.

١٢- المرجع نفسه ٢/٢٧٣.

١٣- المرجع نفسه ٢/٣٨٩.
١٤- المرجع نفسه ٢/١٧١.
١٥- المرجع نفسه ٢/٢٩٧.
١٦- المرجع نفسه ١/٩٠.
١٧- المرجع نفسه ١/٤٣٣.
١٨- المرجع نفسه ٢/١٦٣.
١٩- المرجع نفسه ٢/٤٠٩.
٢٠- المرجع نفسه ٢/٩٩.
٢١- المرجع نفسه ٢/٢٣٨.
٢٢- المرجع نفسه ١/١٥٥.
٢٣- المرجع نفسه ١/٣٩١.
٢٤- المرجع نفسه ٣/١٤١.
٢٥- المرجع نفسه ١٤/٣٦٣.
٢٦- المرجع نفسه ٢/٦٦.
٢٧- المرجع نفسه ١/٢٩١.
٢٨- المرجع نفسه ٤١/٢١٢.
٢٩- المرجع نفسه ٢/٣٠٩.
٣٠- المرجع نفسه ١/٣١٥.
٣١- المرجع نفسه ١٢/١٥٠.
٣٢- المرجع نفسه ١٥/٤١٩.
٣٣- المرجع نفسه ١٣/٢٠٦.
٣٤- المرجع نفسه ١٤/١٣٥.
٣٥- المرجع نفسه ١٥/٢٦٥.
٣٦- المرجع نفسه ١٥/٢٨١.
٣٧- المرجع نفسه ٧/٤٦٧.
٣٨- المرجع نفسه ١/٢١٢.
٣٩- المرجع نفسه ١/٣٨٣.
٤٠- المرجع نفسه ٥/١٠٥.
٤١- المرجع نفسه ١/٩٠.
٤٢- المرجع نفسه ٢/٣٠١.
٤٣- المرجع نفسه ١/٤٣١.
٤٤- المرجع نفسه ٨/٣٤٠.
٤٥- المرجع نفسه ١٣/٢٠.
٤٦- المرجع نفسه ١١/٢٧٩.
٤٧- المرجع نفسه ١٤/١٦٧.
٤٨- المرجع نفسه ١/٢٨٥.
٤٩- المرجع نفسه ٧/٤٦٧.
٥٠- المرجع نفسه ١/٩٦.
٥١- المرجع نفسه ١/٥٩.
٥٢- المرجع نفسه ١/٢١٢.
٥٣- المرجع نفسه ١/٥٨.
٥٤- المرجع نفسه ٢/١٢٩.
٥٥- المرجع نفسه ٢/٢١٩.
٥٦- المرجع نفسه ٥/٣٧١.
٥٧- المرجع نفسه ١/٢٤٤.
٥٨- المرجع نفسه ١/٣١١.
٥٩- المرجع نفسه ١/٢٩٠.
٦٠- المرجع نفسه ٨/٩٥.
٦١- المرجع نفسه ٧/٢٦٣.
٦٢- المرجع نفسه ١٥/١٠٠.
٦٣- المرجع نفسه ١٥/٦٤.
٦٤- المرجع نفسه ١١/٢٤٥.
٦٥- انظر : مفتاح العلوم ، ص٨٥ ، والإيضاح ، ص٣٤.
٦٦- فتح البيان ١/١٥٩.
٦٧- المرجع السابق ٢/١٩٢.
٦٨- المرجع نفسه ١/٢٥٥.
٦٩- المرجع نفسه ٢/١٢٤.
٧٠- المرجع نفسه ٢/٥٢.
٧١- المرجع نفسه ٢/١٧٢.
٧٢- المرجع نفسه ١٠/٢٥٢.
٧٣- المرجع نفسه ١٥/٨٨.
٧٤- المرجع نفسه ٧/٣٧٥.
٧٥- المرجع نفسه ١/٣١٠.
٧٦- المرجع نفسه ١/٣٣١.
٧٧- المرجع نفسه ٢/١٤٨.
٧٨- المرجع نفسه ٢/١٥٦.
٧٩- المرجع نفسه ٢/١٥٦.
٨٠- المرجع نفسه ٧/٤٢٩.
٨١- انظر : الإيضاح ، ص١٩٣ ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير-٠ القاهرة، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ٢/٧٨-١١٣.
٨٢- فتح البيان ٢/١١٨.
٨٣- المرجع السابق ١/٣٤٧.
٨٤- المرجع نفسه ٢/١٠٩.
٨٥- المرجع نفسه ٢/٣٠٩.
٨٦- المرجع نفسه ١٠ / ٨٣ .
٨٧- المرجع نفسه ٤/٢٧٠.
٨٨- المرجع نفسه ٢/١٩٢.
٨٩- المرجع نفسه ٦/٤٧.
٩٠- المرجع نفسه ١/٣٣٢ .
٩١- المرجع نفسه ١/٣٣٨.
٩٢- المرجع نفسه ١/٣٣٠.
٩٣- المرجع نفسه ٢/٢١٩ .
٩٤- المرجع نفسه ٢/٣٠٥ .
٩٥- المرجع نفسه ٢/٤٠٦ .
٩٦- المرجع نفسه ٢/٣٣٦ .
٩٧- المرجع نفسه ٢/٢٧٥ .
٩٨- المرجع نفسه ١٥/١٩٤.
٩٩- المرجع نفسه ٣/١٢١.
١٠٠- انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب -٠ ط٢- مكتبة لبنان ، ١٩٩٦م ، ص٣٨٢.
١٠١- فتح البيان ١٥/٤٣٤٧.
١٠٢- المرجع نفسه ٤/٤٣٨.

١٠٣- المرجع نفسه ١/٨٥.
١٠٤- المرجع نفسه ٢/٣٩٠.
١٠٥- المرجع نفسه ١/٧٣ .
١٠٦- المرجع نفسه ١٠/٢١٦.
١٠٧- المرجع نفسه ٦/٣٢٨.
١٠٨- المرجع نفسه ٢/٢٣٦
١٠٩- المرجع نفسه ١/٥٨.
١١٠- المرجع نفسه ٨/٩٥.
١١١- المرجع نفسه ٥١/٣٨٤.
١١٢- المرجع نفسه ٦/٣١٠ .
١١٣- المرجع نفسه ١٥/١٧٦.
١١٤- المرجع نفسه ١٣/٢٧٧.
١١٥- المرجع نفسه ٢/٣٠٧.
١١٦- المرجع نفسه ١١/٢٢١.
١١٧- المرجع نفسه ٢/٣٨٠.
١١٨- المرجع نفسه ٥/٢٥٧.
١١٩- المرجع نفسه ٢/٦٤.
١٢٠- المرجع نفسه ٢/١٣٠.
١٢١- المرجع نفسه ١٠/٧٥.
١٢٢- المرجع نفسه ٧/٢٧٦.
١٢٣- المرجع نفسه ١/٢٢٨.
١٢٤- المرجع نفسه ١٥/٢٠٤.
١٢٥- المرجع نفسه ٢/ ٤٠٤.
١٢٦- المرجع نفسه ١/٨٥.
١٢٧- المرجع نفسه ٢/٢٠٠.
١٢٨- المرجع نفسه ١٥/١٥٨.
١٢٩- المرجع نفسه ١٥/٢٥٤.
١٣٠- المرجع نفسه ٢/١٤٥.
١٣١- المرجع نفسه ٤/٤٣٨.
١٣٢- المرجع نفسه ٥/٣٤٨.
١٣٣- المرجع نفسه ١/٣٥٤.
١٣٤- المرجع نفسه ٨/٣٣٣.

١٣٥- المرجع نفسه ٣/١٤٦.
١٣٦- انظر : الإيضاح، ص١٤٥-١٦٤.
١٣٧- فتح البيان ١/٥٩.
١٣٨- المرجع السابق ١/٣٤١.
١٣٩- المرجع نفسه ١/١٤٨.
١٤٠- المرجع نفسه ١/ ١٧٦.
١٤١- المرجع نفسه ٢/٢٧٦.
١٤٢- المرجع نفسه ٢/٤٠٨.
١٤٣- المرجع نفسه ٢/١٢٧.
١٤٤- المرجع نفسه ١٠/٢٥٩.
١٤٥- المرجع نفسه ٧/٤٦٥ .
١٤٦- المرجع نفسه ١٤/١٦٣.
١٤٧- المرجع نفسه ١/٨٤-٨٥.
١٤٨- المرجع نفسه ٢/٣٥٢ .
١٤٩- المرجع نفسه ٢/١٥٢.
١٥٠- المرجع نفسه ٣/١٦٧.
١٥١- المرجع نفسه ٣/١٧٦.
١٥٢- المرجع نفسه ١/٣٠١.
١٥٣- المرجع نفسه ١/٨١-٨٢.
١٥٤- المرجع نفسه ١٤/٢٣٩.
١٥٥- المرجع نفسه ١٤/١٥٤.
١٥٦- المرجع نفسه ١٥/٤٥٠.
١٥٧- المرجع نفسه ٢/١٧١.
١٥٨- المرجع نفسه ٣/١٢.
١٥٩- المرجع نفسه ١٣/٢٥١.
١٦٠- المرجع نفسه ٢/٣١٨.
١٦١- المرجع نفسه ١/٤٩.
١٦٢- المرجع نفسه ١/٣٠٣.
١٦٣- المرجع نفسه ٢/٣٥٢.
١٦٤- المرجع نفسه ٢/٤٠١.
١٦٥- المرجع نفسه ١/٣٤٩.
١٦٦- المرجع نفسه ٢/٩٠.

١٦٧- المرجع نفسه ١/٣٢٨.
١٦٨- المرجع نفسه ١/٩٠.
١٦٩- المرجع نفسه ١/٤٣٢.
١٧٠- المرجع نفسه ١/٢٨٩.
١٧١- المرجع نفسه ٧/٢٢١.
١٧٢- المرجع نفسه ١/٤٩.
١٧٣- المرجع نفسه ٢/١٦٢.
١٧٤- المرجع نفسه ٢/١٩٨.
١٧٥- المرجع نفسه ١٤ /١٧٢.
١٧٦- المرجع نفسه ١٤/١٦٤.
١٧٧- المرجع نفسه ١/٤٤٣.
١٧٨- المرجع نفسه ٢/١٠٥.
١٧٩- المرجع نفسه ٤/٢٠٦-٢٠٧.
١٨٠- المرجع نفسه ٢/١٣٧.
١٨١- المرجع نفسه ٢/٢٣٣.
١٨٢- المرجع نفسه ١٣/٣٦٣ .
١٨٣- المرجع نسه ٤/٢٧٤.
١٨٤- المرجع نفسه ٥/٢٦٨.
١٨٥- المرجع نفسه ١٣/٣١٧.
١٨٦- المرجع نفسه ١٤/٣٣٤.
١٨٧- المرجع نفسه ١٥/٢٧٥.
١٨٨- المرجع نفسه ٣/١٠٣.
١٨٩- الايضاح : ص ٩٥ .
١٩٠- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ؛ تحقيق عمر الطباع ٠- ط١ ٠- بيروت : مكتبة المعارف، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ص١٧٩.
١٩١- انظر: مفتاح العلوم ، ص١٧٠-١٧١.
١٩٢- انظر: المقتضب لأبي العباس المبرد؛ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة٠- القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث،

١٣٨٥هـ، ٣/ ٢٧٣ ، والبرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ؛ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .- القاهرة : مكتبة دار التراث ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م ٣/ ٣٤٧.

١٩٣- فتح البيان ١/٢٦٨.

١٩٤- المرجع السابق ١/٢٩٦.

١٩٥- المرجع نفسه ١٤/٣٠٤.

١٩٦- المرجع نفسه ٣/١٩٩.

١٩٧- المرجع نفسه ١/٢١٢-٢١٣.

١٩٨- المرجع نفسه ١/٤٠٤.

١٩٩- المرجع نفسه ١/٤١٠.

٢٠٠- المرجع نفسه ١/٢٠٢.

٢٠١- المرجع نفسه ١/٢٢٨.

٢٠٢- المرجع نفسه ١/٢٥٢.

٢٠٣- المرجع نفسه ١/٢٩٧.

٢٠٤- المرجع نفسه ١٤/٢٤٩.

٢٠٥- المرجع نفسه ١/٣٠٨.

٢٠٦- المرجع نفسه ١/٢٢٥.

٢٠٧- المرجع نفسه ١/٢٤١.

٢٠٨- المرجع نفسه ١/٢٧١.

٢٠٩- المرجع نفسه ١ /٣٨٨.

٢١٠- المرجع نفسه ٢/٣٢.

٢١١- المرجع نفسه ٢/٢٢٢.

٢١٢- المرجع نفسه ١٤/١٤٩ .

٢١٣- المرجع نفسه ١/٢٧٣.

٢١٤- الإيضاح ، ص ٢٥٠ – ٢٦٢.

٢١٥- فتح البيان ٥/٣٢٠.

٢١٦- المرجع السابق ١/٥٠.

٢١٧- المرجع نفسه ١/١٠٦.

٢١٨- المرجع نفسه ١/١٠٨.

٢١٩- المرجع نفسه ١/١٢٩.

٢٢٠- المرجع نفسه ١/١٤٨.

٢٢١- المرجع نفسه ١٢/٢٥٨.

٢٢٢- المرجع نفسه ١٠/٢٥٠.

٢٢٣- المرجع نفسه ١٣/٢٣١.

٢٢٤- المرجع نفسه ٧/٤١٩.

٢٢٥- المرجع نفسه ٧/٢٥٩.

٢٢٦- المرجع نفسه ١/١٥٥.

٢٢٧- المرجع نفسه ١/١٦٣.

٢٢٨- المرجع نفسه ١/١٧٦.

٢٢٩- المرجع نفسه ١٤/٢٣٩.

٢٣٠- المرجع نفسه ١/١٨٣.

٢٣١- المرجع نفسه ٢/٣٠٨.

٢٣٢- المرجع نفسه ١٢/٤١.

٢٣٣- المرجع نفسه ٦/١٠٦.

٢٣٤- المرجع نفسه ١/٤٢٤.

٢٣٥- المرجع نفسه ٢/٣٢١.

٢٣٦- المرجع نفسه ١٤/٢٩٦.

٢٣٧- المرجع نفسه ٨/٢٢٩-٢٣٠.

٢٣٨- المرجع نفسه ١/١١٨.

٢٣٩- المرجع نفسه ١/ ٢٠٣.

٢٤٠- المرجع نفسه ١/١٨٢.

٢٤١- المرجع نفسه ١/٢١٩.

٢٤٢- المرجع نفسه ١/٢٨٥.

٢٤٣- المرجع نفسه ١/٤٢١.

٢٤٤- المرجع نفسه ٢/٢٧٤.

٢٤٥- المرجع نفسه ٢/٢٩٩.

٢٤٦- المرجع نفسه ١/٢٤٨.

٢٤٧- المرجع نفسه ٢/٦٢.

٢٤٨- المرجع نفسه ١/٤٢٩.

٢٤٩- المرجع نفسه ١٥/٨٢.

٢٥٠- المرجع نفسه ٢/٢٠٩.

٢٥١- المرجع نفسه ١/٢٥١.

٢٥٢- المرجع نفسه ٩/١٢٨-١٢٩.

٢٥٣- المرجع نفسه ١٤/٢٤٢.

٢٥٤- المرجع نفسه ٢/٢٠٧.

٢٥٥- المرجع نفسه ١/٢٩٥.

٢٥٦- المرجع نفسه ٢/ ٣٠٧.

٢٥٧- المرجع نفسه ٢/٢٧٩.

٢٥٨- المرجع نفسه ٢/٢٣٨.

٢٥٩- المرجع نفسه ٢/٣٦٦.

٢٦٠- المرجع نفسه ٤/٣٧١.

٢٦١- المرجع نفسه ٤/٤٢٧.

٢٦٢- المرجع نفسه ١٥/١٤.

٢٦٣- المرجع نفسه ٢/١٠٢.

٢٦٤- المرجع نفسه ٢/١١١.

٢٦٥- المرجع نفسه ١٥/١٢٨.

٢٦٦- المرجع نفسه ١٤/٢٨٣.

٢٦٧- المرجع نفسه ١٥/٣٨٣.

٢٦٨- المرجع نفسه ١٥/٣٢٢.

٢٦٩- المرجع نفسه ٩/٤٢١.

٢٧٠- المرجع نفسه ٨/٣٢٨.

٢٧١- المرجع نفسه ١٤/١٢٣.

٢٧٢- المرجع نفسه ١٥/٣٥٤.

٢٧٣- انظر: الإيضاح، ص١٦٤، وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان لجلال الدين السيوطي .- القاهرة : مكتبة البابي الحلبي ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ، ص٢٧ .

٢٧٤- انظر: الإيضاح ، ص١٦٤.

٢٧٥- فتح البيان ٩/١٥٩.

٢٧٦- انظر : الإيضاح ، ص١٦٥.

٢٧٧- فتح البيان ١/١٧٨.

٢٧٨- المرجع السابق ١/٢٢١.

٢٧٩- المرجع نفسه ١/٣٢٦.
٢٨٠- المرجع نفسه ٢/٤٠١.
٢٨١- المرجع نفسه ١٣/١٣.
٢٨٢- المرجع نفسه ١٤/٢٤٧.
٢٨٣- المرجع نفسه ٦/٢٠٩.
٢٨٤- المرجع نفسه ١٣/٢٣٥.
٢٨٥- انظر : الإيضاح ، ص١٧٣.
٢٨٦- فتح البيان ١/ ٢١٤.
٢٨٧- المرجع السابق ١٢/٣٧٤.
٢٨٨- المرجع نفسه ٧/٢٦٠ .
٢٨٩- المرجع نفسه ١٠/٢٥٠.
٢٩٠- المرجع نفسه ٨/٩٥.
٢٩١- المرجع نفسه ١١/٢٨٣.
٢٩٢- المرجع نفسه ١١/١٩.
٢٩٣- انظر: الإيضاح، ص١٧٢، وأنوار الربيع في أنواع البديع لعلي صدر الدين بن معصوم المدني؛ تحقيق شاكر هادي شكر.- النجف، ١٣٨٨هـ/١٩٥٢م ٢/١٩٨.
٢٩٤- فتح البيان ١/٣٨٣.
٢٩٥- المرجع السابق ١/٤٣١.
٢٩٦- المرجع نفسه ٧/٤١٧.
٢٩٧- المرجع نفسه ١/١٩٤.
٢٩٨- انظر : الإيضاح ، ص١٧٣ .
٢٩٩- فتح البيان ١/٣٣٢.
٣٠٠- المرجع السابق ١/٤٢٣.
٣٠١- المرجع نفسه ٢/٢٥٤.
٣٠٢- المرجع نفسه ١/٤٢٤.
٣٠٣- المرجع نفسه ١/٨٣.
٣٠٤- المرجع نفسه ١٤/١٩٣.
٣٠٥- المرجع نفسه ١٥/٣٨٣.
٣٠٦- المرجع نفسه ١٠/٧٧.
٣٠٧- المرجع نفسه ١/١٧٦.
٣٠٨- المرجع نفسه ٢/٨٢.
٣٠٩- المرجع نفسه ٤/٢٠٦-٢٠٧.
٣١٠- المرجع نفسه ١/٢٩٧.
٣١١- المرجع نفسه ١/٢٨١.
٣١٢- المرجع نفسه ١٤/٧٥.
٣١٣- المرجع نفسه ٨/٢٣١.
٣١٤- انظر : الإيضاح : ص١٧٥.
٣١٥- فتح البيان ١٠/١٤١.
٣١٦- المرجع السابق ٣/٢١٤.
٣١٧- المرجع نفسه ٦/ ٣٤٦.
٣١٨- المرجع نفسه ١٤/١٧٧.
٣١٩- المرجع نفسه ١٥/٣٩٨.
٣٢٠- المرجع نفسه ١/ ١٤٩.
٣٢١- المرجع نفسه ١٢/٣٧٤.
٣٢٢- المرجع نفسه ١٣/٣٠٩.
٣٢٣- الإيضاح ، ص ٢٦٣ .
٣٢٤- انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي "ضمن شروح التلخيص".- القاهرة : مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٣٧م، ٣/ ١١٣.
٣٢٥- فتح البيان ٢/٣١٢.
٣٢٦- المرجع السابق ٢/٣٨٩.
٣٢٧- المرجع نفسه ١/٨٧.
٣٢٨- المرجع نفسه ١/٩٥.
٣٢٩- المرجع نفسه ١/٣٣٦.
٣٣٠- المرجع نفسه ٨/٢٢٧.
٣٣١- المرجع نفسه ١٥/١٧٦.
٣٣٢- انظر : عروس الأفراح ٣/ ١١٣.
٣٣٣- فتح البيان ٢/٣٤.
٣٣٤- المرجع السابق ١/٢٥٢.
٣٣٥- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ؛ تحقيق علي البجاوي ، وزميله.- بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص١٧٣.
٣٣٦- فتح البيان ٢/٢٥٤.
٣٣٧- المرجع السابق ٢/٤٨.
٣٣٨- المرجع نفسه ٢/٨٧.
٣٣٩- المرجع نفسه ٤/١٢٦.
٣٤٠- المرجع نفسه ١٣/ ٤٠٢.
٣٤١- المرجع نفسه ٨/٣٢٨.
٣٤٢- المرجع نفسه ٧/ ٥٨-٥٩.
٣٤٣- المرجع نفسه ١٠/١٢٧-١٢٨.
٣٤٤- المرجع نفسه ٢/٢٦٤.
٣٤٥- المرجع نفسه ٥/١٤٩.
٣٤٦- المرجع نفسه ١٠/١٢٦.
٣٤٧- المرجع نفسه ٧/٢٢٤-٢٢٥.
٣٤٨- المرجع نفسه ١٥/٥٥.
٣٤٩- المرجع نفسه ٩/٢٥٧-٢٥٨.
٣٥٠- المرجع نفسه ٨/٩١.
٣٥١- المرجع نفسه ٩/٣٠٨.
٣٥٢- المرجع نفسه ١٠/ ٣٨.
٣٥٣- المرجع نفسه ١١/١٧٤.
٣٥٤- الصناعتين ، ص ١٩٠.
٣٥٥- فتح البيان ١٥/٢٩.
٣٥٦- المرجع السابق ٧/٣٣٤.
٣٥٧- المرجع نفسه ٧/٤٦٧.
٣٥٨- المرجع نفسه ١٤/١٤٥.
٣٥٩- المرجع نفسه ١٥/١٩٠.
٣٦٠- المرجع نفسه ٢/٢٢٣.
٣٦١- المرجع نفسه ٦/٣٠٩ .
٣٦٢- المرجع نفسه ١٤/١٦٦.
٣٦٣- المرجع نفسه ٢/٢٥٣.

٣٦٤- المرجع نفسه ٣١١/١٥.
٣٦٥- المرجع نفسه ١٩٠/١٢.
٣٦٦- المرجع نفسه ٣٠٧/٢.
٣٦٧- المرجع نفسه ٢٠٦/٤.
٣٦٨- المرجع نفسه ٤٣٢/١.
٣٦٩- المرجع نفسه ٤٠٤/٩.
٣٧٠- المرجع نفسه ٣٧٩/٩.
٣٧١- المرجع نفسه ٢١٦/٧.
٣٧٢- المرجع نفسه ٤١٤/٩.
٣٧٣- المرجع نفسه ٤١٦/١.
٣٧٤- المرجع نفسه ٣٠٥/٢.
٣٧٥- المرجع نفسه ٤٠٦/٩.
٣٧٦- انظر: الإيضاح ، ص ٢٠٢ .
٣٧٧- فتح البيان ١٣٥/٤.
٣٧٨- المرجع السابق ٦١/٥.
٣٧٩- المرجع نفسه ٨٧/١.
٣٨٠- المرجع نفسه ١٣١/٢١.
٣٨١- المرجع نفسه ٢٩٨/١٣.
٣٨٢- المرجع نفسه ٩٠/٢.
٣٨٣- المرجع نفسه ١٩٥/٢.
٣٨٤- المرجع نفسه ٤٩/١.
٣٨٥- المرجع نفسه ٣٧٢/٢.
٣٨٦- المرجع نفسه ١٠٨/١.
٣٨٧- المرجع نفسه ٢١/١٥.
٣٨٨- حسن التوسل إلى صناعة الترسل لشهاب الدين محمود الحلبي؛ تحقيق أكرم عثمان يوسف ·- بغداد: دار الحرية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢١٢، وانظر: الأقصى القريب في علم البيان لزين الدين محمد التنوخي ·- القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٧هـ، ص٩٢.
٣٨٩- فتح البيان ٣١٧/٢.
٣٩٠- المرجع نفسه ١٥٢/٣.
٣٩١- المرجع نفسه ٩٧/١-٩٨.
٣٩٢- المرجع نفسه ١٠٩/١.
٣٩٣- المرجع نفسه ١٥٢/١٤.
٣٩٤- المرجع نفسه ٢/ ٣٨٣-٣٨٤.
٣٩٥- المرجع نفسه ٢٣٢/٢.
٣٩٦- المرجع نفسه ٢٢٤/٧.
٣٩٧- المرجع نفسه ٣٢٧/١.
٣٩٨- المرجع نفسه ٢٠٢/٥١.
٣٩٩- المرجع نفسه ٥١ /١٩٢.

المصادر والمراجع

- **الأقصى القريب في علم البيان** لزين الدين محمد التنوخي ·- القاهرة : مطبعة السعادة، ١٣٢٧هـ.
- **أنوار الربيع في أنواع البديع** لعلي صدر الدين بن معصوم المدني ؛ تحقيق شاكر هادي شكر ·- النجف، ١٣٨٨هـ / ١٩٥٣م.
- **الإيضاح في علوم البلاغة** للخطيب القزويني؛ تحقيق محمد خفاجي ·- ط٢ ·- القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٤م .
- **البرهان في علوم القرآن** لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ·- القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
- **حسن التوسل إلى صناعة الترسل** لشهاب الدين محمود الحلبي ؛ تحقيق أكرم عثمان يوسف ·- بغداد : دار الحرية ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- **دلائل الإعجاز** لعبد القاهر الجرجاني؛ تحقيق محمود شاكر ·- القاهرة : مكتبة الخانجي (د.ت).
- **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان** لجلال الدين السيوطي ·- القاهرة : مكتبة البابي الحلبي ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.
- **الصاحبي في فقه اللغة** لابن فارس ؛ تحقيق عمر الطباع ·- ط١ ·- بيروت: مكتبة المعارف ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح** لبهاء الدين السبكي "ضمن شروح التلخيص" ·- القاهرة : مطبعة البابي الحلبي، ١٩٣٧م.
- **فتح البيان في مقاصد القرآن** لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ؛ تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري ·- بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤١٢هـ ١٦٥/٣.
- **كتاب الصناعتين** لأبي هلال العسكري؛ تحقيق علي البجاوي، وزميله ·- بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .
- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** لضياء الدين بن الأثير ·- القاهرة ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.
- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها** لأحمد مطلوب ·- ط٢ ·- مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.
- **مفتاح العلوم** ليوسف السكاكي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.
- **المقتضب** لأبي العباس المبرد ؛ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ·- القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث ، ١٣٨٥هـ .

سيمياء اللون في الشعر السعودي المعاصر

خالد بن محمد الجديع

كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض

مدخل :

يمور العالم من حولنا بألوان شتى ، فحيثما التفت المرء رأى لوناً مرتبطا بإنسان أو حيوان أو نبات أو جماد، بل إن تلك الألوان هي الوسيلة الأقرب للتمييز والتعرُّف عندما تختلط الأمور ، وإذا كان من الصعب تحديد نقطة زمنية يحال إليها عند الحديث عن الاهتمام الفلسفي بالألوان فإن "الأمر المؤكد أن هذا الاهتمام إنما يضرب بجذوره في الماضي البعيد"[1] .

وقد حاول المفكرون والفلاسفة منذ أقدم العصور البحث في دلالات اللون ، ربطوا بين الأرض ولونها والجسم وأجزائه[2]، في إشارة واضحة إلى عدم انفكاك الإنسان وما حوله عن عالم الألوان .

إن تلك الجاذبية التي يحققها اللون تجعله عنصراً مهماً "من عناصر التشكيل الجمالي في الفنون بعامة والشعر بخاصة"[3] . وبما للون من فاعلية وتأثير انعطف لفيف من الباحثين إلى دراسته في آي الكتاب العزيز[4] ، وبحث فريق ثان تماسه مع اللغة والمكونات النقدية للعمل الأدبي[5] ، وعالج آخرون علاقة اللون بالشعر ، فرصدوا انعكاساته على الإبداع، وتأملوا قدرة الشاعر في التعامل مع مكوناته ودلالاته ، من خلال دراسات تطبيقية مستقلة ، توجه بعضها إلى الشعر القديم[6]، وبعضها الآخر إلى الشعر الحديث[7] ، ولأنه لا يوجد – حسب علمي – بحث يداور هذا العنصر الفعال في الشعر السعودي المعاصر ، فقد جنحت هاته الدراسة إلى هذا المجال الرحب .

وقبل مباشرة البحث لا بد لي من الوقوف عند الأمور التالية :

١ – تفتيقات العنوان وبنيته :

يحيل عنوان هذا البحث على ثلاث مناطق تحتاج إلى تأسيس وإرساء من زاويتي البحث والباحث :

المنطقة الأولى : تأسيس في الدرس السيميائي .

المنطقة الثانية : تأسيس في الدرس اللوني .

المنطقة الثالثة : تأسيس في الشعر السعودي .

وما كان لبحث مثل هذا أن يتحمل جهداً كبيراً، لا يبدو فيه ظاهرياً – لقلة صفحاته – إلا الشيء الضئيل، لكني أحسب أن البحث العلمي ينبغي أن يمر بجميع الخطوات وأن يقطع المراحل كافة سواء أكان المشروع الذي يعالجه أطروحة علمية تصدر في كتاب ضخم أم بحثا محكما منشوراً في مجلة ، ومن هنا فإني أستميح القارئ العذر في اللجوء إلى التكثيف في العرض ، وفي ترك الإسهاب الذي هو ألصق بالمدونات الطويلة على الرغم من وجود مغرياته التي تتمثل في سعة المادة العلمية المدروسة وانفتاح العنوان .

٢ – العينة بين المصداقية والعشوائية :

قد يشي العنوان الذي اختير ليوسم به هذا البحث بسعة جاءت من عدم تحديده باتجاه أدبي ، أو بحقبة معينة، أو بشاعر وحيد تصدق عليه الظاهرة ، ذلك أنه انفتح على الشعر السعودي المعاصر كاملاً ، وهذه السعة تجعل السيطرة على مادته ، والتعامل مع دلالاتها وإحكام المنهج والتحقق من النتائج أمراً عسيراً . وبالتالي سيتوقع

قارئ العنوان أن الباحث سيعتمد الانتقائية القائمة على الاختيار الجزافي المبني على ما وقع بين يديه من الدواوين.

وإذا كان مثل هذا التوقع مسوَّغا للقارئ لوجود دواعيه ، فإني أؤكد له أن الباحث سار في اختيار العينة على طريقة علمية يزعم أنها منضبطة ، حيث قمت باستعراض - حسب الطاقة - للدواوين السعودية، وقصدت المختصين من الزملاء في هذا المجال، فتكشف لي بعد طول تأمل أن ما اخترته من الدواوين هو الأقرب إلى العنوان، ذلك أن دراسة مثل هذا الموضوع لا تعني الحديث عن كل شاعر سعودي يرد اللون في شعره ؛ لأن كل الشعراء السعوديين تعاملوا مع الألوان ، بل إنك لا تستطيع أن تجد شاعرا قديما أو وسيطا أو حديثا يخلو ديوانه من إشارة لونية مباشرة أو غير مباشرة ، المناص إذن عند اختيار الشاعر هو الخصوصية، وهي في هذا البحث تتعلق بأمرين:

الأول - كثرة الاستعمال .

الثاني - طبيعته .

فعند تأمل الدواوين الشعرية السعودية وضعت هذين المعيارين أساساً أركن إليه في اختيار شاعر ما ، وترك شاعر آخر، وبذلك تكون العينة المختارة تمثل الموضوع؛ لأنها لم تعتمد على العشوائية، بل كانت قائمة على التدبر والفحص.

على أن الباحث لا يجزم - وهو يقوم بعملية الانتقاء - بأن المادة التي اختارها تمثل التعامل الحقيقي للشعراء السعوديين مع الألوان ، إذ لا شك أن مثل هذه الأعمال المسحية مهما بذل فيها من جهد سيفوت عليها الكثير ، فربما أغفلت شاعراً جديراً بالدراسة ، وسقط من بين يديها ديوان حقيق بالتأمل والنظر .

٣ - تقلبات المنهج وطبيعة المعالجة :

يحتاج موضوع بهذا الشمول وهذه السعة إلى طائفة من المناهج التي تسهم في معالجته ، وإلى مجموعة من المعايير التي تحدده ، وترسم مساره ، وتساعد في بلورة أفكاره؛ ولذا فمهما كانت درجة التدقيق والصرامة ومقدار القلق والتحري لابد أن يعتور هذا العمل القصور وتتخلله الهنات ، ومما يسهم في فتح تلك الثغرات أن البحث لم يتوجه إلى الشعراء الكبار المشهورين ، وإنما كان المناط هو جودة التوظيف ، وذلك أمر يسهل التشكيك فيه؛ لأن الباحث يطرح شيئاً يخالف السائد ، وليس معه من المتسع ما يثبت به صحة دعواه .

إن أول شيء نقرره بسبيل هذا البحث هو أنه ليست هناك دلالات ثابتة للألوان ، فهي متقلبة يتحكم فيها الزمان والمكان والثقافة ، وليس هنا مجال الحديث عن تغير دلالات الألوان عبر التاريخ(٨) .

وما من شك أن تغير تلك الدلالات يجعل الباحث لا يركن إلى دلالة ثابتة للون يدور في فلكها كلما وجده، فالمجال خصب أمام الشاعر ، ويمكن التحرك فيه دون قوالب ثابتة، وعلى الناقد بعد ذلك أن يتلمس الدلالة بالنظر إلى السياق الذي استعمل فيه اللون دون الاقتصار على الموروث الثقافي له .

ولأن للألوان دلالات يدخلها التأويل في كثير من الأحيان فإن المنهج السيميائي يلح كثيراً لتقديم نفسه في هذا المشروع ، وإذا كان هذا المنهج غربي النشأة والتطور، فإن نقادنا الحداثة قد أسهموا في بلورة نظريته عبر الترجمة حينا(١٠) ، ومن خلال مناقشة جدواه والبحث في خلفياته ومفاهيمه وآلياته حينا آخر(٩) ، ثم تجاوزوا هاتين المرحلتين فقدموا تطبيقات جيدة لمعطياته وأدواته(١١) .

وقد تنوعت الأساليب التي دخل منها النقاد إلى معالجة الألوان في الأعمال الإبداعية ، لكنها كانت في الغالب تقوم على طريقتين ، تنطلق الأولى منهما إلى تتبع كل لون من الألوان في الأثر الأدبي ودراسته على حدة، وتلك طريقة أحسب أنها تقطع أوصال البحث، وتحرم القارئ

من الاستمتاع بالمشهد الكامل للديوان أو للقصيدة أو للبيت.

أما الطريقة الثانية ، وهي الشائعة ، فهي تجنح إلى تقسيم محاور الدراسة إلى :

١ – ألوان مباشرة .

٢ – ألوان غير مباشرة .

٣ – ألوان رامزة .

والمتأمل لهذا التقسيم يجد فيه تداخلا يخرم المنهجية العلمية ، إذ من الصعب تحرير الألوان مباشرة أو غيرة مباشرة من الدلالة الرمزية أو الإيحاء ، وإن صح هذا التحرير في مواطن ، فإنه لا يصح في مواضع أخرى ؛ ذلك أن اللون في الشعر يختلف عنه في الكلام العادي، فالشاعرية تُحَمِّل اللون أبعادا فوق دلالتها الأصلية ، وتختلف تلك الأبعاد بعد ذلك في رمزيتها ودرجة إيحائها ، ومن هنا فإني سأحاول الانطلاق في معالجة مباحث هذه الدراسة من خصوصية الموضوع ، دون السير في طريق نمطي لا ينبع من المادة المعالجة ، حتى لا يلبس هذا البحث ثيابا جاهزة تبدو غير مفصلة له .

إن طبيعة تعامل الشعراء السعوديين المعاصرين مع اللون تقتضي مني أن أقسمه إلى ثلاثة مباحث :

١ – اللون عنوانا للديوان .

٢ – اللون عنوانا للقصيدة .

٣ – اللون الانفصالي المبثوث في النص .

أولاً – اللون عنوانا للديوان :

لم يكن شعراء العرب القدامى يعنون بإطلاق أسماء على دواوينهم ، وكان الراوي أو الشارح هو الذي ينسب الديوان إلى صاحبه ، ولعل أول تسمية أطلقها شاعر قديم على ديوانه كانت صادرة من أبي العلاء المعري ، الذي سمى دواوينه بـ(سقط الزند) و(اللزوميات)[١٢] .

لكن تسمية الديوان أضحت مع بداية العصر الحديث أمرا مشاعا ، ثم أخذت مع الشعراء الرومانسيين منعطفا مفصلياً ، فلم يعد العنوان علامة إشارية تميز ديوانا عن آخر ، بل "أصبح ذا قيمة فنية نفسية ، مرتبطة بنفسية الشاعر وهاجسه"[١٣] .

العنوان هو البوابة التي سيُدْلَف منها، فإذا كانت تدل على ما في داخل الصروح من الجمال والرونق، فإنها مع الديوان تكشف بوضوح عما يريد الشاعر استثارته في قارئه، فعندما يحوي العنوان لوناً من الألوان فإن المتلقي يتهيأ تلقائيا لمعرفة أبعاده واستقبال دلالاته في النصوص الداخلية.

لقد صدَّر عدد غير قليل من الشعراء السعوديين دواوينهم بعنوانات تحوي ذكرا صريحا للون أو إشارة غير مباشرة إليه ، وهم بذلك يوحون للقارئ بأن ما سيأتي من قصائد الديوان هو انعكاس لعنوانه[١٤] .

ومن أقدم الشعراء السعوديين الذين ضمت أغلفة دواوينهم ذكرا صريحا للون الشاعر سلطان البادي ، حيث صدرت الطبعة الأولى من ديوانه (المخالب الحمر) عام ١٩٦٤م ، ولا يحتاج القارئ إلى أدنى تأمل ليربط بين هذه الحمرة ولون الدم ، فالمخالب المنغرسة في الجسد قد اصطبغت نتيجة إيغالها فيه بالدم الأحمر .

ويحيل هذا الاستعمال التركيبي للوهلة الأولى إلى شراسة طباع ينتج عنها هذا العنف ، لكن القارئ للديوان لا يعثر على ما يدل عليه عنوانه ، ولا يجد قصيدة معنونة بهذا العنوان حتى يتمكن من فحص الدلالة بشكل أدق ، بالإضافة إلى أن العبارة لم ترد في أي نص من نصوصه؛ مما يجعل كشف الرمز اللوني أمراً عسيراً .

إن معاني الأبيات التي تحتضنها العناوين لا تشير إلى عنف ، ولا يبدو فيها أن الشاعر تعرض لموقف غدر ، لا من حبيبته ولا من أصدقائه ، فهو يتحدث عن وصال ، ويصف متعا ، فما هذه المخالب الحمر إذن ؟

يفكر الفاحص لأفكار الديوان وهو يتأمل أبياته في دلالتين ربما كانتا وراء إطلاق الشاعر هذه التسمية على ديوانه ، الأولى تعود إلى أثر الحب على نفس الحبيب ، فالمعروف أن العاشق لا يتمكن من الوصال دائما ؛ ومن هنا تتحول سهام الحب إلى قلب المحب فتدمي فؤاده ، فهي أشبه بالمخالب المنغرسة التي تتشرب الحمرة أثناء نزعها .

أما الدلالة الثانية فهي بعيدة عن ذهن من لم يقرأ الديوان ؛ ذلك أنها لا تتبادر إلى وعيه إلا عند اقتراب حميمي منه ، لكن إيحاءها يرد بكثرة في شعر الشاعر ، فهو كثيراً ما يشير إلى الشفاه الحمر التي تأسر فتهلك ، وهذا هو الخيط الذي يمكن أن نسير مهتدين به؛ ليدلنا على حل الرمز ، فتلك الشفاه توقع من الألم على الناظر إليها ما يشبه وجع المرء من انغراس المخالب ، تأمل أبياته المقتطفة من بعض قصائده لتدرك ذلك ، يقول :

معظمُ الأحياءِ ثارتْ

حين أحياني هواكِ

فالورودُ الحمرُ تطفو

في رحيقٍ من شذاكِ(١٥)

ويقول :

الحمرةُ تربضُ في شفتيكْ

خمراً يستعبدُ من رَشَفَهْ(١٦)

ومما يعمق إحساس الشاعر بالألم نظرة التفرقة التي يمارسها المجتمع بين الأبيض والأسود، فهو يشير إلى أنه ليس من أصحاب البشرة البيضاء، وأن ذلك أسهم في بعد المسافات، يقول في قصيدة (أنت أسود) على لسان والد الفتاة:

فيقولُ في غضبٍ تَقَمَّصَ شخصَهُ

لا تقربِ البيضاءَ إنَّك أسودُ(١٧)

وبعد هذا التاريخ بسنتين (١٩٦٦م) أصدر الشاعر حسن القرشي الطبعة الأولى من ديوانه (النغم الأزرق) لتشهد عنوانات الدواوين تحولاً مفصلياً سريع الحدوث ، فالزرقة في عنوان هذا الديوان ليست لوناً حقيقياً للنغم ، والأنغام لا تشاهد كما الألوان، لكن الحس الشاعري الطاغي جعل القرشي لا يكتفي بأن يرمز بالزرقة للصفاء والاسترخاء والهدوء العاطفي، بل يوظف تراسل الحواس لتكتمل الصورة، وتبدو أكثر إشراقا ، يقول :

مزرعةُ البوحِ ودنُّ الشذا

ما عشتُ من نهرِ الرؤى أستقي

أسبحُ في وادي المنى ذاهلا

وأنتشي بالنَّغَمِ الأزرقِ(١٨)

ويتراجع التوظيف الدلالي للون بعد هذه القفزة عند أحمد قنديل في ديوانه (أوراقي الصفراء) ، فالعنوان لا يحمل من الإشعاع الشعري ما يجعله قمينا بأن يصدر به عمل إبداعي ، فصفرة الورق الدالة على البلى والقدم قريبة المأخذ ، سهلة الاكتشاف، لكن الشاعر يحاول في القصيدة التي تحمل الاسم نفسه أن يمزج مشاعره الغابرة وأسراره الدفينة بصفرة هذا الورق ، فتستحيل هذه التقريرية – نتيجة ذلك الاختلاط – إلى تجربة منصهرة تنتشل اللون مما ألم به ، تقول حبيبته :

أوراقكَ الصفراءُ ماذا بها

من سرِّك المكنونِ في صدرِها

أليتُ أن أسمعَ في كهفِها

أصداءَ عمرٍ عاش في عمرِها

وأن أرى قلبَكَ يا شاعري

في شعرِهِ الملفوفِ في شَعْرِها

فقلتُ: لا بالله لا تفضحي

ما فاتَ منْ أمري ومنْ أمرِها

لا لا دَعيها أو دَعيني هنا

يا حلوتي بالقاعِ منْ قبرِها

فـإنهـا الأمسُ لنا مـاضـيـاً
وارتَهُ عنّا خلفَ أستـارِها[١٩]

وإذا كانت بوابة العنوان في الديوانين السابقين لم تنفتح إلا على قصيدة واحدة من قصائد الديوان فإن طاهر زمخشري في (مجموعة الخضراء) الصادر عام ١٩٨٢م ، قد أطلق للعنوان العنان ليجوب أرجاء قصائده ، فتونس التي هام بها الشاعر تلقي بظلالها على كثير من نصوصه الشعرية داخل ديوانه ، ويبرز اللون الأخضر المرتبط بها في عنوانات طائفة غير قليلة من تلك النصوص ، مثل (تونس الخضـراء ، فـهـد في الخضـراء ، ورقـات إلى الخضراء ، الأمل الأخضر ، أطياف الحلم الأخضر ، الموعد الأخضر[٢٠] ، في الواحة الخضراء) ، ويسحب اللون الأخضر رداءه على أبيات تلك القصائد فتبدو متوشحة بدلالة الإعجاب بتونس والحنين إليها كقوله :

الروابي في تونسَ الخضـراءِ
باسماتُ الرؤى بطيبِ الشذاءِ
مشرقاتُ الأطيافِ يخطرُ فيها الـ
ـمجـدُ بين الظلالِ والأفـيـاءِ
علمتْني الهـوى وأني أشـدو
بِبـهاها وفي هواها غِنائي[٢١]

وبالإشارة إلى الخصوبة والنماء كقوله :

واخضرَّ بالصبْرِ ما يرجوه مِنْ أملٍ
فطاب منه بأفياءِ الرضا الثَّمَرُ[٢٢]

وقوله :

فـأنا هاهنا وفي الواحـة الخضـ
ـراءِ شَـيَّدْتُ للهناءةِ قـصـرا[٢٣]

وبالإيماء إلى الفرحة والزهو كقوله :

فالموعدُ الأخضرُ الضاحي بفرحتنا
أراه من مسرحِ الأحلامِ يقتربُ[٢٤]

وقوله :

فـيرِفُّ الفؤادُ للـموعدِ الأخـ
ـضرِ بين الكرومِ والزيتونِ[٢٥]

وربما ارتبطت الدلالة بالحلم والتفاؤل كقوله :

يتـرامى ليـسـألَ الحلمَ الأخـ
ـضـرَ هل حـان وعدُنـا للقاءِ
أنا بالشـوقِ في انتظارِ اللقاءِ
وإليـه أمـدُّ حـبلَ الرجـاءِ[٢٦]

وتضم عنوانات القصائد والأبيات المبثوثة داخل نصوص هذا الشاعر ألواناً مباشرة ذات دلالات رمزية، لكنها غير مرتبطة بعنوان الديوان؛ سيأتي الحديث عنها في المبحثين القادمين.

ويعود ارتباط عنوان الديوان بعنوان إحدى قصائده مع إبراهيم مفتاح الذي أصدر عام ١٩٨٩م الطبعة الأولى من ديوانه (احمرار الصمت) ، ويتراوح هذا الاحمرار في القصيدة التي تحمل العنوان ذاته بين دلالة الخجل وعلامة الغضب ، وهذان الموقفان اللذان لم ينتجا شيئاً فاعلاً في قضايا الأمة جعلا الشاعر ينزع هذا اللون الذي يمتقع به الوجه لحظة التلبس بهاتين الحالتين ويسبغه على الصمت ذاته في شكل من أشكال السأم من هذا السكوت المطبق، يقول :

أتدري بعد مـا سـرُّ انصـهـاري
ومـا نوبُ القـريضِ على لسـاني
قـضـايا أمـتي مـأسـاةُ قـدسي
وقـهـرُ إرادتي مما أعـاني
عـدوٌ جـاثمٌ يحـتلُّ أرضي
ويلغي من خـريطتِـهـا مكاني
يجـرِّدُ من مـعـالمِـهـا تراثي
ومن تاريخِـهـا يمحـو كـيـاني
وصـار لصـمـتِك القـاني حـديثٌ
فقد أصبحتَ في الإحساسِ ثانِ[٢٧]

ويختم اللون الأبيض مسيرة الألوان المباشرة في عنوانات الدواوين ، ولكنها خاتمة مختلفة ، إذ ينفرد وحده ببقية الإصدارات التالية ، ففي عام ١٩٩٥م أصدر علي الدميني الطبعة الأولى من ديوانه (بياض الأزمنة) ، ويوحي هذا العنوان للوهلة الأولى بأن الشاعر قصد من توظيف اللون الأبيض إلى الإشارة للنقاء والطهر، لكن قراءة القصيدة التي تحمل اسم (البياض) والتي شحنها الشاعر بما استطاع من دلالة عنوان الديوان سرعان ما تغير هذا الانطباع ، وتحرف مسار هذا التوقع ، فالقارئ يرى بياضا مهزوما ، وسلاما مستكينا مع الزمن ، إنها رغبة المنهك في المصالحة على أي وجه ، لا ليلتقط الأنفاس ويستعيد القوة، ولكن لأنه لا يستطع تحمل المزيد من الهزائم المحققة ، يقول :

غسلَ الدهرُ حزنَنا بالأقاحي

واستوينا على بياضِ الجراحِ

ومهيضُ الجناحِ ما زال [يقظان]

حتى أتاه القطا بجناحِ[28]

تستبيني الخطى فأعدو إليها

مثقلاً بالحديدِ والألواحِ

لم تخنّي بصيرتي غير أنيّ

أتشهّى مباهجي وارتياحي[29]

وفي عام ٢٠٠٣م أصدر أحمد قران الزهراني ديوانه (بياض) دون أن يسمي قصيدة من قصائد هذا الديوان بهذا الاسم، ولا تبدو أن هناك علاقة حميمة بين هذا العنوان والنصوص التي يضمها هذا العمل ، ولا ترد هذه الكلمة إلا مرة واحدة في قصيدة (نبوءة التراب) وفيها يقول :

هكذا

تقرأُ البسملةْ

هكذا ..

حينما قرّرَ الطفلُ أن يمنحَ

الأرضَ بعض البياضِ المندّى

وأن يهجرَ المرحلة[30]

والبياض المرتبط بالطفولة في هذا النص رمز للبراءة ، لكن هذا اللون وهذا الرمز ظل مفقوداً في تضاعيف سائر النصوص ، مما يرشح أن الدلالة التي رامها الشاعر في عنوان ديوانه ليست هذه الدلالة الساذجة.

إن الديوان ينضح بالحزن، وتلف أسطره الكآبة، فهو في قصيدته الأولى (الطريق) يقول :

هذا الطريقُ غمامةٌ

والموتُ تحدوه السحابة

هذا الطريقُ المظلمُ الآتي على كفِّ الضبابِ

يقلُّ بارودَ الطغاة

وهذه الأضواءُ توغلُ في تواشيحِ السواد[31]

وفي قصيدته الثانية (حداد) يقول :

قفوا ..

هنا نقرأُ الفاتحة

قفوا فالذبيحُ العروبةُ

أمي ..

وهذا اليتيمُ

أنا ..

أنتِ ..

...

قفوا ..

شاطروني الحدادَ

عى أمةٍ

فاضحة[32]

لقد أعطى الشاعر لون البياض دلالة انعكاسية ، بالضبط كما كان يصنع أهل الأندلس معه ، حيث كانوا

يلبسون البياض في حالة الحداد والحزن ، وفي ذلك يقول شاعرهن :

لئن كان البياضُ لباسَ حزنٍ
بأندلسٍ فذاك من الصوابِ
ألم ترني لبستُ بياضُ شيبي
لأني قد حزنتُ على الشبابِ[٣٣]

ولا يحتاج القارئ لديوان عبدالله السميِّح (متدثر بالبياض) الصادر عام ٢٠٠٦م إلى تأمل كبير لمعرفة دلالة هذا اللون على الرغم من أنه لم يخص نصا من قصائد الديوان بهذا العنوان ، لكن هذه العبارة قد وردت في القصيدة التي عنوانها (كاتب الغيم) ، وقبل مباشرة أبياتها ذكر الشاعر أنها موجهة إلى الأديب والكاتب والإنسان الأستاذ حمد القاضي، وفيها يقول :

متدثرٌ بالغيمِ والوطنُ البهي
ومسيَّجٌ بالنخلِ يمشي باسقاً
تتهامسُ الأشجارُ حين يمرُّ تعرفُه
وتحكي عن نداه
عن عشقِهِ للأرضِ
عن إيمانِهِ
...
رجلٌ ناصعٌ
يتملى البياضُ بشاشتَه
وينبلجُ الطيبُ أنى مشى[٣٤]

إن هذا البياض الذي يتدثر به هذا الممدوح ما هو إلا رمز للطهر والنقاء والصفاء والصدق ، وتلك دلالة رمزية يعطيها هذا اللون للوهلة الأولى .

وإذا كانت السيطرة على الدواوين التي يحمل عنوانها لوناً مباشرا أمرا ليس بالعسير، فإن ذلك مع اللون غير المباشر بالغ الصعوبة نظرا لكثرتها من جهة[٣٥] ، ولأن العنوان في طائفة غير قليلة منها لا يسحب دلالته - بشكل واضح - على أبيات الديوان من جهة أخرى ، ومن هنا فإن حديثي عنها سيكون مرتبطا بما أرى أنه يخدم الموضوع ويحقق الهدف .

وتبدو دلالة ديوان (الأنغام المضيئة) للشاعر محمد بن أحمد العقيلي ذات طابع يقوم على تراسل الحواس ، فالأنغام التي تسمع بالأذن أضحت تشع ضوءا براقا يهدف الشاعر من ذكره إلى التأكيد على أن قصائده التي يكتبها تفيض بما يستعذب القارئ سماعه ومشاهدته .

والقارئ لهذا الديوان يجد أن هذا التراسل المعتمد على اللون قد خفت في عنوانات القصائد فلم يحمل أيٌ منها عنوان الديوان ولا شيئاً من دلالته، بل جاءت تلك العناوين مباشرة وبعيدة عن الحس المجازي الذي بدا عاليا في صدر العمل ، لكن نصوص القصائد قد حفلت بلغة مجازية وظفت اللون غير المباشر بشكل كثيف أعاد التألق الذي أومئ إليه في غلاف هذا العمل ، يقول في قصيدة (قصر الإمارة في جازان) متلاعبا بدلالة الألوان غير الصريحة :

لاحَ كالبدرِ قد بدا من حجابِهِ
يتهادى الضياءُ ملءَ رحابِهِ
كلما أسبل الظلامُ تجلّى
نيِّراً ينصلُ الدجى من خضابِهِ
ويجولُ الضياءُ في مُشْمَخِرٍّ
طاول الجوَّ ضارباً في سحابِهِ
غمر النورُ سوحَه وجلاه
ألقاً يُشْرِقُ السَّنا من إهابِهِ
تتدلى زُهْرُ المصابيحِ منه
شُهُباً في بروجِه وقبابِهِ
شُعَلٌ من تألُّقٍ وبهاءٍ
ضُرِبَتْ هالةً على أطنابِهِ

غـرفٌ كـالنجـوم مـؤتلقـاتٌ

زانها الجودُ غامراً في انسكابِه

ومقاصيرُ بالندى مشرقاتٌ

كل راجٍ يغدو بخيرِ رغابِه[٣٦]

إن لغة الإضاءة هي التي فرضت سطوتها على عبارات هذه القصيدة ، ولا يحتاج القارئ إلى أدنى تأمل حتى يدرك ذلك ، فهي بادية في (البدر ، الضياء (٢)، النور، ألقا ، يشرق ، السنا ، المصابيح ، شهبا ، شعل ، تألق، هالة ، النجوم ، مؤتلقات ، مشرقات) .

وتظل هذه اللغة المشعة بنور الألوان سمة لهذا الديوان حتى لو لم يكن العقيلي يتحدث عن صرح متلون بالألوان الحسية استمع إليه يقول في قصيدة (برسي شيلي) الشاعر الإنجليزي :

روحُ على الفنِ من إشعاعِه ألَقُ

يلوحُ في ومضاتِ الفكرِ يأتلقُ

وشعلةٌ من ذكاءٍ ظلَّ يلهبُها

قلبٌ غدا بأوارِ الحبِّ يحترقُ

حلَّتْ تجاليدَ جسمٍ ظلَّ جوهرُها الشـ

(م) ـفافُ دراً مضيئاً ضمَّه الصَّدَفُ

تعبُ ضوءَ بيانٍ ثم تنفثُه

شعراً تلألأ من إشراقِه الصحفُ

أغناه مرقَمُه عن ريشةٍ رَسمَتْ

روائعاً من فنونِ الرسمِ والصورِ

فألَّفَتْ بين أصباغٍ ملوَّنةٍ

شتى الظلالِ مع الأضواءِ للنظرِ

من كلِّ خالدةٍ في الفنِ باقيةٍ

على الزمانِ بقاءَ الشمسِ والقمرِ[٣٧]

لقد فاضت هذه القصيدة بالألوان غير المباشرة التي أحسسنا بهيمنتها وتأثيرها (إشعاعه ، ألق ، ومضات، يأتلق ، شعلة، دراً، مضيئاً ، ضوء، تلألأ، إشراقه، الرسم، الصور، أصباغ، ملونة، الأضواء، الشمس، القمر) وبذلك عاد النغم المضيء الذي افتقد في عنوانات القصائد.

ويحمل عنوان ديوان محمد الفهد العيسى (الإبحار في ليل الشجن) دلالة معاكسة لدلالة ديوان العقيلي، فالليل المحتوي على الظلمة لون غير مباشر للسواد ، وقد مد هذا السواد الموحي بالتشاؤم رواقه على بعض عنوانات القصائد، فجاءت متجللة بهذا الحس التشاؤمي مثل (الاحتراق، دروب الضياع، شموع تحترق، جدار الأحزان، غربة شاعر، أسوار المقابر ، عويل الصمت ، ضباب الأسى ، أعاصير الجراح، ضياع، معول الصمت، الرياح السوداء ، غربة) .

إن إحساس الشاعر بالغربة والمعاناة هو ما جعله يلح على الليل المقترن بالظلام ، لأنه هو السمير له في وحدته ، وهو الوسيلة التي من خلالها يستطيع التنفيس عن الآلام التي يحس بها :

يا ليالي البؤسِ والحرمان ..

خذيني ..

أنا لا أعرفُ إلا أنت ..

في كلِّ سنيني

ليَ أنت القوتُ ..

ومن الحرمانِ ترتاحُ

على الشقْوةِ نفسي[٣٨]

لكنه في كثير من الأحيان لا يوفق في التنفيس عما يحس به فيختنق، وتتحول الظلمة إلى رعب ينضح بالسأم والألم :

يا شقوةَ الإنسانْ

عندما يَضلُّ منه الحرفُ في بواتقِ الألمْ

لأنه إنسانْ

يغتاله الظلامُ في الدروبِ .. شارقاً بِدَمْ

في هاليزِ الظلام .. يختنقْ ..

بالسأمْ ..

بالألمْ ..

ويلعنُ الحياهْ[٣٩]

ولا يبدو للصبح والنهار اللذين يرمزان للتفاؤل والأمل واللذين يعطيان لوناً غير مباشر - نتيجة احتوائهما على النور والضياء - أي وجود :

واللفحُ ينثرني على شوكِ القتاد

أشلاء لا كالطيرِ يرمدُني النداء

وبأضلعي الناي استحرْ

ومات في كلِّ الدروبِ

إلى متاهاتي الضياءْ[٤٠]

وعندما تستبد بالعيسى مشاعر العذاب والحرقة نتيجة طعنات الأصدقاء الذين أحسن إليهم لا يكتفي بإيحاء اللون غير المباشر بل يصرح بالسواد ، ويكشف عن أن تشاؤمه من الحياة كان نتيجة الغدر والخيانة :

وأحبّائي الناسُ شروني

بالشزْرِ من النظراتِ الميتهْ

ياليتهْ..

ويموتُ العفنُ الأسودُ

عند مواطئ أقدامي

وخناجرُ قرصانِ العُتْمَهْ

تغرزُها في قلبي .. في ظهري .. في جسدي

أيدٍ مُهرَتْ من مَيْسَمِ ظُلْمَهْ[٤١]

ولا يكتفي العيسى بوسم الليل بالسواد ، بل ينقل هذا اللون للرياح التي تهب فيه ، ويشعر القارئ لقصيدة (الرياح السوداء) أنه يسقط آلامه ومتاعبه ، وحنقه من الخونة على تلك الريح فيقول :

آه يا رياحَ الليلةِ السوداء ..

يا اندلاعَ شقوةِ العُمُرْ

شقائقُ النعمانِ في براءةِ الأطفال

روّعتْ

تنهّدتْ

تكسّرتْ

في مُنحنى ظلام دربٍ مُنْحَدِرْ[٤٢]

وتختفي هذه الدلالات لدى الشاعر محمود عارف في ديوانه (ترانيم الليل) فالليل عنده مولِّد للأنس والطرب ، والترانيم تنسب إليه ، وليس للظلمة والسواد التشاؤمي سطوة ظاهرة على عنوانات القصائد أو أبياتها .

وإذا كان البحر يزخر بالخوف والظلمة ، فإنه عند الشاعر يستحيل حتى في حلكة الليل إلى منظر رائع ، فالشاعر بتفاؤله لا يرى الليل ، وإنما يشاهد القمر ، ولا يبصر غدر البحر ورهبته ، بل يستمتع بأمواجه العاتية التي تنسيه همومه ، راكباً حيناً :

له بيتٌ قد تركتُ همومَه

خلفي وطرتُ على جناحِ الزورقِ

طلّقتُ في عقرِ المدينة جورَه

وأتيتُ منتجعاً لآخرَ مشفقِ

فنسيتُ عند العَيلمِ الألمَ الذي

كابدتُ أقساه بما لم يسبقِ[٤٣]

ورساماً لمنظر تمازج الليل مع خضم البحر أحياناً أخرى:

إن أنسَ لا أنسى سعادةَ فرصةٍ

قضّيتُها قربَ العبابِ المونقِ

حيثُ المرائي ثرةٌ تختالُ في

بُرْدِ المفاتنِ والبهاءِ الشيِّقِ

ماذا لقيتُ نعم لقيتُ سعادةً

وطلاقةً في لحظةِ المستغرقِ

والبدرُ أفتنُ ما يكونُ سطوعُه

فوق الخضَمِّ كسائلٍ من زئبقِ

تترقرقُ الأضواءُ فوق عُبابِه
أبداً كرقرقةِ السرابِ الديسقِ(٤٤)
يضفي على الأمواجِ ثوبُ شعاعِه
من تحته حللاً من الإستبرقِ(٤٥)

ونرى الليل عند عبدالعزيز العجلان في ديوانه (أشياء من ذات الليل) مشحوناً بدلالات عميقة ، فهو ليس كسابقيه يتحدث ظلمته المخيفة ، أو يجعله مجالاً للتفكير في الهموم والمتاعب أو يستمتع بما يعطيه أحياناً من متعة واسترخاء ، وإنما يوغل في محاولة اكتشاف ما يدار فيه من مؤامرات ودسائس، فهو بوعيه وبصيرته يرى ما لا يراه الآخرون:

عرفتُ الذي كان .. رأيتُ الذي لم يرَ
انغمستُ على صمتٍ خلال المداخلِ ثم ارتددتُ على
وقعِ آثارِهم موجعاً مرهقاً مبصرا
عرفتُ الذي كان رأيتُ الذي أسرج الدم بالدم
ومعتصرَ الحقدِ باسمِ الإباءِ
رأيتُ الذي أشعل الموتَ في الذاكرة
بصرتُ بهم يحرقون المشاعلَ فوق المداخلِ والليلُ
يقطرُ من حزنِه ما يشاء
بصرتُ بهم يحملون العروبةَ بئراً من النفطِ يلقونها
في الجحيمِ ويستوثقون الرتاجَ ثم يهيلون من دمها
الطهرَ فوق الدماء(٤٦)

ونتيجة لذلك تتملكه المخاوف ، فلا يحس بأن هذا الليل سيجلوه نهار ، وعبثاً يحاول من يرتقب النور ، لأنه مرتبط عند الشاعر بالصفاء النفسي المفتقد :

تتراجعُ التهويمةُ الجذلى
وللأشياءِ رائحةُ المخاوفِ
وتلفتُ الذكرى احتضار
عبثاً شموسُك أو سكوتُك
وارتقابُ النورِ في عينين عوسجتين

في سمِّ المحار
ها أنت ...
يرتعشُ الصدى حولي
وينهمرُ الظلام(٤٧) .

ويتفجر الليل المظلم الأسود ضياء وإشراقاً عند عبدالرحمن العشماوي في ديوانه (عناقيد الضياء) فهو في قصيدته التي تحمل الاسم نفسه يرى في الرسول ﷺ نوراً ساطعاً أطل على البشرية جمعاء فلا غسق ولا دجى بعد بعثته ، يقول ماذا هذا الضوء على أرجاء الكون :

ماذا ترى الصحراءُ في جنحِ الدُّجى
هي لا ترى إلا الضياءَ الساري
وترى على طيفِ المسافرِ هالةً
بيضاءَ تسرقُ لهفةَ الأنظارِ
وترى عناقيدَ الضياءِ ولوحةً
خضراءَ قد عُرِضتْ بغيرِ إطارِ
هي لا ترى إلا طلوعَ البدرِ في
غسقِ الدجى وسعادةَ الأنصارِ
هل يستطيعُ الليلُ أن يبقى إذا
ألقى الصباحُ قصيدةَ الأنوارِ(٤٨)

وفي آخر المطاف يضع غازي القصيبي اللون - دون أن يحدد هويته - في عنوان ديوانه (واللون عن الأوراد)، وهي عبارة سمى بها القصيدة الأولى من قصائد الديوان ، وتضمنتها أبيات تلك القصيدة .

والقارئ لهذا العمل يلحظ أن القوة اللونية - مع غيابها التام في سائر قصائد هذا الديوان - حاضرة بشكل غير عادي في النص الأول الذي تلامس فيه شاعرية القصيبي فصل الخريف المعروف بسحق النباتات وإبادة خضراءها، والشاعر في هذه القصيدة يرمز به إلى ذهاب العمر وانصرامه.

ويحضر اللون الأسود بدلالات مختلفة في هذه القصيدة ، فهو في مطلعها يدل على الحزن :

الشبقُ الخريفيُّ يمسُّ الشجرا

ويحيلُ الآفاقَ بالريحِ .. وبالرعدِ .. وبالسواد(٤٩)

ويبدأ هذا اللون بالتطور بعد عدة أسطر ليدل على الخوف من المجهول :

كنت أنا

في الغابةِ السوداءِ أحدوا الضجرا

وأرقبُ الآفاقَ تنجبُ الأولاد(٥٠)

ثم يبلغ قمة تطوره في نهاي النص ، حيث يدل على الغياب والموت :

من الذي أرجف

من قال الخريفُ انتحرا

من الذي استأجر في جريدةٍ

صفحتَها الأولى .. ولفَّ النعيَّ بالسواد ؟(٥١)

وفي نهاية المطاف يقضي هذا السواد المتشح بالموت على كل حياة في الكون ، فلا يبقي للشاعر إلا صدى الذكريات الغابرة :

فلم يدع في الغابةِ الخضراءِ

إلا ذكرياتِ الأخضرِ المياد

تأمليه .. انهمرا

فنفَّض الصيفَ عن الشباك

واللونَ عن الأوراد(٥٢)

ثانيا - اللون عنوانا للقصيدة :

عنوان القصيدة هو اللقمة الأولى التي إذا استسيغ طعمها انفتحت الشهية ، وبناء عليه يقرر المتلقي الاستمرار في تلقيه أو الانسحاب من متابعة العمل .

وإذا كان العنوان "هو أول لقاء بين القارئ والنص"(٥٣) فإن الشاعر المعاصر يعي ذلك تماماً، فهو "لا يختار العنوان اعتباطاً أو مصادفة ، وإنما بعد تأمل لأعماق تجربته ، بحيث يأتي العنوان دالا بشكل واضح على ما أراد أن يستثيره لدى قارئه"(٥٤) .

عندما تُقَرَّر هذه الحقيقة فإننا لا نقدم جديداً إذا قلنا : إن ورود اللون داخل بنيته يعني أن الشاعر سيسحب دلالاته وأبعاده إلى عالم النص ، ومن هنا تأتي أهمية دراسة الإشارات اللونية في عنوانات القصائد(٥٥) .

وربما اقتطع الشاعر جزءا من نصه رأى أنه يمثل التجربة وجعله عنوانا للقصيدة، نرى ذلك واضحاً في قصيدة (ألأنَّ لوني كالدجى) لأحمد عبد الغفور عطار، فالعنوان مستل من النص، وهو يمثله أصدق تمثيل، إذ يحاول الشاعر في هذه القصيدة أن يقارب بين البشر على اختلاف ألوانهم، نابذا عنصرية اللون التي جعلت الإنسان يزري بأخيه لا لشيء إلا لأنه يرى بياض بشرته قد أنزله مكانة لا يدانيها أصحاب البشرة السوداء ، أو السمراء ، يقول عطار :

ألأنَّ لوني كـــالدُّجى

ولأنَّ قـــلبـــي طـيِّـبُ

ولأنَّ لـونَـك يـا أخـي الـ

ـغـــربيُّ أبيضُ يخلبُ

تُزري بإنســـانيـــتي

وتزيدُني بصـــقـاً وركـلا

وتهـــدُّ كـــوخي يا أخي

وتؤودني سـجناً وقـتـلا(٥٦)

ويعمق الشاعر فكرة تكامل الرجل الأبيض مع الرجل الأسود وعدم تنافرهما، رامزاً للأول بالنهار وللثاني بالليل، فيقول:

أترى النهـارَ يخـاصمُ الـ

(م) ـيلَ البـهـيمَ للونِه

لا بل أفـاض عليـه من

وشي الضـياءِ وحسنِه(٥٧)

وإذا كان اللون الأسود هو علامة العبودية كما يرى بعض العنصريين فإن الشاعر يقلب المعادلة لعدم رضاه عن هذا الاستعباد ويحول العبد إلى سيد فيقول :

فإذا رأيتَ اليوم عبـ ـدَ الأمسِ ثار وزمجرا

فاعرفْ بأن العبدَ أصـ ـبحَ سيداً لن يُقهرا[٥٨]

ويكثر اللون غير المرتبط بعنوان الديوان في عنوانات قصائد طاهر زمخشري ، وهي ألوان يأتي بعضها لا دلالة له مثل (في الدار البيضاء[٥٩] ، إلى الحمراء (٢)[٦٠] ، أغاريد الحمراء[٦١] ، ويفيض بعضها بالدلالات اللونية التي لا يستطيع نصه الشعري إلا أن يشارك فيها .

ومن أقوى الألوان التي سجلت حضوراً لافتاً في عناوين قصائده اللون البنفسجي ، فالساعة المصطبغة بهذا اللون تستهويه أكثر من غيرها ، فهي تغمره بالانشراح والسرور يقول في قصيدة (الساعة البنفسجية):

بنفسجةٌ تزغردُ بالثواني

على زندٍ ينافسُها الأغاني

ويعطي وردُها عطراً ونوراً

ويغمرُنا البنفسجُ بالحنانِ

فما أحلى البنفسجَ وهو يشدو

بدقّاتٍ صداها في كياني[٦٢]

ويحلق الشاعر فيرى أن شعاع الشمس في الأصيل يمد رداء وضيء الذيول بنفسجي التعابير تقوم الأنسام بلملمته تحت قباب الغيوم ، يقول :

والرداءُ البنفسجيُّ التعابيـ

ـرِ بإشراقِها وضيءُ الذيولِ

لملمتْهُ الأنسامُ تحت قبابِ الـ

ـغيمِ بين الأزهارِ عند المسيلِ[٦٣]

ويرمز الشاعر - أيضاً - بهذا اللون وذلك الرداء للفتنة والإغراء، فهو يقول في قصيدة (ذات الرداء البنفسجي) واصفا إحدى الحسان :

داعب التيهُ خطوَهافإذا الألـ

ـحانُ والعطرُ والسنا في سباقِ

والرداءُ البنفسجيُّ التعابيـ

ـرِ يُرينا مفاتنَ العشاقِ[٦٤]

وربما رمز لهذه الفتنة المثيرة ولذلك الإغراء العميق باللون الوردي ، حيث يقول في قصيدة (الرداء الوردي) :

وعلى العِطْفِ قد ترنّح دَلٌّ

هزَّ إغراؤه عميقَ الشعورِ

والبشاشاتُ نايُها لَفَتاتٌ

تسكبُ اللحنَ بالفتونِ المثيرِ[٦٥]

ولا يحمِّل الشاعر اللون الأبيض على الرغم من تعدد دلالاته أبعد من دلالة الإشراق والصفاء ، ففي قصيدته (في الخيمة البيضاء) يقول :

الهوى في الهدا وفي الخيمةِ البيـ

ـضاءِ إشراقُ بسمةٍ للعليلِ

والصفاءُ المنسوجُ في مغزلِ الزُّر

قةِ يلهو بهاؤها بالعقولِ[٦٦]

ويأتي اللون الأخضر غير المرتبط بعنوان الديوان عند طاهر زمخشري رمزاً لنضارة الشباب وحيويته ، يقول في قصيدة (الأفق الأخضر) :

إن بقايا مُهجتي

كانت بكفي قبل موعدِ اللقاءْ

وقد أضعتُها .. أظنني نسيتُها

في أُفْقِكِ المخضوضرِ

وروضِكِ المزدَهِرِ المعطَّرِ[٦٧]

وضمن صراع اللون الأبيض والأسود يكتب الشاعر محمد حسن فقي قصيدة بعنوان (الشعرة البيضاء) ، وفيها رسم لمشهد فاتنة سمراء ذات شعر ليلي أفزعها

بزوغ الشعر الأبيض في رأسها فطمأنها الشاعر متلاعبا بالألفاظ والألوان فقال :

سمراءُ مثلُ البدرِ مكتملاً
لولا ابتسامُ ليس للبَدْرِ
وبرأسِها ليلٌ ذوائبُه
تَهْدي العيونَ لليلةِ القَدْرِ
ولقد رأيتُ ذؤابةً نَفَرَتْ
منها كمثلِ الكوكبِ الدُّري
وكأنها روميةٌ بَرَزَتْ
فإماؤها يُجْفِلْنَ من ذُعْرِ
ظَنَّتْ بأنَّ الشيبَ يُنْذِرُها
في رأسِها بكهولةِ العُمْرِ
لا تَرهبي منه فومضتُه
تَشفي الصدورَ كومضةِ الثَّغرِ
فلقد حسبتُ بياضَه ألقاً
يُضفي عليكِ طرائفَ السِّحْرِ[68]

وتبدو المبالغة عنده بشكل غير مقنع حينما يشبه تلك الشعرة البيضاء بالمعجزة ، فرأس تلك الفاتنة قد جمع النقيضين الأبيض والأسود ؛ مما جعل صاحباتها يحسدنها على القدرة على جمع الأضداد .

ويستمر هذا الصراع الضدي لدى الفقي ، ولكن مع لونين مختلفين هما الأشقر والأسمر ، ففي قصيدة (شقراء وسمراء) يبدو الرمز واضحاً ، فالأولى رمز للمرأة الغربية، والثانية رمز للمرأة العربية ، وفي هذا النص يغيب الشاعر عن وطنه فيرى في الغرب تلك الشقراء ويهيم بها ، ولكنه يثوب إلى رشده بعد تدعوه إلى وصالها ويتذكر الغادة التي خلفها في الشرق فيقول :

وقلتُ لها لا تظلميني فإنني
أحبُّكِ حبّاً ما عليه مزيدُ
ولكنني خلَّفتُ في الشرقِ غادةً
لها معبدٌ بين الضلوعِ مشيدُ
يتيِّمني من حُبِّها ما يَرُدُّني
إلى الجدِّ بعد اللهوِ حين تريدُ
هواك جديدٌ منذ يومٍ وإنما
هواها على مرِّ الزمانِ جديدُ[69]

وعلى صعيد التناقل اللوني ينقلب لون الربيع من الأخضر إلى الأزرق عند محمود عارف في قصيدة (الربيع الأزرق) فإذا كان الناس يرون ربيعهم في البساط الأخضر الذي تمده النباتات والأزهار فإن الشاعر يبصر هذا الربيع في أمواج البحر الزاخر ، يقول :

طاب المقامُ مع الربيعِ الأزرقِ
حيثُ العبابُ بسحرِهِ المترقرقِ
سحرٌ لعَمْرُ الحقِّ أودعَه الذي
خَلَقَ الخضمَّ بقدرةِ المتأنِّقِ
لله جدةُ وهي دنيا فتنةٍ
في لوحةِ الفنانِ المستنطقِ
يا مرتعَ الإلهامِ حسبُكِ روضةً
قد جردتْ من سوسنٍ أو زنبقِ
فيكِ الجمالُ طريفُه وتليدُه
متجاوران على العبابِ الأبلقِ
وعليكِ سحرُ الخلدِ قد شاهدتُه
في شاطئيكِ مع الربيعِ الأزرقِ[70]

ويستعير العيسى هذه الزرقة من البحر ويسبغها على العيون، فهو في قصيدة (القنديل والدانوب الأزرق) يبحر في عالمها محاولاً إعادة الأمل، ونيسان الأكدار، ويرمز بتلك الزرقة للصفاء النفسي المستمد من صفاء زرقة البحر، يقول:

والعيونُ الزُّرقُ فيها أبحرتْ
أمنياتي في شراعِ الحَوَرِ

يا عطاءَ الشوقِ من دانويها

املأ الكأسَ فلا من حَـذَرِ

جددي الذكرى وردِّي أملاً

لفتى ضلَّ بدنيا الكَدَرِ(٧١)

وربما رمز بالزرقة لبعد الغور ، فالأمس الغابر يشبه عرق الأثل الذي يمتد بقوة باحثا عن شيء يرويه ، يقول في قصيدة (النبع الأزرق) :

أمسي .. عرقُ الأثلِ .. مدى أبعدُ إلواءْ

شَقَّ الصخرَ بدمعِ الطَّلِّ

يشربُ من نبعٍ أزرقْ

يَنْحَلُ في "الصمان"(٧٢).

وتسيطر عليه كـآبة أمسه فلا يستطيع الفكاك ، وينقلب – نتيجة لذلك – صفاء المياه إلى كدر ، استمع إليه وهو يطلب في قصيدة (المزنة السوداء) من الغيوم الناضحة بالخير والرحمة ألا تمطر ؛ لأنه لا جدوى من هذا المطر :

يا مُزْنَةٌ سوداءْ

تجوبُ – فيما غير غايةٍ لها – الفضاءْ

لا تمطري ... لا تمطري

أرضي سُهوبٌ من رمالٍ واستعارْ

أرضي قفارٌ ...

ليس يرويها تَفَجُّرُ البحارْ(٧٣)

وبعيداً عن اللون الذي يضمه عنوان ديوان (احمرار الصمت) يحاول إبراهيم مفتاح أن يعطي اللون الأخضر دلالة مختلفة، فهو في قصيدة (الرحيل إلى اخضرار التعب) ينقله من عالم التفاؤل ليعطي به دلالة على القوة ، فالتعب شديد لا يطاق تحمله ، وهو في ذلك يساير نزار قباني الذي تحول إلى هذه الدلالة في قصيدة (تجليات صوفية)(٧٤) .

على أن هذه الدلالة المرتبطة بهذا اللون تتغير في النص عنها في العنوان ، ذلك أن الشاعر ينسب في الأبيات التالية له الاخضرار إلى الأزمنة لا إلى التعب فيقول :

للدربِ في قدمي طعمٌ ولي سَفَرُ

يضمُّ خطوي ويُقصيني وينتظرُ

رقصٌ بأوردتي يلهو ويأكُلني

تعبٌ وأزمنةٌ خضراءُ تنكسرُ(٧٥)

ارجعْ فديتُك يا ركضاً يبيحُ دمي

وخُذْ بناصيتي للبعدِ يا سَفَرُ(٧٦)

وفي إشارة إلى الأمل القادم يستثمر عبد العزيز العجلان في قصيدته (الرؤيا الرمادية) الدلالات التراثية لانبثاق وميض النار من الرماد ، وهو في هذا التعالق النصي مع التراث يبتعد عن دلالة اللون الرمادي الذي يعطي عدم الوضوح ويشير إلى الضبابية في التعامل .

إن ضياع الأمس لا يعني الاستسلام، والعيش في دهاليز الماضي، ولكنه يدفع إلى اقتناص أية بارقة لأمل:

يتفجرُ الأمسُ المضاعُ على المدى

وشماً

الأمسُ فيه أبعادي

وما أبقتْ ظنوني

اللحظةُ الحبلى تلوحُ من خللِ الرمادِ(٧٧)

وعند تعهد تلك اللحظة ورعايتها، ستتوالد مكونة مجموعة من اللحظات المتوهجة التي تبشر بمستقبل زاهر:

الهاجسُ المخبوءُ خلف مجاهلي

متوهجُ الومضاتِ عادْ

يستوقفُ اللحظاتِ

ينبشُ في دمي

يستشرفُ الفرحَ الشهيَّ

وقد تأذَّنَ بالمثولِ(٧٨)

ويحمل اللون الأخضر عند خالد الخنين دلالته المعتادة ، ففي قصيدة (بنت الربى الخضر) يحن الشاعر

إلى مدينة دمشق التي ينعتها بهذا الصفة ؛ لأنها مدينة تزدان بروابيها الخضراء التي فتنت الشاعر وخلبت لبه ، يقول ساحباً عنوان قصيدته إلى تضاعيف أبياته :

بنتُ الربيالخضرِ بنتُ الشامِ ملهمتي
في قمة المجدِ كنتِ السيفَ والقلما
بنتُ الربى الخضرِ بنتُ الشامِ فاتنتي
ما غرّدَ الشعرُ إلا فيك وانتسبا
دمشقُ يا جَنّةَ الدنيا وبهجتَها
وكوثراً من رحيقِ الماءِ ما نضبا
منارةُ العلمِ والآدابِ كم صَدَحَتْ
فيك القوافي فما نالتْ بك الأَرَبا[٧٩]

وإذا كان استعمال اللون الأخضر عند الخنين يبدو عادياً لا إغراء فيه؛ لخلوه من الرمز والإيحاء، فإنه لدى الشاعر محمد إبراهيم يعقوب يتفجر بالدلالة الرامزة التي يحتاج القارئ حتى يدرك أبعادها إلى شيء غير قليل من التأمل والنظر .

يحاول يعقوب في قصيدته (مواسم الوجع الأخضر) أن يسبغ على الآلام طابع التجدد ويشير إلى أنها لا تزال طرية ندية عن طريق نسبة الخضرة إلى هذا الوجع ، وحتى لا يبدو لقارئه متشائماً ، ولأجل ألا يقدم نفسه على أنه باحث عن الأوجاع فإنه يُظهر في بداية قصيدته تفاؤله بالحياة محاولا الاستمتاع بمباهجها :

أعودُ كابتسامةِ الغمام
وشهوةِ الرمالِ في عظامي
وأصطفي هناك من جُنوني
غوايةً تليقُ بالغرام
وصحوةُ البياضِ تحتويني
فأرشقُ الفضاءَ بالمدام
وأعشقُ الوجودَ أغنياتٍ
وأكسرُ الرحيلَ بالتنامي[٨٠]

لكن هذه المواجع الخضراء تنتابه مهما أراد الخلاص منها، فهي كالمواسم التي تمثل سنة كونية تدور مع الإنسان:

أحبكِ ارتباكةً تجنَّتْ
على السُّهى وأربكتْ هُيامي
أحبكِ المواجعُ استحالتْ
مواسماً تراودُ ابتسامي
نعم أنا على فمي شتاتٌ
وفي صداي نزعةُ اقتحام
فإن سمعتم الهوى ينادي
فربما سمعتمُ انهزامي[٨١]

وعلى صعيد العنوانات اللونية غير المباشرة يبعث يوسف عبد اللطيف أبو سعد في قصيدة (يقظة النور) الحياة في عالم الشعر ، فستحيل القصيدة عنده إلى كوكب منير ، يرسل أشعته إلى الضمير فيغدو مضيئاً ، يرسم بإشعاعه طريق الرشاد ، يقول :

بسنا الشِّعرِ قد نسجتُ شعوري
ومنحتُ القفارَ نهرَ حُبوري
وأمامي أشعةُ الرشدِ تسمو
بفؤادي لنيلِ أسمى مصيرِ
يقظةُ النورِ داعبتْ مهدَ قلبي
فصحا داخلي شعاعُ ضميري
وإذا نالتِ النفوسُ رشاداً
صار حتما مسارُها للنورِ[٨٢]

ويتمدد هذا النور بشكل لافت في قصيدته (زفي الضياء) ، فالشاعر بتفاؤله يعشق السنا الذي يحيل الحياة إلى متعة وبهجة ، ويكره سربال الظلام الذي يخنقه ، ويفتح عليه كوة الأحزان والمآسي ، يقول :

زُفّي الضياءَ فإني للسنا ظام
يا ومضةَ النورِ في آفاقِ إلهامي

عـيناك نبـعـانِ من نورٍ يَرِفُّ بـه
بـدرُ الجمالِ على ديجورِ تهيامي
زُفِّي الضياءَ ليروي بالسنا بصري
إني ليـخنقني سـربالُ إظلامي
زُفِّي الضيـاءَ فـقلبي باب في نَفَقٍ
يحسو المعاناةَ مـن ينبوعِ آلامي
وأوصدي كُوَّةَ الأحزانِ وابتسمي
كـالـزهرِ ناشـرةً أشـذاءَ أحـلامي
إني أرى العمرَ لا يزهو بغيرِ سنا
أراه ينسابُ لي من ثغرِ بسّامِ(٨٣)

ويتحول هذا الضياء عند إبراهيم الوزان إلى كتيبة تصطف لتبديد ما ران على القلب من العاطفة المجدبة، والشاعر في قصيدته (كتيبة الضياء) يستنجد بها ويستبشر بقدومها:

تَسَوَّرَتْ
كتيبةٌ من الضياءِ قَوَّضَتْ
لونَ النَّوى
واستبشرتْ
بها غيومُ فرحتي
فأصبحتْ :
لواقحاً من الهنا
ورائقاً من الرضا(٨٤)

ويكوِّن الوزان – في تحليق شاعري عال – من تلك الكتيبة المضيئة مدينة فاضلة يحتمي بها عن العيون الجائعة ، ويروي بها صحراءه الظامئة التي لا تنتج سوى قلوب تتسم بالجدب العاطفي:

في جمعِها :
مدينةٌ تضمُّني
عن العيونِ الجائعة
عن الضفافِ الضائعهْ
تروي الصحارى الظامئهْ
وسطَ القلوبِ الرائمهْ
ومجدباتِ العاطفهْ(٨٥)

ثالثاً – اللون الانفصالي المبثوث في النص:

في هذا المبحث تتم دراسة الأثر الذي يتركه اللون على النص، والدلالة التي يحققها عندما يروم الشاعر توظيفه، ونُعنى هنا بمعالجة الوجود اللوني داخل النصوص الشعرية بعيداً عن العنوان اللوني للديوان أو للقصيدة .

وإذا كان الباحث لم يعثر على كتاب أو بحث يدرس دلالة اللون في الشعر – سواء أكان سعودياً أم غير سعودي – وفق عنواني الديوان والقصيدة – كما في المبحثين السالفين – فإن هناك من الباحثين من وقف على دلالة الألوان عند شاعر بعينه خصه بالدراسة .

ومن تلك الأعمال التي لم تختص بدراسة ظاهرة اللون عند الشاعر السعودي ، وإنما جاء الحديث عنها عرضاً ما قام به فهد العظامي الذي أبان أن الألوان الشائعة في شعر الأديب حسين سراج هي : (الأحمر والأخضر والأسود والأبيض والأشقر والعسلي)(٨٦) ، وبعد هذا الإحصاء يقرر أن اللون الأحمر أكثر الألوان استعمالاً عند سراج ، وأنه مرتبط بالجمال الحسي الصارخ ، يليه الأخضر الذي يرمز لديه إلى النماء والتجدد والخصوبة(٨٧).

ويكشف جبر الفحام عند دراسته لشعر محمد الفهد العيسى عن أن اللون الأول لديه هو الأخضر الذي يرمز به إلى البذل والعطاء والنفعية ، يتلوه الأسود الذي يجيء عنده رمزا للحزن واليأس، ثم الأزرق الرامز للأمان والصفاء(٨٨).

وفي وقفة عجلى على شعر غازي القصيبي يذكر أحمد اللهيب بلغة لا تدل على الإحصاء أنه "يتردد ذكر الألوان في شعر القصيبي على نحو ظاهر، فمن ذلك: الأخضر – الأشقر – الأسمر – الأحمر – الأسود – الأصفر – الأزرق"(٨٩).

لكل شاعر سعودي لونه الأثير ، ومن الصعب أن نقف عند جميع الشعراء السعوديين لنتلمس ذلك ، ومن هنا آثرت في هذا المبحث أن أقف عند مجموعة من الشعراء السعوديين الذين ظهر اللون في شعرهم بشكل لافت .

ومن هؤلاء الشاعر أحمد الحربي، الذي يشكل اللون الأسود مفتاحاً لديوانه (رحلة الأمس)، تلك الرحلة التي تمتلئ بالآلام ، وتلفها الغربة ، تلك الرحلة التي تجثم على صدره فتخنقه ، وعندما يحاول نسيانها في نهاره تستحيل في سكن الليل إلى كابوس مفزع يضم ألف لون تتلون به عيون الأشباح التي يراها :

أيُّ أشباحٍ تـراءتْ ملءَ عيني لستُ أدري
أيُّ كابوسٍ دهاني لستُ أدري لستُ أدري
صرخاتٌ تتعالى وضجيجٌ وأنينْ
وطيورٌ تتوالى فوق ريّانِ الغصونْ
ودموعٌ وعيونٌ ألفُ لونٍ للعيونْ
ضجةٌ حولي ولكنْ أيُّ شيءٍ ما تكونْ(٩٠)

ولأن السواد هو اللون المناسب لتلك الحالة التي يعيشها الشاعر فقد اتكأ عليه الحربي كثيراً في رسم الصورة المعتمة لذلك الأمس ، يقول :

فالأمسُ في عيني تَرَمَّدَ لونُه
واسودَّ كالغربيبِ في أعماقي
والأمسُ في قلمي تزيفُ محاجري
كتب الحروفَ بأدمعِ الأحداقِ
والأمسُ في كتبي فصولُ روايةٍ
أبطالُها وجعي وبعضُ رفاقي
فالأمسُ بعثرني على صفحاته
وأنا أسطِّرُه على أوراقي(٩١)

وينقل الشاعر هذا الحس التشاؤمي ، وذلك السواد إلى عالم الطبيعة المحيط به ، فهو يرى الكون من خلال هذا المنظار القاتم ، فيقول مخاطبا الطيور :

أيها الطائرُ تشدو فوق أغصانِ الحياةْ
ما لأرجائك سودٌ في ليالٍ حالكاتْ
وأغانيكَ حزانى بحروفٍ باكياتْ
ما لأنغامك لا تعزفُ إلا شاكياتْ(٩٢)

وكثيراً ما يتغلف هذا السواد بالليل فيأتي اللون غير مباشر ، لكن المتلقي لا يحتاج إلى تأمل كبير ليدرك هذه العلاقة ، تأمل كيف جعل الليل الأسود الموحي بالتشاؤم يبتلع النهار الأبيض الرامز للتفاؤل :

الليلُ يلتهمُ النهار ..
وأنا أهيم على الشواطئ والقفارْ ..
أجري هناك ..
أفرُّ .. أهربُ .. أقتفي أثرَ النهارْ ..(٩٣)

وإذا كانت رحلة الأمس تحمل هذا القدر الكبير من الكآبة فإن الشاعر في نظرته المستقبلية ينسلخ من إهابها، محاولاً كسر سطوتها، وجاعلا من نفسه فجراً لتلك الليالي السود:

امنحيني يا ربيعَ العمرِ عُمْرا
واسفحيني فوق صدرِ الوردِ عطرا
وارسمي لي في طريقي بسمةً
واجعليني في سوادِ الليلِ فجرا
وإذا جئتِ إلى موعدِنا
فانثريني في دروبِ الشوقِ زهرا(٩٤)

وفي هذه النظرة المستقبلية المتفائلة تنداح الألوان الأخرى ، ويغيب هذا السواد الغابر ، يقول في قصيدة (ودعت آلامي) رامزا باللون الأخضر :

هنا وَدَّعْـتُ آلامـي على أجفانِ أحلامـي
على شُرفاتِك الخضرا ءِ يا إشعاعَ أيامي[95]

ومع ازدياد هذا التفاؤل يجيش الغرام اللوني عند الشاعر ، فيظهر الكون بألوانه الطبيعية الجميلة ، وتنمحي تلك السوداوية ، يقول في قصيدة (رحلة إلى أبها) مستعيراً أصباغ الحسان :

قابلتني بنسمةٍ من هواها
باخضرارِ الزهورِ فوق رباها
صافحتني على العمودِ ومالتْ
قَبَّلتني وقد وطئتُ ثراها
قَبَّلتني قرينةُ الأمسِ حتى
كدتُ أنداحُ في احمرارِ لماها[96]

ويشيع استعمال اللون عند حسين النجمي في ديوانه (تأملات على مرافئ الغربة)، لكن تعامله مع الألوان الصريحة لا تظهر عليه – غالباً – أمارات الجدة ، وإنما يقتصر الشاعر على إعطاء الأشياء ألوانها الحقيقية دون محاولة الذهاب بها إلى آفاق أرحب، فعندما يذكر البحر يصفه بالزرقة فيقول:

لمْ جراحَك وارتحلْ يا زورقي
وانثرْ حنينَك في الخضمِّ الأزرقِ[97]

وفي قصيدة (مملكة الحب) يقول متحدثا عن شعار هذا الوطن :

تألّقي في سماءِ المجدِ وانتصبي
يا نجمةَ الشرقِ يا نوارةَ الشهبِ
يا نخلةَ الواحةِ الخضراءِ كمْ سَمَقَتْ
عيونُنا لترى عقداً من الحَبَبِ[98]

وربما حاول أن يسحب هذا الشعار الأخضر ويلون به الطموح السامق الذي يتسم به أهل هذا البلد ، يقول في قصيدة (راية التوحيد):

لونُها الأخضرُ يحكي قصةً
من طموحٍ فاق حدَّ الانتهاءْ
خضرةُ الأرضِ التي قد أشرقتْ
فوقها أسمى رسالاتِ السماءْ[99]

أو يجعله رمزا للخير والعطاء :

وأهلُها رفعوا بالحقِّ رايتَها
خضراءَ رمزاً لأرضِ الخيرِ والمطرِ[100]

وتبدو قدرة الشاعر واضحة في تعامله مع الألوان غير المباشرة ، فهو ينفث فيها من روح الشاعرية ما يجعلها عنصراً مهما من عناصر نصه ، تأمل قوله :

قمريتي لمِّي ضياءَكِ وارحلي
واستفتحي بابَ الظلامِ المقفلِ
ودعي هناك تشرداً لا ينتهي
أيامُه ترنو إلى المستقبلِ
واستنهضي المجدافَ بالنغمِ الذي
هو في ظلامِ اليأسِ نورُ المشعلِ[101]

ولمعرفته بأن التضاد الموحي بالتناقض يقفز بالنص إلى مسافات بعيدة من جذب المتلقي وإثارة اهتمامه فإنه يوظف هذه التقنية من خلال تفعيل الدلالات التي تحملها الألوان غير المباشرة فيقول :

إطلالةُ العيدِ من بوابةِ القمرِ
وفرحةُ العيدِ في معشوقةِ المطرِ
وروعةُ الحلمِ في أبها تلونُها
شمسُ الأصيلِ على إغفاءةِ الخَفَرِ
تُراك يا عيدُ قد ألبستَها حللا
من الجمالِ وأطواقاً من الزَّهَرِ

فأصبحتْ تزدهي والليلُ يعزفُها

لحناً تُردّدُه قيثارةُ السَّمَرِ

تُراك يا عيدُ قد زيّنْتَها فغدَتْ

عروسةً ظَهَرَتْ في أجملِ الصُّوَرِ

فضَجَّ ليلُ السنا فيها وأسهرَها

على بساطٍ من الأشعارِ والوَتَرِ(١٠٢)

وتسجل الألوان (الأسود - الأحمر - الأخضر) حضوراً متميزاً في ديوان مهدي حكمي (لا تسلني عن جراحي) ؛ ذلك أنها ليست ألواناً حقيقية لأشياء محسة ، وإنما هي أدوات يشخص الشاعر من خلالها الحالة التي يريد رسمها ، فعندما رام الشاعر الإشارة إلى يد الغدر اجتر السواد ليعبر عن ذلك فقال :

قادمٌ رغم الأسى والحزنِ رغم الاكتئابْ

قادمٌ رغم العذابْ

قادمٌ رغم الأيادي السودِ تمتدُّ فيغلو كلُّ معمورٍ خرابْ(١٠٣)

ولما أراد التأكيد على إعتام الصورة ، وفقدان الأمل وظفه قائلاً :

وسرابيفو دماءٌ وجحيمْ

وسوادٌ وهمومْ

ودخانٌ خانقٌ يمتدُّ في الأفقِ ظلالا(١٠٤)

ويبدو تعامله مع اللون الأحمر أكثر جدة وأقوى جودة ؛ ذلك أن توظيفه لهذا اللون لا يتضح معناه للوهلة الأولى - كما في الأنموذجين السابقين - بل يحتاج المتلقي إلى تقرّي الديوان حتى يصل إلى المعنى الرمزي ، يقول :

كلنا يا أرضَنا الحمراءَ في وجهِ عدانا

كاللظى كالقدرِ المحتومِ سدٌّ

كلنا جزرٌ ومدٌّ(١٠٥)

إن المتأمل لدلالة اللون الأحمر في هذا المقطع يمكن أن يخرج بأكثر من دلالة، فقد يعني هذا اللون أن العدو حطم الأرض، وأشعل في أخضرها النيران فأضحت حمراء ملتهبة، وقد يدل هذا اللون على الغضب الذي يرتبط باحمرار الوجه عند حصوله، لكن هذين المعنيين غير مقصودين ، ويتكشف المعنى المراد من خلال قراءة بعض المقاطع من ديوان الشاعر، حيث يماط اللثام عن أن الأرض نتيجة لكثرة القتل وإراقة الدماء قد تخضبت باللون الأحمر ، ومما يؤيد ذلك قوله :

حين يمتدُّ إلى تلك الديار

حيث يشرى الموتُ فيها بسخاء

حيث صوتُ المدفعِ الناقمِ .. والأشلاءُ .. والخضرةُ تسقى بالدماء(١٠٦)

ولا يخفى ما في هذه العبارة الأخيرة من تمازج لوني بديع ، فالأرض الخضراء بنباتاتها وسلامة قلوب أهلها صار قوتها وشرابها من دماء البشر .

ويبدو هذا الامتزاج بين الدم الأحمر والأراضي الخضر في قوله :

أمسى لها النصرُ وعداً والدِّما ثمناً

أمسى لها العزمُ والإقدامُ عنوانا

تمضي تهزُّ سيوفَ النصرِ مرهفةً

وتمتطي الفلواتِ الخضرِ عِقبانا(١٠٧)

ويقدم محمد المنصور في لغة تزدحم بالصور ويكتنفها كثير من الغموض ألواناً لا تطاوع دلالتها الناقد للوهلة الأولى، فهي تضرب في عمق التراث لتستل شيئاً من هيمنته ثم ترتد موفقة تارة، وغير متحالفة مع التوفيق أحياناً أخرى .

إن الدلالة التي يكتسبها اللون عند هذا الشاعر في ديوانه (الأضداد) تأتي غير معزولة عن سياق القصيدة العام الذي يتلقف مجموعة من النصوص الغابرة ، ويجتر

كثيراً من الإشارات التاريخية التي تثقل كاهله ، فتبدو – في كثير من الأحيان – مقحمة عليه ، تأمل قوله :

في الصخرةِ الصماءِ تعثُرُ أمةٌ في مظلمهْ

والصفعةُ الحمراءُ من أولاد جفنةَ في الظلامِ تَنَصَّرَتْ

وعلى الندامةِ كلُّ عينٍ أمطرتْ(١٠٨)

فالقصة التراثية التي ضمت تلك الصفعة الحمراء والتي يحيل عليها هذا المقطع لها علاقة بالتنصر ، لأن الصافع المنتسب إلى بني جفنة لما أراد عمر رضي الله عنه أن يقتص منه عزم على اعتناق النصرانية، لكن الشاعر أوغل في المجاز وجعل تلك الصفعة تتنصر ، ولم يحمِّل هذه الحمرة التي نتجت عنها أية دلالة ، بالإضافة إلى أن تلك القصة تبدو غير وطيدة العلاقة بسياق القصيدة .

ويظهر هذا الإقحام أيضاً في استحضار فرعون وهامان عند مزاحمته بين اللونين الأخضر والأحمر :

وجه هامانَ يمجُّ الأبحرا

يلجُ التمرةَ ..ينسى ظلَّه

في حمى فرعونَ بيتاً أخضرا

والورى

ألفوا مطلعَه في الليلِ بدراً أحمرا(١٠٩)

وربما جاءت العلاقة وطيدة بين اللون وسياق القصيدة على الرغم من إيغالها في الغموض ، كقوله جاعلا من عيون الوجوه المكفهرة سهاما :

أزفتْ منايا القومِ وانتصبتْ على قوسِ الحجابْ

عينان تلتمعان في الوجهِ المكفنِ بالسوادْ(١١٠)

ومستنبتا للنار أضلاعا سوداء :

... أنتم النارُ

ومن أضلاعِها السودِ أتيتم

كيف فزتم بالمضرهْ(١١١)

ومن النادر أن تأتي دلالة اللون سلسة لا غموض فيها ، ويظهر ذلك في قوله مشيراً إلى حداثة الجرح :

يطفو على دمنِ الثرى

يفترُّ جرحاً أخضرا(١١٢)

أو إلى قوة السلاح وفعاليته :

يعدو ...

وأعدو خلفه ...

والخيلُ برقٌ والقنا مخضوضرهْ(١١٣)

وفي ديوان (حروف من لغة الشمس) للشاعر عبدالله الرشيد يعثر القارئ على ألوان متعددة (الأسود ، والأبيض ، والأخضر ، والأصفر) منها ما جاء استعماله معتاداً لا إشعاع فيه ، كالأسود في قوله :

هـذا الـذي ترونـه　　وجهٌ من الشؤم بدا

يجوسُ يجتاحُ المدى　　يمجُّ حقداً أسودا(١١٤)

والأخضر في قوله :

تحنُّ إلى ترنمِك السـواقي

ويحلمُ بالمساحي أخضراها(١١٥)

والأبيض في قوله :

أبني على قممِ المنى بيتاً إلى

شرفاتِه البيضاءِ تهفو الأنجمُ(١١٦)

والأصفر في قوله :

تفجر الليلُ حواليهم جحيماً ممطرا

موتاً كئيباً أصفرا(١١٧)

ومنها ما بدت فيه الجدة عن طريق عدم شيوع الرمز ، كقوله رامزاً بالخضرة لأيام العزة والمجد :

نحن أبناءَ القرونِ الخضرِ جئنا

نحضنُ المجدَ ونمضي(١١٨) .

أو من خلال دخوله في صورة مجازية غريبة، كقوله:

وإذا بهاتيك المنى البيضاء يمضغُها الحريقْ
ومحاجرُ الآمالِ.. تاريخٌ من القرحِ العميقْ(١١٩)

وقوله :

لم أقلْ للظلامِ سحقاً فقد أبـ
ـصرتُ في عينِه لهيبَ الوعيدِ
كان حولي في كلِّ ركنٍ على الأر
ضِ وفي السقفِ كالنقاطِ السودِ(١٢٠)

وربما فرض اللون سطوته على أجواء القصيدة كاملة، فبدأ أمتن خيوط النسيج اللغوي فيها، والرافد الأهم للصورة الكلية المشكَّلة، وقد بدا ذلك واضحاً في قصيدته (قطرات حروف)، تلك التي اعتمد فيها الرشيد على اللون الأبيض بوصفه الغلاف اللوني للشعر الأشيب، يقول مفلسفا تداعيات هذا البياض:

لم يَرُعْني المشيبُ حين تَبَدَّى
فالمنى غضةٌ وعودي مُنَدَّى
لم يَرُعْني المشيبُ إنّ بياضَ الشَّـ
(م) ـيبِ نورٌ إلى الفؤادِ تَهَدَّى
إنَّ سحرَ الغروبِ يفضلُ أحيا
ناً ويلقي في النفسِ طيباً ونَدّا(١٢١)

ويمتزج الأبيض بالأسود ، فتختلط الأوراق ، ويغدو ذلك البياض محلولكاً على الرغم من أنه هو الذي يخلص في العادة من حلكة الليل :

فإذا احلولك البياضُ بفودي
وطواني في وحشةٍ واستبدّا(١٢٢)

وإذا كان الشعراء يرمزون بظهور الشعر الأبيض لانقضاء الشباب وتصرمه فإن الشاعر يرى أن طيور حبه لا تزال تغرد ، ورياحين قلبه غضة تنفث الشذى ، لا يضيرها تلون تلك الشعرات :

وإذا أعرضَ الشبابُ عن القلـ
ـبِ وأدنى ركابَه ثم صَدّا
فعلى شرفتي طيورٌ وضاءٌ
أسمعتني من الصبابةِ ورْدا
والرياحينُ لم يجفَّ شذاها
وهي في الكفِّ للمحبين تُهْدى(١٢٣)

ويحمل ديوان (من شظايا الماء) لإبراهيم صعابي دلالات لونية عصية ، لا تستجيب للتأويل المعتاد ، فتقاطعاته من اللون تحمل مخاتلة توهم المتلقي بأن هذا الشاعر يقع في التناقض ، تأمل قوله :

كم امرأةٍ
صغتُ من ليلِ خصلتِها
غابةً من بياضٍ
وقافلةً من حنينْ(١٢٤)

بالتأكيد هو لا يريد الشيب ، وهو الدلالة الأولى لهذا البياض الذي يشكل الشاعر غابة منه ، وهذا الفخ الذي ينصبه الشاعر للمتلقي الساذج يروغ عنه المتأمل لعبارة (من ليل خصلتها) . الشعر أسود إذن ، وغابة البياض التي صاغها الشاعر من خصلة الشعر ما هي إلا علامة على النقاء والطهر ، ودلالة على السلام .

وربما أراد الشاعر ما سميناه الدلالة المنعكسة ، وهي استعمال البياض دالاً على الحزن ، بمعنى أن هذا الخصل الليلية هي ملهمة الشاعر ومهيجة أحزانه .

ويوغل الشاعر في الدلالات الأبعد للون ، متناسياً دلالة اللون الحقيقية ، انظر إلى قوله مسبغا لون البياض على الليل لاتصافه بالصفاء :

الليلُ الأبيضُ يدهشني
ويسافرُ بي نحو الأسودِ في عينيكِ
فيغمرُني بشظاياهُ(١٢٥)

وهو بالإضافة إلى هذه المخاتلات التناقضية لا يفتأ يتلاعب بالعجائن اللونية غير قانع بالدلالات القريبة، حيث يلتقط الألوان التي تشع من سحر العيون ويشكل منها عالماً خاصاً به، يقول:

عيناكِ أيتها الحبيبةُ

منهما أستلُّ سرٌ توهُّج

بهما أرى ما لا يُرى

شمساً مسافرةً وظلاً أخضرا

وشواطئاً سمراً .. وبحراً أشقرا[١٢٦]

وأحياناً لا تقنعه الألوان على كثرتها وتنوعها فيصوغ لوناً ذاتياً يقوم على تحليق مجازي عال :

لاح في الأفقِ شراعٌ من رجاءْ

قادمٌ من بهجةِ الأحلامِ

يبتاعُ مرايا المستحيلْ

لونُه كالحلمِ الغافي على هدبٍ عليلْ[١٢٧]

على أن تقاطعات الشاعر مع الألوان لا تبدو دائما بهذا الوهج ، أو تظهر باستمرار بشكلها التناقضي ، فهناك استعمالات تحتفظ بشاعريتها ، لكنها لا تقدم دلالة تستدعي التأمل ، كقوله :

مسَّه الجوعُ ضحىً

والشمسُ ترخي فوق وجهِ

الصبحِ

شالاً من بياضْ[١٢٨]

ويتقنع الأبيض والأسود بالنور والظلمة في ديوان (أول الغيث) لأحمد بهكلي، بل يكاد يكون هذا الحقل الدلالي من أهم الحقول الدلالية التي يحتضنها الديوان ، وقد تنبه موسى العبيدان إلى تلك الثنائية فأشار إليها في مقالة ذيل بها قصائده[١٢٩].

ويشير هذا الناقد إلى أن هذه الثنائية جاءت معادلاً موضوعياً لحالة ضعف الأمة العربية والإسلامية (الظلمة) ، ورغبة الشاعر في الرجوع بها إلى سابق مجدها وعزها الذي أضاعته سنين طويلة (النور)[١٣٠] .

وأحسب أن لهذا التحليل ما يسنده من قصائد البهكلي ، لكن تعميمه على جميع نصوص الديوان – كما يبدو من هذه المقالة – حكم غير دقيق ، حيث نرى الشاعر يستعمل الضياء بمعناه الحقيقي في قوله يخاطب طفلة :

أيتها الحلوةُ والبريئةُ العينيْن

هذا الفمُ المشرقُ كالضياءْ

يبتسمُ[١٣١]

أو يصدره من الأشياء المعنوية كقوله راثيا :

سيضيءُ في أعماقِنا نورُ اليقيـ

ـنِ وإن غدتْ هذي الجسومُ بلا حراكْ[١٣٢]

وتتصارع الظلمة والإضاءة في شكل بديع ، بعيداً عن ذلك المعادل الموضوعي المشار إليه في قوله :

كَـوَّمَتْ في مـزودتي بلادي

والأفقُ يـرنو والرُّبـا تـنـادي

وقـبل أن تَنْتَـقِبَ الثُّـرَيَّا

فـتتركَ الليلَ بلا مُـحَيّا[١٣٣]

وإذا كانت الظلمة تحوي سواداً يحجب الرؤية فإن الشاعر يستله أحياناً فيغدو الليل غير ساتر ، ويصبح السائر فيه مغلفاً بالوضوح :

أقـولُ : إنَّ الدجى أزرى به الوَضَـحُ

والمدلجون بدربِ الظلمةِ افتضحـوا

أقولُ : إن اللصوصَ السالبي وطني

تنصلوا من غرورِ الأمسِ واطَّرحوا[١٣٤]

وربما غير الشاعر ألوان الأشياء ، لدلالة رمزية

يعطيها اللون البديل ، تأمل كيف جعل كريات الدم الحمراء سودا في قوله :

واحتواني نسيجُ لبنانَ حيثُ السـُّ
(م) ـوسُ خيلٌ كما البغاثُ أسودُ
وبأفـــفـــانَ بات يرفضُ نهـــرٌ
مـائجٌ من دمِ خـلاياه سـودُ(١٣٥)

وإذا كان الشاعر يرمز بالسواد هنا للحقد والمكيدة فإنه يعطي هذه الدلالة للون الأزرق ، ويدل بالأسود على البراءة والسذاجة في قوله :

وَهَبْ سودَ العيونِ غَفَتْ أتمضي
وقد سَهِرَتْ عيونُ الإزرقاقِ(١٣٦)

على أن اللون الأبيض هو الذي يحمل في العادة مثل هذه الدلالات ، وقد استعمله الشاعر دالاً به على الصفاء والسلام في قوله :

نحن أهلُ السـلامِ أورقَ في أر
واحِنا البيضِ غصنُه الأملودُ(١٣٧)

وكثيراً ما يعتمد الشاعر على اللون في تشكيل صوره المجازية المحلقة، كقوله جاعلاً من الدموع وقودا للنار المشتعلة:

لكأنيَ به وشـعلتُـه الحـمـ
ـراءُ نارٌ لها الدموعُ وقودُ(١٣٨)

وفي الختام آمل أن يكون في معالجتي لهذا الموضوع ما يكشف بشكل واضح عن أثر اللون في الشعرية السعودية. ولا أحسبني – هنا – محتاجاً إلى اختصار أو تركيز لما تحدثت عنه؛ فالومضات اللونية التي أشرقت داخل الشعر السعودي قُدِّمت في هذه الدراسة بشكل لا يسمح بمزيد من الضغط أو الإيجاز ، هذا بالإضافة إلى أن البحوث بخلاف الكتب ؛ فهي لا تلجأ إلى إعادة المحتوى موجزاً إلا عند الضرورة .

الهوامش

١ – الواقعية اللونية : قراءة في ماهية اللون وسبل الوعي به ، صلاح عثمان ،- ط١ ،- الإسكندرية : دار الوفاء ، ٢٠٠٧م ، ص٢٠ .

٢ – انظر: رؤيا التماثل، محمد مفتاح،- ط١ ،- بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م، ص٢٤.

٣ – اللون بين فلسفة الفن والشعر، حافظ المغربي ، جذور ،- جدة : النادي الأدبي الثقافي ، العدد ١٨، شوال ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤م، ص٣٢٨.

٤ – انظر :

– الألوان في القرآن الكريم، عبدالمنعم الهاشمي ،- ط١ ،- بيروت : دار ابن حزم ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

– معاني الألوان بين الشعر والقرآن الكريم ، أحمد عبد الكريم ، القافلة ، مج٤٦ ، العدد ٨ ، شعبان ، ١٤١٨هـ – ديسمبر ١٩٩٧م ، ص١ .

– الضوء واللون في القرآن الكريم، نذير حمدان ،- ط١ ،- جدة : دار المنارة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

– ألفاظ الألوان في القرآن الكريم: دراسة في البنية والدلالة ، عصام الدين عبدالسلام أبو زلال ،- ط١ ،- الإسكندرية : دار الوفاء ، ٢٠٠٦م .

– الألوان في القرآن الكريم وقيمتها الدلالية ، يحيى بن أحمد عريشي ، عالم الكتب ، مج٢٧ ، العددان الخامس والسادس (عدد مزدوج)، الربيعان – الجماديان ١٤٢٧هـ، إبريل – مايو / يونيو – يوليو ٢٠٠٦م ، ص٤٠٣ .

٥ - انظر :

- اللغة واللون ، أحمد مختار عمر.- ط١ .- الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- الصورة الشعرية واستيحاء الألوان ، يوسف حسن نوفل.- ط١ .- القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- ألوان في شعر العميان : القضية بين التهاون والاهتمام ، محمد يوسف التاجي، الخفجي، العدد ٩ ، رمضان ١٤١٣هـ / آذار ١٩٩٣م ، ص٣٨ .

- ألفاظ الألوان في العربية : دراسة لغوية ، عاهد عاصي .- ط١ .- دمشق : دار السلام ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

- الصورة الفنية وسلطة اللون ، محمود جابر عباس ، جذور ، العدد ١٣، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/ يونيو ٢٠٠٣م ، ص١٨٣ .

٦ - انظر :

- شاعرية الألوان عند امرئ القيس ، محمد عبد المطلب ، فصول ، المجلد الخامس ، العدد الثاني ، ١٩٨٥م ، ص٥٥ .

- ظاهرة المدح باللون والذم به في الشعر العربي حتى منتصف القرن الثاني الهجري، محمد بن سليمان السديس ، بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، ج٣ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص٢٧٧ .

- عنصر اللون في شعر المتنبي ، عبد الله باقازي .- ط١ .- القصيم : نادي القصيم الأدبي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

- التشكيل اللوني في شعر أبي تمام ، إبراهيم الحاوي ، مجلة كلية التربية بجامعة أسيوط، العدد الثاني عشر، الجزء ١٩٦٦م ، ص١٨٤.

- المستوى الدلالي للون في شعر عنترة ، خليل عودة ، الدارة ، السنة الثانية والعشرون، العدد٢، ربيع الآخر ١٤١٧هـ / سبتمبر ١٩٩٦م ، ص٢٢٣ .

- تعبيرية اللون في شعر عنترة ، جاسم محمد صالح ، جذور ، العدد ٢، جمادى الأولى ١٤٢٠هـ/ سبتمبر ١٩٩٩م ، ص٣٦٩ .

- التصوير اللوني في شعر المتنبي، أحمد عبد الكريم ، القافلة، مج٤٩، العدد ٤، ربيع الآخر ١٤٢١هـ/ يوليو ٢٠٠٠م، ص١٠.

٧ - انظر :

- التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث ، محمد صابر عبيد ، الأقلام .- بغداد، العدد ١١- ١٢ ، ١٩٨٩م ، ص٣٢٠ .

- صمتيات اللون النشوان وتجربة أمل دنقل، غالية خوجة، الآطام.- نادي المدينة المنورة الأدبي ، العدد ٣ ، ذوالحجة ١٤١٩هـ/ مارس، إبريل ١٩٩٩م ، ص٥٤.

- فضاءات اللون في الشعر : الشعر السوري نموذجا ، هدى الصحناوي .- ط١ .- دمشق: دار الحصاد ، ٢٠٠٣م .

- ظاهرة الألوان وصورة المرأة في شعر غازي القصيبي ، أحمد سليمان اللهيب ، مرافئ، السنة الخامسة، العدد ٥، محرم ١٤٢٤هـ/ مارس ٢٠٠٣م، ص٩١.

٨ - انظر : فضاءات اللون في الشعر : الشعر السوري نموذجاً ، هدى الصحناوي ، ص٩٥ .

٩ - انظر على سبيل المثال :

- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، أمبرتو إيكو ، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد .- ط١ .- بيروت والدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.

- نظرية التأويل : الخطاب وفائض المعنى ، بول ريكور ؛ برجمة سعيد الغانمي .- ط١ .- بيروت والدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٣م .

- سيمياء المرئي، جاك فونتاني؛ ترجمة *علي أسعد -ط١- اللاذقية-* سوريا: دار الحوار، ٢٠٠٣م.

١٠- انظر على سبيل المثال :

- قراءة في السيميولوجيا البصرية، محمد غرافي ، عالم الفكر ، العدد ١ ، مج٣١ ، يوليو - سبتمبر ، ٢٠٠٢م ، ص١٢٢.

- السيميائيات والتأويل ، مدخل لسميائيات ش . س . بورس ، سعيد بنكراد -ط ١- بيروت والدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٣م .

- السيميائيات النشأة والموضوع ، سعيد بنكراد ، عالم الفكر ، العدد ٣ ، مج٣٥ ، يناير - مارس ٢٠٠٧م ، ص٧ .

- السيميائيات التأويلية وفلسفة الأسلوب ، أحمد يوسف ، عالم الفكر ، العدد ٣ ، مج٣٥، يناير - مارس ٢٠٠٧م ، ص٤٧ .

- أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، محمد مفتاح، عالم الفكر، العدد ٣، مج٣٥، يناير - مارس ٢٠٠٧م، ص١٣٥.

- في سيميائيات التلقي ، المصطفى شادلي ، عالم الفكر ، العدد ٣ ، مج٣٥ ، يناير - مارس ٢٠٠٧م ، ص٢٠١ .

- سيميائيات التواصل الفني ، الطاهر روانية ، عالم الفكر ، العدد ٣ ، مج٣٥ ، يناير - مارس ٢٠٠٧م ، ص٢٤٩ .

- سيميائيات مدرسة باريس : المكاسب والمشاريع (مقاربة إبستمولوجية) ، محمد بادي ، عالم الفكر ، العدد ٣ ، مج٣٥ ، يناير - مارس ٢٠٠٧م، ص٢٨٧.

١١- انظر على سبيل المثال :

- ألف ليلة وليلة : دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد ، عبدالملك مرتاض -ط ١- بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٩م .

- سيمياء التأويل : الحريري بين العبارة والإشارة ، رشيد الإدريسي -ط ١- الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

- التحليل السيميائي للخطاب الروائي: البنيات الخطابية - التركيب - الدلالة، عبد المجيد نوسي -ط١- الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- مقاربة سيميائية لمحفزات السرد والنص الباطن في سيرة الظاهر بيبرس ، محمد منصور أبا حسين ، فصول ، العدد ٦٠، ٢٠٠٢م ، ص٢٩٨ .

- *التحليل السيميائي للخطاب الشعري* : تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي ، عبد الملك مرتاض- ط١- دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠٥م.

١٢- انظر : العنوان في الشعر السعودي : بداياته ، وتياراته الإبداعية، عبدالله الرشيد ، عالم الكتب ، مج٢٥ ، العددان الثالث والرابع (عدد مزدوج) ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٢٤هـ / محرم - صفر ١٤٢٥هـ ، يناير - فبراير / مارس - أبريل ٢٠٠٤م ، ص٢٧٤.

١٣- العنوان في القصيدة العربية ، عبدالرحمن السماعيل ، مجلة جامعة الملك سعود، مج ٨، الآداب (١)، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، ص٥٣.

١٤- عندما يلقي العنوان اللوني للديوان بظلاله على عنوانات القصائد وأبياتها فإني سأتناول ذلك في هذا المبحث متحدثاً عن تلك العنوانات والأبيات ؛ لكشف أبعاد سطوة عنوان الديوان ، على الرغم من أني قد خصصت عنوانات القصائد ذات الطابع اللوني بمبحث خاص ، وجعلت للألوان المبثوثة في النصوص

مبحثاً مستقلاً ، ذلك أن هذين المبحثين سيقتصر الحديث فيهما على ما لا ارتباط له بعنوان الديوان ، وهكذا ما أصنع عندما أدرس العنوانات اللونية للقصائد ، فإني سأرصد أثر هذا العنوان على الأبيات، وتبقى النصوص التي تحمل دلالات لونية لكنها غير مترابطة بعنوان الديوان ولا بعنوان القصيدة في مبحث مستقل يستحق منا التوقف عنده .

١٥- المخالب الحمر، سلطان البادي ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الغندور، ١٩٦٤م، ص٧١.

١٦- المصدر السابق ص٤٥ .

١٧- المصدر السابق ص١٣١ .

١٨- النغم الأزرق ، حسن عبدالله القرشي ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الآداب ، ١٩٦٦م ، ص٢٩ .

١٩- أوراقي الصفراء ، أحمد قنديل ٠- مؤسسة قنديل التجارية ، د.ت، ص٩.

٢٠- مجموعة الخضراء ، طاهر زمخشري٠- ط١ ٠- جدة: مطبوعات تهامة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢١٨.

٢١- المصدر السابق ص٥٥٣ .

٢٢- المصدر السابق ص٦٩٣ .

٢٣- المصدر السابق ص٦٢٨ .

٢٤- المصدر السابق ص٧٣٤ .

٢٥- المصدر السابق ص٤٥٠ .

٢٦- احمرار الصمت، إبراهيم مفتاح ٠- ط١ ٠- المملكة العربية السعودية : دار الصافي للثقافة والنشر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص٢٥ .

٢٧- في الديوان (يقضان) والبيت مختل الوزن .

٢٨- بياض الأزمنة ، علي الدميني ٠- ط١ ٠- بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٥م، ص١٥.

٢٩- بياض ، أحمد قران الزهراني ٠- ط١ ٠- بيروت: المركز الثقافي العربي؛ والدار البيضاء، ٢٠٠٣م، ص٥٥ .

٣٠- المصدر السابق ص٩ .

٣١- المصدر السابق ص١٥ .

٣٢- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني ؛ تحقيق سالم مصطفى البدري ٠- ط١ ٠- بيروت ، لبنان : دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ٣١٥/١.

٣٢- متدثر بالبياض، عبدالله السميح٠- ط١ ٠- الطائف : مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ص٧٣.

٣٣- انظر على سبيل المثال :

- شفق الأحلام ، محمد سعيد المسلم ٠- مطبعة دار الكتاب ، ما بين عامي ١٩٤٨م / ١٩٥٤م، د.ت .

- أضواء ونغم ، عبدالسلام هاشم حافظ ؛ تقديم محمد مندور ٠- القاهرة : مطبعة الجهاد ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

- الفجر الراقص ، عبدالسلام هاشم حافظ ٠- جدة : شركة المدينة للطباعة النشر ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م .

- أطياف ملونة، سعد البواردي٠- دار الإشعاع، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

- البسمات الملونة، حسن القرشي، ١٩٦٦م ، ضمن المجموعة الكاملة ٠- بيروت: دار العودة .

- الأنغام المضيئة، محمد بن أحمد العقيلي ٠- ط١ ٠- دار اليمامة للبحث النشر، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

- الإبحار في ليل الشجن ، محمد الفهد العيسى ٠- ط١ ٠- جدة: دار تهامة للنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

- ترانيم الليل ، محمد عارف ٠- ط١ ٠- جدة : النادي الأدبي الثقافي ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- أشياء من ذات الليل، عبد العزيز العجلان ٠- ط١ ٠- الناشر المؤلف ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

- واللون عن الأوراد ، غازي القصيبي ٠- ط١ ٠- بيروت ، لبنان : دار الساقي ، ٢٠٠٠م .

- عناقيد الضياء ، عبدالرحمن العشماوي .- ط١ .- الرياض: مكتبة العبيكان ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
٣٤- الأنغام المضيئة ، محمد بن أحمد العقيلي ص١٣١ .
٣٥- المصدر السابق ص٨٩ .
٣٦- الإبحار في ليل الشجن ص٢٠٥ .
٣٧- المصدر السابق ص١٢٨ .
٣٨- المصدر السابق ص٦٥ .
٣٩- المصدر السابق ص١٨١ .
٤٠- المصدر السابق ص٢٧٢ .
٤١- ترانيم ليل ، محمود عارف ص٣٧.
٤٢- الديسق : البياض والحسن (اللسان : دسق) .
٤٣- ترانيم ليل ، محمود عارف ص٣٩.
٤٤- أشياء من ذات الليل ، عبدالعزيز العجلان ص٨ .
٤٥- المصدر السابق ص٩٤ .
٤٦- عناقيد الضياء ، عبدالرحمن العشماوي ص٦ .
٤٧- واللون عن الأوراد ، غازي القصيبي ص٥ .
٤٨- المصدر السابق ص٥ .
٤٩- المصدر السابق ص٨ .
٥٠- المصدر السابق ص٩.
٥١- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، عبدالله الغذامي .- ط٢ .- ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص٢٦٣.
٥٢- جماليات القصيدة المعاصرة ، طه وادي .- ط٢ .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٩م ، ص٩٨ .
٥٣- حتى لا يتوهم القارئ أن بين مباحث هذه الدراسة شيئاً من التداخل فإني أؤكد هنا على أن هذا المبحث يعنى بعنوانات القصائد التي لا تربط بعنوان الديوان ، وأما ما كان مربطا به ، فقد تم الحديث عنه في المبحث السالف .
٥٤- الهوى والشباب، أحمد عبد الغفور عطار .- ط٢ .- بيروت ، لبنان : مؤسسة جواد للطباعة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص٢٥ .
٥٥- المصدر السابق ص٢٥ .
٥٦- المصدر السابق ص٢٧ .
٥٧- مجموعة الخضراء ص٢٤.
٥٨- المصدر السابق ص٤٥٤، وص٦٠٠.
٥٩- المصدر السابق ص٧٨٨.
٦٠- المصدر السابق ص٦٧٨.
٦١- المصدر السابق ص٥٧٣.
٦٢- المصدر السابق ص٥٣.
٦٣- المصدر السابق ص١٢٠.
٦٤- المصدر السابق ص٥٧٣.
٦٥- حبيبتي على القمر ، طاهر زمخشري .- ط٢ .- الشركة التونسية لفنون الرسم ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص٩٦ .
٦٦- الأعمال الكاملة للشاعر محمد حسن فقي .- الدار السعودية للنشر والتوزيع ، د.ت، ٥/٢٣٧.
٦٧- المصدر السابق ٥/٣٤٦.
٦٨- ترانيم ليل ص٣٩ .
٦٩- دروب الضياع ، محمد الفهد العيسى .- ط١، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص٢.
٧٠- الإبحار في ليل الشجن ص٢٤٨ .
٧١- دروب الضياع ص٩٨ .
٧٢- انظر : تقنيات التعبير في شعر نزار قباني ، بروين حبيب .- ط١.- بيروت : المؤسسة العربية للدراسات النشر، ١٩٩٩م، ص١٣٨.
٧٣- الشطر الثاني من البيت مختل الوزن ، حيث جاءت التفعيلة الأولى منه على وزن (متَفاعلن) لا على (مستفعلن) ، وتسكين عين (تعب) وإن كان يحل المشكلة الإيقاعية لكنه يورط في مشكلة صرفية .
٧٤- احمرار الصمت ص٣٩ .
٧٥- أشياء من ذات الليل ص٩١ .
٧٦- المصدر السابق ص٩٢ .
٧٧- الرياض العشق الأول ، خالد الخنين .- ط١ .- دمشق ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٣٥ .
٧٨- رهبة الظل، محمد إبراهيم يعقوب.- ط١ .- جازان : منشورات نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص١٠ .

٧٩- المصدر السابق ص١١ .
٨٠- البحر والضفاف، يوسف بن عبد اللطيف أبو سعد -٠ ط١ -٠ مطابع الابتكار، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، ص٢١٨.
٨١- المصدر السابق ص٢٢١ .
٨٢- وأنك أصل الجهات ، إبراهيم بن دخيل الوزان -٠ ط١ -٠ الطائف: نادي الطائف الأدبي ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص١١٥ .
٨٣- المصدر السابق ص١١٦ .
٨٤- انظر : حسين سراج أديبا ، فهد العظامي ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي ، كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، ص٥٢١.
٨٥- المرجع السابق ص٥٢١ .
٨٦- انظر : شعر محمد الفهد العيسى: دراسة موضوعية وفنية ، جبر الفحام ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي ، كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، ص٣٦٤ .
٨٧- مقالة (ظاهرة الألوان وصورة المرأة في شعر غازي بن عبد الرحمن القصيبي) ص٩١ .
٨٨- رحلة الأمس ، أحمد إبراهيم الحربي -٠ ط١ -٠ جازان : نادي جازان الأدبي ، ١٤١٦هـ ، ص٩ .
٨٩- المصدر السابق ص٥٦ .
٩٠- المصدر السابق ص٢٢ .
٩١- المصدر السابق ص٣٢ .
٩٢- المصدر السابق ص٢٤ .
٩٣- المصدر السابق ص٢١ .
٩٤- المصدر السابق ص٤٠ .
٩٥- تأملات على مرافئ الغربة ، حسين أحمد النجمي -٠ ط١ -٠ أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص٣٠.
٩٦- المصدر السابق ص٩ .
٩٧- المصدر السابق ص٣٤ .
٩٨- المصدر السابق ص٣٤ .
٩٩- المصدر السابق ص٧٣ .
١٠٠- المصدر السابق ص٥٠ .
١٠١- لا تسلني عن جراحي ، مهدي بن أحمد حكمي -٠ ط١ -٠ جازان : نادي جازان الأدبي، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص٧.
١٠٢- المصدر السابق ص٣١ .
١٠٣- المصدر السابق ص٣٦ .
١٠٤- المصدر السابق ص٢٦ .
١٠٥- المصدر السابق ص٥٣.
١٠٦- الأضداد ، محمد المنصور -٠ ط١ -٠ اللاذقية - سورية : دار الحوار ، ١٩٩٩م ، ص٤٦.
١٠٧- المصدر السابق ص٦١.
١٠٨- المصدر السابق ص٣٩.
١٠٩- المصدر السابق ص٧٠.
١١٠- المصدر السابق ص٢٥.
١١١- المصدر السابق ص٣٢.
١١٢- حروف من لغة الشمس، عبدالله ابن سليم الرشيد -٠ ط١ -٠ دار المعراج الدولية ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص٢٩ .
١١٣- المصدر السابق ص٣٢.
١١٤- المصدر السابق ص٧١.
١١٥- المصدر السابق ص٢٧.
١١٦- المصدر السابق ص١٨.
١١٧- المصدر السابق ص٤٤ .
١١٨- المصدر السابق ص٥٣ .
١١٩- المصدر السابق ص٦١ .
١٢٠- المصدر السابق ص٦٢ .
١٢١- المصدر السابق ص٦٢ .
١٢٢- من شظايا الماء ، إبراهيم عمر صعابي،- ط١-٠ جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٥٩.
١٢٣- المصدر السابق ص٧٣ .
١٢٤- المصدر السابق ص٤٨.
١٢٥- المصدر السابق ص٣٨.
١٢٦- المصدر السابق ص٣٧.
١٢٧- انظر : أول الغيث ، أحمد بن يحيى بهكلي -٠ ط٢ -٠ جازان : مركز البحوث التربوية ، كلية المعلمين، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٠٥.
١٢٨- انظر : المصدر السابق ص١١١ .
١٢٩- المصدر السابق ص٣٦ .
١٣٠- المصدر السابق ص٩١ .
١٣١- المصدر السابق ص٦٧ .
١٣٢- المصدر السابق ص٦١ .
١٣٣- المصدر السابق ص٢١ .
١٣٤- المصدر السابق ص١٢ .
١٣٥- المصدر السابق ص٢٣ .
١٣٦- المصدر السابق ص١٩ .

المصادر والمراجع

أولا – الكتب :

١ – **الإبحار في ليل الشجن**، شعر: محمد الفهد العيسى – ط١ ـ جدة : دار تهامة للنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

٢ – **أشياء من ذات الليل** ، شعر : عبد العزيز العجلان – ط١ ـ الناشر المؤلف، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

٣ – **احمرار الصمت** ، شعر : إبراهيم مفتاح – ط١ – المملكة العربية السعودية: دار الصافي للثقافة والنشر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤ – **الأضداد** ، شعر : محمد المنصور – ط١ – اللاذقية – سورية : دار الحوار ، ١٩٩٩م .

٥ – **أضواء ونغم** ، شعر : عبدالسلام هاشم حافظ ، تقديم محمد مندور – القاهرة : مطبعة الجهاد، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

٦ – **أطياف ملونة** ، شعر : سعد البواردي – دار الإشعاع ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

٧ – **الأعمال الكاملة للشاعر محمد حسن فقي** – الدار السعودية للنشر والتوزيع ، د.ت .

٨ – **ألفاظ الألوان في العربية : دراسة لغوية** ، عاهد عاصي – ط١ – دمشق: دار السلام، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٩ – **ألفاظ الألوان في القرآن الكريم : دراسة في البنية والدلالة**، عصام الدين عبدالسلام أبو زلال – ط١ – الإسكندرية : دار الوفاء ، ٢٠٠٦م.

١٠ – **ألف ليلة وليلة : دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد** ، عبدالملك مرتاض – ط١ – بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م.

١١– **الألوان في القرآن الكريم**، عبدالمنعم الهاشمي – ط١ – بيروت : دار ابن حزم ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

١٢–**الأنغام المضيئة** ، شعر : محمد بن أحمد العقيلي – ط١ – الرياض: دار اليمامة للبحث النشر ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٣– **أوراقي الصفراء**، شعر: أحمد قنديل، مؤسسة قنديل التجارية ، د.ت .

١٤– **أول الغيث** ، أحمد بن يحيى بهكلي– ط٢ – جازان : مركز البحوث التربوية ، كلية المعلمين ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

١٥– **البحر والضفاف** ، شعر: يوسف ابن عبد اللطيف أبو سعد – ط١ – مطابع الابتكار، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٦– **البسمات الملونة** ، شعر : حسن القرشي ، ١٩٦٦م، ضمن المجموعة الكاملة – بيروت : دار العودة.

١٧– **بياض**، شعر: أحمد قران الزهراني – ط١ – بيروت والدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٣م .

١٨– **بياض الأزمنة**، شعر: علي الدميني– ط١ – بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٥م .

١٩– **تأملات على مرافئ الغربة** ، شعر: حسين أحمد النجمي– ط١ – أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

٢٠– **التأويل بين السيميائيات والتفكيكية**، أمبرتو إيكو ؛ ترجمة وتقديم سعيد بنكراد – ط١ – بيروت والدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٠م .

٢١– **التحليل السيميائي للخطاب الروائي : البنيات الخطابية – التركيب – الدلالة** ، عبد المجيد نوسي – ط١ – الدار البيضاء : شركة النشر والتوزيع المدارس ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٢٢– **التحليل السيميائي للخطاب الشعري: تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي** ، عبد الملك مرتاض – ط١ – دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠٥م .

٢٣- **ترانيم الليل**، شعر: محمد عارف- ط١ - جدة : النادي الأدبي الثقافي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٤- **تقنيات التعبير في شعر نزار قباني**، بروين حبيب - ط١ - بيروت : المؤسسة العربية للدراسات النشر ، ١٩٩٩م .

٢٥- **جماليات القصيدة المعاصرة** ، طه وادي - ط٢ - القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٩م.

٢٦- **حبيبتي على القمر** ، شعر : طاهر زمخشري - ط٢ - الشركة التونسية لفنون الرسم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٢٧- **حروف من لغة الشمس**، شعر: عبدالله بن سليم الرشيد - ط١- دار المعراج الدولية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٢٨- **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية** ، عبدالله الغذامي - ط٢ - ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

٢٩- **دروب الضياع**، شعر: محمد الفهد العيسى - ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣٠- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ابن بسام الشنتريني ، تحقيق سالم مصطفى البدري - ط١ - بيروت ، لبنان : دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٣١- **رحلة الأمس**، شعر : أحمد إبراهيم الحربي - ط١ - جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤١٦هـ .

٣٢- **رهبة الظل** ، شعر : محمد إبراهيم يعقوب - ط١ - جازان : منشورات نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٣٣- **رؤيا التماثل**، محمد مفتاح - ط١- الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م .

٣٤- **الرياض العشق الأول**، شعر : خالد الخنين - ط١ - دمشق ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٣٥- **سيمياء التأويل : الحريري بين العبارة والإشارة** ، رشيد الإدريسي - ط١ - الدار البيضاء : شركة النشر والتوزيع المدارس، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٣٦- **سيمياء المرئي**، جاك فونتاني؛ ترجمة علي أسعد - ط١ - اللاذقية - سوريا : دار الحوار، ٢٠٠٣م .

٣٧- **السيميائيات والتأويل، مدخل لسيميائيات ش. س. بورس** ، سعيد بنكراد - ط١ - بيروت والدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٣م .

٣٨- **شفق الأحلام** ، شعر : محمد سعيد المسلم - مطبعة دار الكتاب ، ما بين عامي ١٩٤٨م - ١٩٥٤م ، د.ت .

٣٩- **الصورة الشعرية واستيحاء الألوان**، يوسف حسن نوفل - ط١ - القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٤٠- **الضوء واللون في القرآن الكريم**، نذير حمدان - ط١ - جدة : دار المنارة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

٤١- **عناقيد الضياء** ، عبدالرحمن العشماوي - ط١ - الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٤٢- **عنصر اللون في شعر المتنبي** ، عبد الله باقازي - ط١ - نادي القصيم الأدبي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤٣- **الفجر الراقص** ، شعر : عبدالسلام هاشم حافظ - جدة : شركة المدينة للطباعة النشر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٤٤- **فضاءات اللون في الشعر : الشعر السوري نموذجاً**، هدى الصحناوي- ط١ - دمشق: دار الحصاد، ٢٠٠٣م.

٤٥- **لا تسلني عن جراحي** ، شعر : مهدي بن أحمد حكمي - ط١ - جازان : نادي جازان الأدبي ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٤٦- **اللغة واللون** ، أحمد مختار عمر- ط١ - الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٤٧- **متدثر بالبياض** ، شعر : عبدالله السميح - ط١ - الطائف : مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

٤٨- **مجموعة الخضراء**، شعر: طاهر زمخشري -ط١- جدة: مطبوعات تهامة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٩- **المخالب الحمر**، شعر: سلطان البادي -ط١- بيروت: دار الغندور، ١٩٦٤م.

٥٠- **من شظايا الماء**، شعر: إبراهيم عمر صعابي -ط١- جازان: نادي جازان الأدبي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥١- **نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى**، بول ريكور؛ ترجمة سعيد الغانمي -ط١- بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣م.

٥٢- **النغم الأزرق**، شعر: حسن عبدالله القرشي -ط١- بيروت: دار الآداب، ١٩٦٦م.

٥٣- **الهوى والشباب**، شعر: أحمد عبد الغفور عطار -ط٢- بيروت، لبنان: مؤسسة جواد للطباعة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٥.

٥٤- **الواقعية اللونية: قراءة في ماهية اللون وسبل الوعي به**، صلاح عثمان -ط١- الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٧م.

٥٥- **وأنك أصل الجهات**، شعر: إبراهيم بن دخيل الوزان -ط١- الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥٦- **واللون عن الأوراد**، شعر: غازي القصيبي -ط١- بيروت، لبنان: دار الساقي، ٢٠٠٠م.

ثانيا - المجلات:

٥٧- **الأطلام**، صمتيات اللون النشوان وتجربة أمل دنقل، غالية خوجة -نادي المدينة المنورة الأدبي، العدد ٣، ذوالحجة ١٤١٩هـ/ مارس، إبريل ١٩٩٩م.

٥٨- **الأقلام**، التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث، محمد صابر عبيد -بغداد، العدد ١١-١٢، ١٩٨٩م.

٥٩- **بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها**، ظاهرة المدح باللون والذم به في الشعر العربي حتى منتصف القرن الثاني الهجري، محمد بن سليمان السديس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج٣، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٦٠- **جذور**، تعبيرية اللون في شعر عنترة، جاسم محمد صالح، العدد ٢، جمادى الأولى ١٤٢٠هـ/ سبتمبر ١٩٩٩م.

٦١- ـــــــ. **الصورة الفنية وسلطة اللون**، محمود جابر عباس، العدد ١٣، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/ يونيو ٢٠٠٣م.

٦٢- ـــــــ. **اللون بين فلسفة الفن والشعر**، حافظ المغربي -جدة: النادي الأدبي الثقافي، العدد ١٨، شوال ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤م.

٦٣- **الخفجي**، ألوان في شعر العميان: القضية بين التهاون والاهتمام، محمد يوسف التاجي، العدد ٩، رمضان ١٤١٣هـ - آذار ١٩٩٣م.

٦٤- **الدارة**، المستوى الدلالي للون في شعر عنترة، خليل عودة، السنة الثانية والعشرون، العدد ٢، ربيع الآخر ١٤١٧هـ - سبتمبر ١٩٩٦م.

٦٥- **عالم الفكر**، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، محمد مفتاح، العدد ٣، مج٣٥، يناير - مارس ٢٠٠٧م.

٦٦- ـــــــ. السيميائيات التأويلية وفلسفة الأسلوب، أحمد يوسف، العدد ٣، مج٣٥، يناير - مارس ٢٠٠٧م.

٦٧- ـــــــ. سيميائيات التواصل الفني، الطاهر رواينة، العدد ٣، مج٣٥، يناير - مارس ٢٠٠٧م، ص٩٤٢.

٦٨- ـــــ. سيميائيات مدرسة باريس: المكاسب والمشاريع (مقاربة إبستمولوجية) ، محمد بادي ، العدد ٣ ، مج٣٥، يناير - مارس ٢٠٠٧م .

٦٩- ـــــ. السيميائيات النشأة والموضوع ، سعيد بنكراد ، العدد ٣ ، مج٣٥ ، ينـاير - مارس ٢٠٠٧م.

٧٠- ـــــ. في سيميائيات التلقي ، المصطفى شادلي ، العدد ٣ ، مج٣٥ ، يناير - مارس ٢٠٠٧م .

٧١- ـــــ. قراءة في السيميولوجيا البصرية ، محمد غرافي ، عالم الفكر ، العدد ١ ، مج٣١، يوليو - سبتمبر ، ٢٠٠٢م.

٧٢- **عالم الكتب** ، الألوان في القرآن الكريم وقيمتها الدلالية ، يحيى بن أحمد عريشي ، مج٢٧ ، العددان الخامس والسادس (عدد مزدوج)، الربيعان - الجماديان ١٤٢٧هـ، إبريل - مايو/ يونيو - يوليو ٢٠٠٦م.

٧٣- ـــــ. العنوان في الشعر السعودي : بداياته ، وتياراته الإبداعية ، عبدالله الرشيد ، عالم الكتب ، مج٢٥ ، العددان الثالث والرابع (عدد مزدوج) ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٢٤هـ / محرم - صفر ١٤٢٥هـ ، يناير - فبراير/ مارس - أبريل ٢٠٠٤م.

٧٤- **فصول** ، شاعرية الألوان عند امرئ القيس ، محمد عبد المطلب، المجلد الخامس، العدد الثاني ، ١٩٨٥م .

٧٥- ـــــ. مقاربة سيميائية لحفزات السرد والنص الباطن في سيرة الظاهر بيبرس ، محمد منصور أبا حسين ، العدد ٦٠ ، ٢٠٠٢م .

٧٦- **القافلة** ، التصوير اللوني في شعر المتنبي، أحمد عبد الكريم، مج٤٩، العدد ٤، ربيع الآخر ١٤٢١هـ / يوليو ٢٠٠٠م .

٧٧- ـــــ. معاني الألوان بين الشعر والقرآن الكريم ، أحمد عبد الكريم، مج٤٦، العدد ٨ ، شعبان ، ١٤١٨هـ / ديسمبر ١٩٩٧م .

٧٨- **مجلة جامعة الملك سعود** ، العنوان في القصيدة العربية ، عبدالرحمن السماعيل ، مج٨، الآداب (١) ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٧٩- **مجلة كلية التربية بجامعة أسيوط** ، التشكيل اللوني في شعر أبي تمام، إبراهيم الحاوي، العدد الثاني عشر ، الجزء ١٩٦٦م.

٨٠- **مرافئ** ، ظاهرة الألوان وصورة المرأة في شعر غازي القصيبي ، أحمد سليمان اللهيب، السنة الخامسة ، العدد ٥ ، محرم ١٤٢٤هـ / مارس ٢٠٠٣م .

ثالثاً - الرسائل الجامعية :

٨١- **حسين سراج أديباً** ، فهد العظامي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي ، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية .

٨٢- **شعر محمد الفهد العيسى: دراسة موضوعية وفنية**، جبر الفحام، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تلقِّي التلقِّي

توجيه العلماء في مآخذ ابن مَعْقِل على شُرَّاح شعر المتنبي

أحمد سليم غانم

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

استهلال:

عُني غير قليل من علماء العربية، على مر الحقب الزمنية لتاريخ الأدب العربي القديم بشرح عيون الشعر بعامة، فضلاً عن تناولهم لبعض الدواوين والمجموعات والمختارات الشعرية بخاصة، وكان النصيب الأوفى من هذه الشُّروح، كمّاً وكيفاً، موجّهاً لديوان أبي الطيب المتنبِّي، وقد كانت هذه الشُّروح تنطلق من خلال التوجُّهات الخاصة بالشُّرَّاح، فقد تضمّنت غير قليل من وجهات نظرهم الخاصة تجاه شعر المتنبِّي، وبعبارة أخرى رصد معانيه ونقده، بما لمصطلح النقد المعاصر من مفهوم متغاير، أو بالأحرى متقلِّب - إذا صح التعبير- وفقاً لما ينماز به المصطلح ومفهومه - على السواء - من مناهج وتوجُّهات متغايرة في المنطلقات والآليات والأهداف.

وعلى أية حال، يعنينا من هؤلاء الشُّرَّاح لشعر المتنبِّي خمسة منهم حاورهم عالِم سادس، بما يُطلق عليه في تاريخ أجناس التأليف عند العرب "**الاستدراك**"، أو "**المآخذ**"، كما أطلق ابن مَعْقِل على كتابه، وهو ما قد يقابل، في منحى النقد المعاصر، مصطلح "**نقد النقد**" أو ما سنعرض له، هنا، من صيغة جديدة نطلق عليها "**تلقِّي التلقِّي**" في تطور اصطلاحي لاحق يتسم بالاختلاف المعرفي فيما نذهب إليه.

ومن ثَمَّ مثَّلت "**المآخذ**" فضاءً جديداً لما دعوناه، هنا، "**تلقِّي التلقِّي**" الذي مارس ابن مَعْقِل من خلاله قراءة أكّدت على السمات المائزة للنص المتنبِّئي، بل أعادت اكتشاف ما انطمس من تلك السمات - عن طريق السهو، أو الخطأ، أو التوجُّهات المتباينة - على يد الشُّرَّاح الذين تناولتهم قراءته، وهي القيمة العلمية العليا المضافة في فضاء "**تلقِّي التلقِّي**" الذي يكرِّس نظرية الإنتاج المشترك للمعنى في النص الأدبي بين المؤلف والشُّرَّاح والمؤاخذِ عليهم.

وما سبق يؤدي، بالضرورة، إلى وجوب العرض والمناقشة لمحاولة ضبط المصطلح الذي يعد، هنا، عنواناً مائزاً لجهد ابن مَعْقِل في كتابه، ومحاولة الكشف عن آلياته وسماته المائزة عن مستوى التلقِّي السابق عليه، من خلال رصد مستويات التمايز بينهما في تناول النص، من خلال مبحثين؛ أولهما تنظيري نُعنى فيه بالرصد المقارن للفضاء الاصطلاحي لـ"**المآخذ**" في إطار أجناس التأليف عند العرب، وتراتبها، من جانب ومن جانب آخر نرصد مصطلح "**تلقِّي التلقِّي**" وما قد يتقاطع معه من مصطلحات أخرى عند النُّقَّاد المعاصرين؛ بغية ضبط آليات اشتغال المبحث الثاني المعني بالممارسة الإجرائية، حيث يتناول عدداً من قضايا الاستدراك المتصلة بنص "**المآخذ**" / "**تلقِّي التلقِّي**" من قبيل المنهج العقلي والمجهود العلمي وفضاء اللغة والنقد والبلاغة، فضلاً عن قضايا أخرى لن نتعرض لها في بحثنا هذا.

كذا نهدف إلى محاولة وضع ذلك الجهد العلمي في موضعه الصحيح، بين توجُّهات القدماء ونظرتهم للقيمة

العلمية لمؤلِّف ابن مَعْقِل، وتوجُّهات المحدَثين والنظريات النقدية المعاصرة، التي لابد أن لها منظوراً خاصّاً تجاه مآخذ ابن مَعْقِل على الشُّرَّاح.

مهاد: الممارسة التنظيرية

المتنبِّي والشُّرَّاح:

احتفى العلماء العرب بالشِّعر بوصفه ديوانهم ومجمع علومهم، فتناولوه بالرواية والجمع والتوثيق والدراسة لضبطه وضبط نسبته ومصطلحاته، وما انداح حولها من مفاهيم مختلفة.

وكان الشَّرح من أبرز مظاهر العناية بالشِّعر، حيث أخذ بعض العلماء يشرحونه لإبراز سماته اللغوية والأدبية المائزة، بغية تقريبه للناشئة من طلاب العلم، بينما تخصص بعضهم في شرح الشِّعر فوقفوا معظم مؤلفاتهم عليه، ومنهم التِّبريزي (ت ٥٠٢هـ) وعلى الرغم من أن شرح الشِّعر بوصفه نشاطاً معرفيّاً تثقيفيّاً، في آن، طال عدداً كبيراً من دواوين الشُّعراء العرب – سواء المفردة أو ما ضُمَّ منها في مجاميع القبائل وغيرها، أو ما تناثر في كتب الاختيارات – فإن هناك جهوداً خاصة توجّهت نحو شرح شعر أبي الطيب المتنبِّي، فقد تناوله غير قليل من العلماء بالشَّرح في إطار كمّي وكيفي غير مسبوق مقارنةً بغيره من الشُّعراء.

وعلى المستوى الكيفي، فإن الجهد المعرفي، المتمثل في الشُّروح، حول ديوان المتنبِّي لم يتوقف عند حد الشَّرح بتوجُّهاته المختلفة، وإنما تجاوزه إلى مستويات أخرى تمثَّلَ أحد وجوهها في الاستدراك على الشُّروح، التي قام بها غير عالِم، فهناك الزوزني الذي وضع مستدركاً على شرح ابن جنِّي أطلق عليه "قشر الفَسْر"، كما أن هناك مَنْ قام بوضع مستدرك آخر على مجموعة من الشُّروح، كابن مَعْقِل الأزدي الذي استدرك على خمسة من أبرز شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبِّي، بما فيهم مَنْ استدرك عليه صاحب القشر، وكذلك أستاذ ابن مَعْقِل.

وقد لفتني استحقاق الجهد العلمي المبذول في الاستدراك على الشُّروح للدراسة بشكل عام، لاسيما وأنه لم يُدرس من هذه الجهة من قبل، فضلاً عن أن استدراكات ابن مَعْقِل التي تستحق الدراسة بشكل خاص؛ لما تضمه من استدراكات على خمسة من أبرز علماء العربية وشُرَّاح الأشعار، وهو ما تضطلع به دراستنا، هنا، لا سيما وأن جهد ابن مَعْقِل حُقق حديثاً تحت عنوان "**كتاب المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبِّي**" ولم نقف على دراسة مفردة تتناول منحى ابن مَعْقِل في مآخذه في إطار ما سندعوه بـ"**تلقِّي التلقِّي**".

وعليه، فقد توجهنا نحو دراسة الجهد العلمي لابن مَعْقِل في مآخذه، متوسلين بعض الآليات التي تنتمي للنظريات النقدية المتجهة إلى القارئ – من بين النظريات والمناهج والتوجُّهات النقدية المعاصرة المتغايرة في المنطلقات والآليات والأهداف(١)– نظراً لتواؤمها مع الشُّروح التي تناولها بالاستدراك، مما يمثل فضاءً ملائماً لدراسة التلقِّي، فضلاً عن تناول تلقِّي ابن مَعْقِل المتمثل في الاستدراك/المؤاخذة لتلقي الشُّرَّاح لشعر المتنبي.

فقد بدأت رحلة تلقِّي إبداع أبي الطيب المتنبي مع أصدقائه الذين تلقوا إبداعه تلقِّياً مباشراً، مثل ابن جنِّي الذي حاوره المتنبي(٢)، وطالبه بالتلقِّي التفاعلي، الذي بدأ به من خلال شرحين كبير وصغير، وانداح مع غير قليل من الشُّرَّاح، الذين تباينت توجهاتهم؛ فقد كان منهم اللغوي والشاعر والعالم والراوية والناقد والأديب، مما استدعى لوناً جديداً من التلقِّي يستدرك على هذه الشُّروح بتوجُّهاتها المختلفة، تمثّل في "**المآخذ**" التي نسجت فضاءً جديداً يحيط بالنص المتنبئي وشروحه المتعددة والمختلفة في آن، وهو ما نقترح دراسته في إطار اصطلاح نظن إنه جديد، أطلقنا عليه "**تلقِّي التلقِّي**" الذي مارسه ابن مَعْقِل

الأزدي من خلال الاستدراك، الذي أطلق عليه مصطلحاً خاصاً، تميزت به استدراكاته على الشُرّاح عن غيرها في الجنس التأليفي نفسه، ونظن أن ذلك الهدف ربما يتضح من خلال ضبط المصطلحات المساوقة لبحثنا هذا. إذ إنَّ الفضاء المعرفي لا تنفك حاجته عن بنية تضبطه وتحدد أبعاده، وذلك ما نتلقّاه في المصطلح، "فالسِّجل الاصطلاحي في كل فرع من العلوم هو الكشف المفهومي الذي يقيم للمعرفة النوعيَّة سياجها المنطقي"[٣]، ويعد الضبط الاصطلاحي، كذلك، ضرورة ملحّة في ضوء ما رسخ من أنه "بين العلم والمصطلح صلة تماثل التماهي الذي يقوم بين الدال والمدلول في المسلمات اللغوية الأولى"[٤].

ونود الإلماح إلى أننا سنناقش المصطلح القديم أولاً، ثم نتلوه بالمصطلح الحديث، ولم يكن ذلك متابعةً من البحث للسياق الزمني، وإنما دعت له أسباب منهجية ستتبدى تباعاً.

مصطلحا الاستدراك والمآخذ:

إن الحوار الذي دار بين ابن مَعْقِل والشُرّاح الخمسة قد اتخذ بعداً وعائياً تأليفياً، كانت له أسبابه الوجيهة، والوجيهة، هنا، ليست صفة تقريظية، وإنما تتبدى مقومات الوجاهة من الأسباب التي دعت ابن مَعْقِل إلى إقامة مثل هذا الحوار مع خمسة من الشُروح السابقة عليه، التي دعته إلى "طرحها" أو بالأحرى طرح بعض أجزائها وإعادة شرحها، وفقاً لاستمرار "النص الأصلي محتفظاً بدلالاته المسبقة، ومعانيه الكامنة والمحتملة، وخصائصه البذرية المتطورة مع الزمن، مما يخلق الحاجة إلى تفسير جديد، يتفق مع ثلاثي يتغير ويتجدد محتواه، وهو:

أ – الخبرة الإنسانية.

ب – الإدراك في ضوء الخبرة الجديدة.

ت – الوقائع والحالات الجديدة التي يصدق عليها التفسير"[٥].

وهذا الوعاء التأليفي ذاته – فضلاً عن الأسباب الداعية له– له بعد تكويني بذري متنامٍ في تاريخ التأليف في الحضارة العربية الإسلامية، إذ ينبثق من مرتبة متأخرة من مراتب التأليف التابع لديهم، عُرِفت بـ"الحواشي"[٦]، التي كان من بين وظائفها " الاستدراك على النص وتصويب الأخطاء، أو انتقاد المؤلف والرد عليه، أو الدفاع عنه والرد على منتقديه"[٧]، هذا، وقد تطورت هذه الوظيفة فأصبحت تمثل جنساً تأليفياً منفصلاً، بات له بعداً معرفياً فاعلاً، من خلال مجموعة من المؤلفات المتوالية في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية بوجهٍ عام، وتاريخ الأدب العربي بوجهٍ خاص، وعُرِف باسم "الاستدراك"[٨] الذي دبَّج له ابن مَعْقِل اسماً أبدعه من مخيلته هو "المآخذ" التي تعد جديدة بوصفها اصطلاحاً، على الرغم من قدامة مفهومها المتمثل في "النظرة النقدية التقويمية للنص السابق"[٩]، ضمن منظومة خدمة النص ومحاورته[١٠]، إذ تبرز "المآخذ" هنا بوصفها من أول أشكال التأليف المُكمِّل للنص[١١]، ومن ثَمَّ نذهب إلى أنها تعد من أهمها عند القدماء، على الرغم من النظرة التراتبية التنازلية لهذا الجنس التأليفي لديهم في مسار الإبداع.

ويبدو من المهم، هنا، أن نمايز بين "الاستدراك على النصوص" الذي تنتمي إليه مآخذ ابن مَعْقِل، بوصفه جنساً تأليفياً من جانب، وردود النصوص ومعاركها التي تنتمي لجنس تأليفي مختلف ومتمايز من جانب آخر، إذ بينما يركز المُستدرِك على إصلاح أجزاء من النص، وتصحيح الأخطاء التي قد تكون وقعت به، فالرد على النص أو إدارة معركة حوله، هو رد أو معركة فكرية في المقام الأول، فالردود "تتجه أساساً للرد على الاتجاه الفكري للنص الأصلي، أو على المنهج الذي اُتّبع في تأليفه بشكل عام، ولا تنصب أساساً على إصلاح نواقص وأخطاء بالنص الأصلي، أو تكملة جزئيات ناقصة بالنص إلا نادراً، وفي هذه الحالة،

يختلط الرد بشيء من الاستدراك على النص"[12]. وهذا الاختلاط هو ما دعانا إلى توضيح هذه الإشكالية، حتى لا تلتبس في الأذهان مقصدية ابن مَعْقِل في مآخذه-هذا على الرغم مما سيرصده البحث من بعض الإشارات الأيديولوجية في توجُّه ابن مَعْقِل- التي تركز على جزئيات من الشروح، ولا تناقش الإطار المعرفي الذي بُنيت عليه، كما يتضح من خلال استعراض الكتاب بأجزائه المختلفة. وهذه النتيجة في مناقشة المصطلح القديم تصل بنا إلى مناقشة المصطلح المعاصر، في ظل الوقوف على طبيعة الجهد التأليفي في المآخذ.

مصطلحا "تلقّي التلقّي" و "نقد النقد":

أولاً: "تلقّي التلقّي":

تتجلى الصيغة التركيبية للمصطلح من مفردتين، هما (تلقّي) و(التلقّي). أما عن هذه الأخيرة فهي تنهض كدالٍّ على "نظرية نقدية تُعنى بتداول النصوص الأدبية وتَقبُّلها، وإعادة إنتاج دلالتها"[13]، ولا نستطيع إدراكها، بوصفها نشاطاً فكرياً، إلا من خلال نظريَّة أكثر شمولاً هي نظريَّة (الاتِّصال)[14].

لذا فإنَّنا نطالع ذلك المصطلح - التلقِّي[15] - تحت عنوان/ مصطلح نظريَّة الاستقبال أو "استجابة القارئ"[16] غير أن ثمَّةَ مجموعة من الأسس يمكن من خلالها فصل نظريَّة الاستقبال عن نقد استجابة القارئ[17].

ومهما يكن، فإنَّ "الاهتمام المطلق بالقارئ والتركيز على دوره الفعَّال كذات واعية لها نصيب الأسد من النص وإنتاجه وتداوله وتحديد معانيه"[18] هو الجامع الذي يوحِّد بين المنتسبين إلى طروحات هذا التوجُّه النقدي[19].

أما عن علَّة انبثاق ذلك الاتِّجاه في الحياة النقدية، فتتبدى في البحث الدؤوب من قبَل النقّاد المعاصرين عن مناهج نقدية مناسبة، أو بالأحرى أكثر مناسبة لمعالجة النص الأدبي، ومحاولة الكشف عن مكنوناته؛ تفارق المناهج التي انصبّت على المؤلف، فيما أُطلق عليه المناهج الخارجية، أو منظومة المناهج التاريخية[20]، أو تلك المناهج التي عنيت بالنص وما يتواشج فيه من بنى وعلاقا مختلفة، منقطعاً عن مؤلفه كرد فعل على الفريق السابق، دون العناية بطرف آخر مهم للغاية؛ إذ هو المعني من قبَل المؤلف والنص على السواء، وهو القارئ/المتلقِّي الذي يقترح عدداً من المعاني الكامنة في النص[21]، وعليه، فقد انبثق التوجُّه نحو دراسة التلقي من خلال الديمومة التاريخية لتنازل القارئ عن "دوره وأهميَّته إما للنَّصِّ أو لما يبرزه النص كمحتوى ومضمون، سواء كان ذلك العالم الخيالي أو الواقعي، أو للمؤلف حتى يستفيد القارئ من عبقريَّته أو يستمتع بها"[22]. ومن جانب آخر مساوق "كردَّة فعل على إهمال السياق الخارجي وصب الاهتمام على النص ذاته (مقولة النقد الجديد) فجاء نقد (التلقِّي أو الاستقبال) ليقلب المقولة تماماً، ويركز على سياقات النص المتعددة التي تفضي إلى إنتاجه واستقباله أو تلقِّيه"[23]، وهو ما أدى إلى عناية فائقة بالقارئ ودوره الفاعل في الكشف عن معانٍ متباينة للنص، في مقابل صورة سابقة كانت تلاشي القارئ ودوره[24].

وعلى ما سبق، فإننا نستطيع تحديد بعض المناشط الإجرائيَّة المتَّصلة بالتلقِّي على النحو التالي:

- ينهض (المرويُّ عليه)[25] بوصفه عاملاً مساعداً على تحليل بنية النص، بما أن النصَّ موجّه إليه كسلسلة من الإشارات الدّالة.
- القارئ المفترض (الذي يأمل المؤلف أن يقرأ النص) فهو يتحدد من خلال فحص التفاعل المتداخل بين النص والسياق، الذي حكم ويحكم باستمرار إنتاج النص.
- القارئ الحقيقي (الشخص الذي يشتري النص ويقرؤه):

ومع هذا القارئ تبدأ حدود النص وبنيته بالانهيار، إذ يخرج النَّص والنَّقد معاً إلى فضاء الثقافة عامة: "الفكر والتاريخ والمجتمع والأنثروبولوجيا وعلم النفس وغيرها"(٢٦).

فمن تحليل بنية النص، إلى فحص التفاعل بين النص والسياق، إلى الانفتاح على فضاء التلقِّي، ففضاء الثقافة، محطات متعاقبة في خط سير مناهج النقد الأدبي وتوجهاته، دعت إلى طرح هذه الاسئلة: "هل المعنى وإنتاجه في النص أو لدى القارئ؟ أو عند المؤلف؟ أو خارجهم جميعاً في الفضاء الثقافي؟ أو في اللغة كمؤسسة اجتماعيَّة تتجاوز ذلك جميعه؟ كيف يتفق القرّاء، إن قليلاً أو كثيراً، حول معنى ما في نص معين"(٢٧)، والحقيقة أن هناك مَن أجاب أو على الأقل حاول الإجابة عن بعض هذه التساؤلات، فذهب إلى أن "طعم التفاحة ليس في التفاحة نفسها - فالتفاحة بذاتها لا طعم لها - وليس في فم من يأكلها، وإنما هو في التواصل بين الاثنين"(٢٨)، وعلى الرغم مما قد يلاحظه بعضهم من عدم توافر الزخم المنهجي الأكاديمي للنص السابق، فيبدو أنه دال على ما نرمي إليه من توجُّه يعد - إلى حد بعيد - ممثلاً لاتجاه متوازن في معالجة الطرح السابق، يؤدي إلى أننا "لو حاولنا أن نتمثل الوجود الأدبي لما لمسناه إلا في حالة التقاء القارئ بالنص"(٢٩) ونضوجه، كما تشير إلى أن "الموقع الفعلي للعمل يقع بين النص والقارئ، فإن تحققه هو، بشكل واضح، نتيجة تفاعل الاثنين"(٣٠) بغية إنتاج المعنى الأدبي الذي ظل النقّاد يبحثون عنه عبر مناهج النقد المتعاقبة.

وبينما نهض القارئ كقطب نظريَّة التلقِّي، فإنَّه يمكننا أن نقف على بعض القضايا المساوِقة، كشخصيَّة المتلقِّي وتاريخ التلقِّي وسياقه، وهذه الثلاثة هي العوامل المؤثرة، لدى بعض الدراسات، في عملية التلقِّي(٣١).

وعليه، فلا يجب أن يتوقف دور القارئ عند "حدود التفكيك والإدراك البصري لهذه العلاقات [النصية] أو التحليل المحايث للبنيات اللغوية المشتغلة داخل النص، بل يستثمر ذلك ويتجاوزه في نفس الآن [كذا] بالقيام بعمليات تحيينيَّة، فالنص ليس كليَّة مغلقة ... بل هو إمكانات مفتوحة للبنية والتأويل، يسعى المتلقِّي إلى تحيينها بمنحها دلالات مناسبة للنص وللسياق"(٣٢) حيث يستكمل القارئ فراغات النص، مما ينتج عملية ديناميَّة بين ذلك الأخير - النص - وقطب عملية التلقِّي/ القارئ(٣٣).

ومهما يكن من أمر، فإن منتج ذلك الاتجاه النقدي، من وجهة نظر أحد رواد النقد المعاصر، قد حرم النص من قدرته على الدلالة أو المعنى، بل حرم "القارئ نفسه القدرة على تحقيق معنى محدد وتثبيته. فالقارئ - كل قارئ - يقدم نسخته الممكنة التي تتحكم فيها سياقات ثقافيَّة وتاريخيَّة واجتماعيَّة تختلف عن سياقات الآخرين"(٣٤). ووفقاً لما دار من مناقشات حول ضبط مفهوم مصطلح القدرة الأدبية(٣٥)، في توجُّه آخر أظنه يخالف توجُّه صاحب الاقتباس السابق.

وعوْدٌ على بدء، إذْ نعود إلى اللفظ الأول المضاف إلى مصطلح التلقِّي، وهو (تلقِّي) التلقِّي الذي يبدو لنا ذا وظيفة مركَّبة، وأمّا عن كونها الوظيفة المركَّبة، فإنَّ التفاعل فيها لا يقوم بين نصين فقط إبداعي ونقدي، وإنما يقوم بين أكثر من نص نقدي تتوالى على نص إبداعي وعالج أحدهما - أحد النصَّين النقديَّين - الآخر.

وثمَّةَ نص نشير إليه في هذا السياق، يذهب إلى أن "الشرح الشعري هو تلك العمليَّة المعقَّدة التي تقوم على الغوص في معاني الشعر وتراكيبه، ومحاولة إخراجها للجمهور سهلةً سائغةً بألفاظٍ قريبةٍ يدرك المتلقِّي مدلولاتها"(٣٦). والنص قد جمع بين لفظ المتلقِّي المتعالق بـ (التلقِّي) كاتجاه نقدي- بشكل من الأشكال - والشرح الشعري، ولا شك أن الشروح الشعرية في تراثنا العربي

قد اطرد بعضها في متوالية، فمن ديوان إلى شرح أول إلى شرح ثانٍ إلى ثالث ورابع فأكثر، إلى استدراكات على الشروح، وغير ذلك، على أنَّنا نشير إلى أن تلك الشروح في عمومها لم تكن في مسار "تلقِّي التلقِّي"، إذ إن اتجاه التلقِّي النقدي، يؤكد على القارئ المفترض/العالِم المحاوِر، الذي يستطيع أن يقيم مع النص علاقة إيجابية من خلال القراءة الفاعلة، أي أن يكون قارئاً كاتباً، وهو توجُّه تجلَّى في مآخذ ابن مَعْقِل، فضلاً عن تجليه في الشروح السابقة عليه.

ثانياً: نقد النقد

إن الاطِّراد المنهجي يفرض علينا أن نبدأ من حيث بدأنا في تناول المصطلح السابق، ومن ثَمَّ نبدأ بمصطلح (النقد) الذي تحوصل فيه غير مفهوم عبر تاريخ طويل، يحسن أن نشير إلى هذه المفاهيم من مثل، نشاط (الفصل) و (الحكم على الشيء) و (اتِّخاذ القرار)... وإقامة (العدالة)... واستعمله أرسطو ليحيل إلى القرار القضائي الذي يبتُّ في أمر خصومة ما... واللحظة الحرجة ولحظة التحول في مرحلة المرض، وذلك في المفهوم الطبي... وكذا اكتسب في العصر الهيليني معنى دراسة النصوص الأدبيَّة، وأحال على نشاط النُّحاة فظل في عصر النَّهضة يعني (دارس النصوص الأدبية القديمة) ويكون النقد تبعاً لذلك دراسة مثل هذه الأعمال، وظل هذا النقد معنيّاً بتحقيق النصوص وإعادة بنائها وتحريرها، ثم أصبح النقد إجراءً له قوانينه الخاصَّة به... ويطَّرد التطور إلى أن أضحى الفاصل المانع بين العقل والمكاشفة المتعالية..."[٣٧].

وينقل تودوروف عن فراي أنه على النقد أن "يصبح علماً ... أن يكون في الآن ذاته منهجياً وداخلياً"[٣٨].

ولكن إذا اتجهنا صدد التصور المعاصر للمصطلح، فنقف على أن "كل حركات النقد الحديث- سواء كانت الحركة الموجهة للاستجابة، أو علم النفس، أو البنيوية، أو الأسطورية، أو الموضوعاتية، أو الشكلانية- قد اتخذت من المعنى موضوعاً للبحث النقدي"[٣٩]، وهنا نقف على بروز عنصر "المعنى" بوصفه عاملاً فاعلاً بل موجِّهاً للعملية النقدية، بصرف النظر عن تموضعه لدى أحد أطرافها في التوجُّهات النقدية المعاصرة، وعلى أي حال، فإن مسألة تموضع المعنى تبرز كمشكلة فقط عندما يفترض المرء أن تعيين المعنى هو هدف الفعل النقدي. وعلى الرغم من أن كلاً من النُّقَّاد الجدد والنُّقَّاد المتجهين للقارئ لا يموضعون المعنى في المكان نفسه، إلا أن كلتا المدرستين تفترضان أن غاية النقد الأساسية هي تعيين المعنى"[٤٠].

وعليه، تتبدى القيمة العليا لـ"المعنى" في إطار العملية النقدية، تلك القيمة التي ستكون من أهم محاور ومنطلقات مؤاخذة ابن مَعْقِل للشُرَّاح السابقين عليه، بل تعدى ذلك إلى المتنبِّي نفسه، كما سيبرز من خلال المضي قدماً في البحث.

ومن هذا المنطلق اتجه الدارسون إلى "المعنى" بوصفه مهمة النقد العليا، بصرف النظر عمّا يحيط به من نظريات أو اتجاهات مختلفة في منطلقاتها وأهدافها، فالنقد "هو السعي إلى مقاربة المعنى وليس التوقف عند معنى نهائي، لأن النصَّ بنية متحركة، دائمة التحول، وإن بدت في الظاهر ساكنة للرائي المستقبِل... إن النقد عمل مخصوص، قراءة تترصَّد المنفلت من المعنى، وتحاول الإمساك به... وكلما قاربت وجوده تغير فاستحال إلى موجود هو ذاته وهو ليس ذاته..."[٤١]. ومن البديهي أن "المعنى" الذي عُدَّ محوراً للنقد هو المعنى الأدبي، وليس المعنى المعجمي أو غيره من المفاهيم الأخرى المنضوية في إطار المصطلح[٤٢].

وفي توجُّه معرفي آخر، يتسم بالبعد المنطقي التعريفي، النقد هو "تحول كيفي من مجال الخلق الفني إلى محاولة إحكامه بأدوات ذهنيَّة، تفضي إلى السيطرة على الظاهرة الإبداعيَّة بواسطة العقل. فالنقد معرفة، وهو

معرفة من طبيعة خاصة: إذا نظرت إليه من زاوية الفن قلت إنه علم الفن القولي، وإذا نظرت إليه من زاوية اللغة قلت إنه علم القول الفني. ولا يغير ذلك شيئاً في أنه علم للأدب له مقاييسه الخاصَّة، وله مناهجه التي يتوسل بها أصحابه، كما له منظومته النوعيَّة من المفاهيم والمصطلحات"(٤٣).

ويتميز التعريف السابق بالتجرد من التمذهب للمناهج المختلفة، فهو يميط اللثام عن الطبيعة المعرفية للفعل النقدي، دون التسرب إلى دهاليز التحيز لمذهب أو جماعة أو منهج، وهو منطلق عام التزم به صاحب التعريف منذ العنوان الذي ارتضاه لبحثه.

هذا بينما يذهب باحث آخر إلى أن "النقد المقترح بقوة، في السنوات الأخيرة، هو نقد ينصرف إلى قوى العمل التي تتحرك باستمرار في كل نص، تقيم داخل هذا النص متحينةً الفرص لإحداث حركة انقلابيَّة مفاجئة بمجرد عثورها على تواترات تهز انتظام الدلالة التي بدا أن النص يسير في طريقها لأول وهلة. وهو بهذا الوصف نقد يمر بكل النصوص: نقديَّة أو فلسفيَّة أو فكريَّة عامَّة..."(٤٤).

وعلى ما سبق، فإننا يمكن أن نقف على بعض الكلمات المركزيَّة التي تمتلك تفجير طاقة النقد، فهو مقاربَة للمعنى، وهو آليات ذهنية تحاول السيطرة على الظاهرة الإبداعية، وهو، كذلك، علم منهجي داخلي، وقوى تعمل على توتير انتظام دلالة النص. ولا شك أن كثيراً من النُّقَّاد يختلفون، من قريب أو من بعيد، مع هذه الطروحات، ولكننا وقفنا عليها حتى نخطو خطوتنا التالية وهي إضافة كلمة (نقد) إلى (النقد)، لينتج مفهوماً مركَّباً كالمفهوم السابق.

وهنا نقف على تعريف للمصطلح يذهب إلى أن "نقد النقد يستنهضك إلى التبصر بما يكمن وراء الظاهرة الأدبية، ووراء العملية النقدية في نفس الوقت [كذا] من متشابكات يتعاون كل من الأدب والنقد على إخفائها، فهو بذلك يستحثك أن تهتك الحجب والأستار فتنفذ بعين التبصر وروح الاعتبار إلى حيث يغيب بصر الآخرين"(٤٥). كانت تلك إضاءة لمصطلح "نقد النقد" الذي يبحث بوجه من الوجوه في مقوِّمات فلسفة النقد(٤٦).

وعليه، يتبدى أن مفهوم "نقد النقد" بحث في فلسفة النقد، وبذلك وسم تودوروف أحد كتبه، وقد اشتمل على مباحث تحاول التبصُّر وتهتك الحجب والأستار، فهو خوض في الأصول المعرفية للنقد – فيما أرى – بيد أن مترجم الكتاب في مقدمته أخذ على المؤلف تلك التسمية، حيث يرى أنه: "كان الأجدر بتودوروف أن يجعل عنوان كتابه (حوار نقدي) بدل أن يعتمد (نقد النقد)"(٤٧).

وهكذا يتجلى الفرق بين النقد كمفهوم ينحو إلى العموم، مقارنةً بالتلقِّي، في التعاطي مع الظاهرة الأدبية، بينما يختص التلقِّي – وإن كان اتجاهاً واسعاً – بتمركز القارئ كمحور أكبر في معالجة النص الأدبي، ويترتب على ذلك أن "**تلقِّي التلقِّي**" يتصل بالمفهوم المذكور نفسه، وإن كان يتشكل على نحو أعقد لما يمثله من تجذُّر في تاريخ الظاهرة عَبْر الأعمال المطَّردة "وما ينتج عنه من تباين الاستجابات لتباين الذوات المعرفية"(٤٨) التي تعالج إبداعاً واحداً، حيث لا تتماهى معه بالضرورة، بقدر ما تمثل "أنساق القراءة مفارقة لمقصدية المؤلف"(٤٩). أما "نقد النقد" فهو بحث في الخلفيات المعرفية للنقد.

وفي إطار الوقوف على بعض أوجه التمايز بين المصطلحين، فيبدو أن "**تلقِّي التلقِّي**" قد يتماهى إلى حد بعيد مع مصطلح جمالية التلقِّي الذي يعد "دعوة إلى تأويل جديد للنص الأدبي يروم استجلاء سمات التفرد والإبداع فيه (أو نقيضيهما الاتباع والابتذال) لا باستنطاق عمقه الفكري في حد ذاته أو وصف سيرورة تشكله الخارجي كما هي في ذاتها، وإنما بتحديد طبيعة وقعه وشدة أثره

في القُرّاء والنُّقّاد من خلال فحص ردود فعلهم وخطاباتهم. فهي إذن نقد للنص من خلال نقد تلقّياته"[٥٠].

وهو ما يتمايز، إلى حد بعيد، عن توجُّه "نقد النقد" الذي يبدو إنه قد يبحث في الإطار المعرفي الموجِّه لـ"**تلقّي التلقّي**" أو غيره من المباحث النقدية بأن "يفحص هذه الخطابات في حد ذاتها، بحثاً عن بعدها الإجرائي ومنطقها الداخلي وبنيتها الاستدلالية ومرجعيتها المعرفية، وعن مدى مواءمتها المنهجية للنصوص المدروسة"[٥١].

وفي سياق إجرائي مساوِق للمعطيات السابقة، فالمطالع لمآخذ ابن مَعْقِل على الشُرّاح الذين رصد شروحهم للأخذ عليهم، يتبين أن مآخذه تنتمي للاستدراك وليس للرد عليهم أو إقامة معارك فكرية معهم، فلم يناقش الإطار التأليفي لشرح أحدهم، كما لم يناقش منهجه المعرفي العام في الشرح، وإنما تناول أجزاء متفرقة مما شرحوه بالنقد والتغيير وإصلاح ما رآه من أخطاء في شروحهم، مما لا ينتمي بحال لـ "نقد النقد" – فيما نذهب إليه – وإنما ينتمي لما أُطلِق عليه "جماليات التلقّي"[٥٢] أو ما اصطنعناه من مصطلح تجريبي مساوِق له هو "**تلقّي التلقّي**".

تلازم القدرة الأدبية والفعل الكتابي:

وإذا ما طالعنا مآخذ ابن مَعْقِل على الشُرّاح، فنتبين امتلاكه عدداً من الصفات التي مكّنته من رصد مآخذه/ استدراكاته عليهم، فهو عالم باللغة، فضلاً عن إنه أديب وشاعر، مما أتاح له أدوات الناقد، أيضاً. وهي صفات لازمة لَمن يتصدى لمؤخذة أمثال ابن جني وأبي العلاء المعري والتِّبريزي والواحدي النيسابوري، فضلاً عن أبي اليُمن زيد ابن الحسن الكندي، شيخ ابن مَعْقِل! وجميعهم من أبرز العلماء الشُرّاح لشعر المتنبي. فضلاً عن أن تلك الصفات تمثل دعائم لازمة للقدرة الأدبية، التي تمكنه من سبر غور التلقّي السابق عليه ومحاورته من خلال "**تلقّي التلقّي**".

وجاء تقصُّد ابن مَعْقِل لهذه الشروح الخمسة، من جانب آخر، مساوقاً لمحاولة الاستدراك/ المؤاخذة على جهد الشُرّاح بوصفهم قرّاء متميزين/ مثاليين للنص الشعري[٥٣]، لا سيما وقد تقصَّدهم أبو الطيب المتنبّي نفسه، حيث نستشف ذلك من خلال حديثه الذي دار بينه وبين صديقه ابن جنّي، قائلاً له: "أتظنُّ أنَّ هذا الشِّعر لهؤلاءِ المَمْدوحين؟ هؤلاء يكفيهم منهُ اليَسير! وإنَّما أعْمَلُهُ لكَ لتَسْتَحْسِنَهُ؛ أيْ: لكَ ولأمثالكَ"[٥٤]، فقد وجهه أن ينطلق هو ورفاقه من العلماء الشُرّاح في تناولهم للنص من خلال مقدرتهم الأدبية[٥٥]، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن مقولة المتنبّي تساوِق الفعالية التتابعية اللامتناهية لفعل الكتابة/ القراءة/ الكتابة، فالقراءة "سبب للكتابة، فلولا وجود قرّاء لم يكتب الكاتب نصه، حتى وإن حجبه عن الناس لأن لحظة الكتابة هي لحظة توجُّه نحو قارئ"[٥٦]، ولكن القارئ الذي يعنيه المتنبّي، هنا، هو القارئ الكاتب، وليس ما أُصطلح عليه بالقارئ الفعلي/ الحقيقي أو "القارئ الساذج" في توجُّه اصطلاحي آخر[٥٧].

وعلى ذلك تتبدى لنا نوعية النص الذي يتطلب "مشاركة القرّاء في إنتاج المعنى"[٥٨] حيث حاوره، أولاً، مجموعة من الشُرّاح، تلا ذلك محاورة لهم من خلال مستَدرِك/مؤخِذ، ينطلق من أفقه وكفاءته الخاصة، بما يوحي من جانب آخر بخصوصية "نص أدبي قائم على إحساس بجمهوره المحتمل، وينطوي على صورة لمن كُتِبَ لهم: فكل عمل يسنّ ضمن ذاته ما يدعوه آيزر "قارئاً ضمنيّاً". ويلمع في كل إيماءة من إيماءاته إلى نوع "المخاطَب" الذي يتوقعه"[٥٩]، سواء في مرحلة التلقّي أو "**تلقّي التلقّي**"، وهو ما يؤيد، من جانب مساوِق، كل من توجُّهات أبي الطيب المتنبّي ومنظِّري التلقّي، على السواء، التي ترى أن "المؤلف... يكوّن قارئه كما يكوّن ذاته

الثانية"[٦٠]، التي تستوعب توجُّهاته وتطلُّعاته، بل تعمل على تفعيلها لتخطي الراهن إلى المأمول.

يسوِّغ ذلك التوجُّه، أيضاً، ما أشار إليه المتنبِّي بقوله عن ابن جنِّي: "إنه يقول ما أردت وما لم أرده"[٦١]. وهي مقولة مفتاحية ذات حمولة إيجابية شديدة الفعالية في توطيد نظرية القراءة والتلقِّي، التي تؤكد على أن "معنى النص لا يتشكّل بذاته قط، فلابد من عمل القارئ في المادة النصية لينتج معنى"[٦٢]، فضلاً عن توافقها، بل تماهيها مع مسعى البحث، حيث تفتح الباب "للدور الإبداعي للقارئ، ومن هنا يحفظ للنص قيمته الفنية المطلقة، ويحوِّل القارئ من مستهلك للأدب إلى صانع للأدب ومنتج له ... إنه يركز على اعتماد التفسير اعتماداً مطلقاً على النص، مثلما يعتمد النص اعتماداً مطلقاً على التفسير"[٦٣]. فابن جنِّي، هنا، في نص المتنبِّي "ليس متلقِّياً سلبياً لمعنى مكتمل التشكيل، بل وسيطاً فاعلاً في صنع المعنى"[٦٤]، وهو ما يؤدي إلى محاولة تأسيس أو تأصيل نظرة أولية للشّرح بوصفه - فضلاً عن كونه جنساً تأليفياً مفرداً في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية - نوعاً أو جنساً أدبياً قائماً بذاته، وبعبارة أخرى، ربما أوضح، يبدو الشّرح، كتابةً أولى/ تلقِّي، تتلوها كتابة ثانية/"**تلقِّي التلقِّي**" ربما تذيِّل أو تعلق أو تحشِّي أو تستدرك وتؤاخذ.

وعليه، فقد تتضمن الكتابات التالية على الشّرح المؤاخذة أو الأخذ على الشّارح في طياتها، مما يتضح معه أنّ المآخذ على الشّرح بوصفه كتابةً أولى، هنا، تبدو وكأنها، أيضاً، جنس أدبي خاص يجب محاورته بوصفه كتابةً أولى تتلوها كتابةٌ ثانية، نحاول هنا القيام بها في إطارٍ تداولي يحيل كلّ كتابة إلى قراءة ثم كتابة تالية، في نظرة ترى أنّ إمكانية الكتابة التالية، بل وجودها الفعلي، دليلٌ قائمٌ على قيمة الكتابة الأولى، وذلك نابع من أن النّصّ المغلق/المقروء فقط بمثابة نصٍّ ساكن/ ثابت/ ميت، أما النّصّ المفتوح/ المقروء/ المكتوب فهو نصٌّ نامٍ/ متحرك/ حي يتناسل في تداولية قرائية كتابيّة[٦٥]، تتعامل مع نص المآخذ والشروح التي أخذها ابن مَعْقِل، التي تعد قراءة/ كتابة، لكتابة/ قراءة المتنبِّي، بوصفها نصوصاً إبداعية متساوية[٦٦]، وليست كتابات تابعة.

ومن هذا المنطلق نتوجَّه نحو نص مآخذ ابن معقل لسبر القيمة العلمية المضافة التي يمثلها، هنا، مستوى "**تلقِّي التلقِّي**" بآلياته التي تنحاز انحيازاً متمايزاً عن آليات مستوى التلقِّي المباشر عند الشُّرّاح لإبداع أبي الطيب المتنبِّي الذين تناولهم ابن مَعْقِل في مآخذه بالاستدراك.

ولـوج: الممارسة الإجرائيـة

أولاً: المنهج العلمي والمجهود العقلي في درس "تلقِّي التلقِّي":

إذا كان "خلود الآثار الأدبية قائم على تعدد القراءات وتنوع القراء في العصر الواحد أو عبر تجدد العصور"[٦٧] فإن بحثنا هذا يتعاطى مع معكوس ذلك المعنى، حيث قراءة واحدة تمسح خط الزمن الذي سُطِّرت عليه غير قراءة لإبداع أبي الطيب المتنبِّي.

ونسعى إلى استكشاف منهج "**تلقِّي التلقِّي**" لإبداع أبي الطيب، ويشير النموذج الأول إلى بعض (الآليات العقلية) التي يتوسلها ابن مَعْقِل في ذلك السبيل، حيث تمثل (**المقابلة**)[٦٨] الآلية الأولى، إذ يعرض الناقد لشرح ابن جنِّي مبتدأً بقوله: (قال)، ثم يعرض كلامه بعد ذلك مصدِّراً له بقوله "وأقول" ويرمي بذلك إلى تجهيز وعي القارئ إلى تلقِّي ذلك الطرح على أساس المقابلة بين القولين[٦٩].

وتتبعاً لعناصر الجهاز العقلي الذي اتخذه ابن مَعْقِل، فإذا به يسعى محاولاً (**الاستقصاء**) حيث علّق على قول المتنبِّي:

وأكْبَروا فِعْلَهُ وأصْغَرَهُ

أكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الذي فَعَلَهْ

فقال، بعد أن أثبت شرح ابن جنِّي: «وأقولُ: هذا وَجْهٌ حسَنٌ، وثَمَّ وَجْهٌ آخر قد ذَكَرَهُ غيرُهُ، وهو أن يكون "أكبر من فعْلِه" فاعلاً العاملُ فيه "أصغَرَهُ"، كأنَّهُ قالَ: وأصغَرَهُ رجلٌ أو فارسٌ أكبرُ من فِعْلِه»(٧٠) وبينما أثبت الناقد الحُسْنَ للوجه الذي نقله عن ابن جنِّي، فقد عمد مستقصياً إلى رصد وجوه أخرى.

على أن البرنامج العقلي لا يشكل بنية صلبة يتجمد الناقد مع عناصرها، وإنما حرية السياحة في آفاق الظاهرة الأدبية، وما تستدعيه من مدارات وظيفية، تمثِّل الناموس الفعلي للناقد.

وشاهد ذلك ما جاء في ثنايا التعاطي مع قول المتنبِّي:

وقَدْ عادَتِ الأجْفانُ قُرْحاً مِنَ البُكا

وعادَ بَهاراً في الخُدودِ الشَّقائقُ

فقد نقل عن ابن جنِّي قوله: «فكمَا أنَّ "بَهاراً" جمع بَهارَةٍ وإنَّما بينهما الهاءُ، فكذلك "قُرْحاً" جمعُ قُرْحَة فإنَّما بينهما الهاءُ»(٧١) وكان تعليق ابن مَعْقِل «وأقول: لعلَّ أبا الطَّيِّب لم يُرِد الذي ذَكَرَهُ من الجَمْعِ الذي بينَهُ وبين مُفْرَدِه الهاء، وإنَّما أرادَ بالتنوين المبالَغَةَ في المَعْنى، فجعل الأجفان "قُرْحاً" ولم يَصِفْها "بقَرْحَى"؛ لأنَّ الأولَ أبلَغُ [كما كان "بَهاراً" كذلك]...»(٧٢). وهكذا لم يطَّرد تعاطي ابن مَعْقِل للعوامل العقلية، فلم يرحب بمبدأ القياس الذي ارتكز عليه ابن جنِّي في جمع (قُرْحاً)، وتوسَّل حيلة لغوية لذلك، إذ لم يُصرح بالرفض، ومع ذلك فلم يُقرِّه، فقال: "لعل" وهو ضرب من ضروب الاستقصاء أيضاً، حيث تتمدد الفرضيات التي يمكن أن يؤول إليها النص في تفسيره، فيزخر فضاء التأويل بالمزيد، مما يفضي إلى إنتاج حقول دلالية جديدة تحشدها عناصر الجهاز العقلي في ديناميتها المتواصلة.

إن استقصاء وجوه المعنى، الذي أشرنا إليه آنفاً، لم يكن معناه لدى الناقد أن يتخذ منهجاً وصفيّاً من الظاهرة، فهو حين يتلقى نصّاً نقدياً ما، لا يمنعه شيء من الوقوف موقفاً معادياً منه، فهو يرفض ما جاء عن ابن جنِّي في شرحه لقول المتنبِّي:

وَهَبِ الملامَةَ في اللَّذاذة كالكَرَى

مَطْرودةً بسُهادِه وبكائِه

فيقول: «وأقول: هذا ليس بشيء!».

ثم يقول: «والمَعْنى: أنه قالَ لعَاذله: إنَّ الكَرَى الذي يَسْتَلِذُّ به الإنسانُ قد طَرَدَتْهُ عن عَيْنَي بالسُّهادِ والبُكاء؛ فاجْعَلِ المَلامَةَ المُسْتَلَذَّةَ عنه كالكَرَى مَطْرُودةً عَنِّي بهما. ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ المَعْنى: هَبِ الملامَةَ التي لا أَسْتَلِذُّ بهَا، بل أسْتَضِرُّ بها، كالكَرَى في اللَّذاذة، أفَلَيْسَ الكَرَى المُسْتَلَذُّ به مَطْرُوداً بالسُّهادِ والبُكاءِ؟ فما ظَنُّكَ بالمَلامَةِ؟ فاجْعَلْها كذلكَ؛ [والوجه الأول هو الصواب]»(٧٣).

إن محاولة استقصاء المعاني المتاحة لقول الشاعر من لدن مستقبل التلقِّي، تبدو كحيلة سياقية أكثر منها اطراداً منهجياً، وذلك لدعم موقفه الرافض للوجه المختار من لدن المتلقِّي الأول، فذهب باحثاً عن وجوه يملأ بها فضاء الشرح إلى حد قوله "ويحتمل أن يكون المعنى" ثم يحكم عليه بأنه، على الأقل، خلاف الأَوْلى، فالوجه الأول هو الصواب.

ومن آليات التعاطي مع نص الشرح، المتعلقة بالبرنامج العقلي، تشريح النصوص وتباين موقفه من أجزائها تبعاً لمعطياتها، فقول المتنبِّي:

وشَكِيَّتي فَقْدُ السَّقامِ لأنَّهُ

قد كانَ لمّا كانَ لي أعْضاءُ

شرحه ابن جنِّي بقوله: «إنما كنتُ أُحِسُّ السَّقامَ بأعضائي، فلما فَنِيَتْ وتَلِفَتْ للضُّرِّ والمَشَقَّةِ شكَوْتُ فَقْدَ السَّقام، لأنَّ السَّقِيمَ، على كلِّ حال، مَوْجودٌ والفاني مَعْدومٌ، والعَدَمُ أعظَمُ من السَّقَمِ...»(٧٤). وهذه شريحة النص التي

توافق معها ابن مَعْقِل في استقباله للتلقِّي، ووصفها بأنها "صواب" بينما وصف قول الأول "ومحصول البيت أنه يطلب أعضاءَه لا السقام" بأنه "ليس بشيء".

وتجدر الإشارة، هنا، لالتفات ابن مَعْقِل إلى محاولة دعم موقفه بوجه ينهض في مقابل الوجه المرفوض، فيقول: «بل محصولُ البَيْت أنه يَطْلُبُ حالاً أصْلَح من الحالِ التي هو فيها وإنْ كانتا غيرَ صالحتين، أيْ: أنا في حالِ العَدَم، فَمَنْ لي أن أرجِعَ إلى حالِ السَّقام!»(٧٥) .

ويلتفت مُسْتَقْبِل التلقِّي، بعد التشريح والتقويم والتصويب، إلى بحث علاقات التقاطع بين النصوص، وهو هدف ليس مقصوداً لذاته، وإنما دفع إليه سياق حراكه تجاه التلقِّي، فقال: «وهذا مثل قوله:

وَمَنْ لي بيــوْمٍ مــثْلِ يَوْمٍ كَــرِهتُــهُ
قَرُبْتُ به عند الوَداعِ من البُعْدِ»(٧٦)

وهكذا يشير إلى تقاطع البيتين في المعنى موضوع الخلاف، بين وجه التفسير الذي ذهب إليه والوجه الآخر الذي ذهب إليه ابن جنِّي، وبذلك تستحيل الإشارة التناصيَّة، في ذلك السياق إلى أحد عناصر البرهان على صحة مذهبه.

ولا شك أن سياق **"تلقِّي التلقِّي"** يمنحنا رحابة البحث في المجهود العقلي والمنهجي المعقد، الذي طُرِحَ عبر مجموعة من العلاقات، نشأت بين زوايا العمل المتمثلة في نص المتنبِّي من ناحية، ثم ما قام عليه من شروح متعددة، وانعكاس تلك العلاقات في مرآة ابن مَعْقِل الاستدراكية.

على أنه يجدر التنبيه إلى صعوبة التمايز بين تلك العمليات العقلية والأخرى المنهجية، إذ هما يمثلان وجهين لعملة واحدة.

الحوار متعدد الأبعاد:

ويُعدُّ **(الحوار)** القائم بين ابن مَعْقِل والقارئ من جانب، والشُروح من جانب آخر، ونص المتنبِّي من جهة ثالثة، مما رصدنا بعض أبعاده، من أهم ما نقف عليه.

فهذا ابن مَعْقِل يحاور ابن جنِّي في إحدى مآخذه عليه، في صيغة استفهامية تحدو بالقارئ إلى اتخاذ موقفه، حين تتوفر القناعة لما ذهب إليه ابن مَعْقِل، على أن ذاك الأخير يشرك القارئ، كذلك، في الحوار عبر إقناعه بالأسئلة من ناحية، التي تتمثل في مآخذه على الشُرَّاح، ومن ناحية أخرى عبر صيغة المبني للمجهول في قوله: «فيُقالُ لهُ: إذا كان الحِيارُ أَقْرَبَ إلى العِمارة ... فكيف يكون قائمهُ أَدْنَى إلى العمارة ...؟»(٧٧) ، وذلك في معالجة قول المتنبِّي:

فَــأَمْــسَتْ بالبــديَّةِ شَــفْــرَتاهُ
وأَمْــسَى خَلْفَ قــائمِــهِ الحِــيارُ

فصيغة المبني للمجهول - فيما نذهب إليه- حيلة عقلية أكثر منها صيغة لغوية، يرفع بها ابن مَعْقِل عن نفسه شبهة الوقوف ضد قول ابن جنِّي، بل لا ينسب القول لنفسه، فكأنه قول الجميع أو الأكبر حظوة بالمقبولية، وبذلك قد يسهل على المتلقِّي تشرب موقف ابن مَعْقِل، أو تسلل موقفه للقراء.

ويواصل ابن مَعْقِل آلية **(الحوار)** حتى في سياق الذم من لدن المحاور، وهو بذلك يرفع من قيمة تلك الآلية متخطياً حاجز حمولة الشَّارح النفسية، قائلاً: «فيقالُ له: هذه سَفْسَطة! والسؤالُ ها هنا حَسَنٌ مُتوجِّهٌ لم يُجَبْ عنه إلاّ بالسَّب والتَّنَقُّص، والسَّبُّ لا تُقامُ به الحُجَّة، والشَّتْمُ لا تُدْفَعُ به الشُّبْهَةُ»(٧٨).

ويمكننا من مطالعة مأخذه على ابن جنِّي في قول المتنبِّي:

مَضَى اللَّيْلُ والفَضْلُ الَّذي لَكَ لا يَمْضي
ورؤياكَ أَحْلَى في العُيونِ من الغُمْضِ
على أنَّني طُوِّقْتُ منْكَ بِنعَــمَــةٍ
شَهيدٌ بها بَعْضي لغَيْري على بَعْضي

أن نتابع آلية **(حوار)** ابن مَعْقِل مع القارئ، حين يضعه أمام عدة خيارات للمعنى، قائلاً: «وإن شئتَ كان تقديرُهُ: مَضَى الليلُ على هذه الحالِ، أيْ: على أنني مُلْتبسٌ

بنعمَتِكَ، وإنْ شئتَ كانَ المَعْنَى: على أنني طُوِّقْتُ بنِعْمَتِكَ، أُهْدِي إليك سَلاماً وتحيةً. ألا تَرَاهُ يقولُ بعد هذا البيت ... وأقولُ: «الأَجْوَدُ في هذا ...»(٧٩) . وهكذا يستبين دور المتلقّي من خلال طرح ابن مَعْقِل، فعليه أن ينتقي أحد الوجوه الممكنة، ثم يأتي دور ابن مَعْقِل فينتخب الأجود من وجهة نظره، ومن ثَمَّ فالمشاركة قائمة بين القارئ وابن مَعْقِل، في إنتاج الشرح عبر ذلك **(الحوار)** متعدد الأبعاد، حيث أشرك فيه ابن مَعْقِل ابن جنِّي، كذلك، بما نقله من شرحه.

ويستمر الحوار ثلاثي الأبعاد، بين ابن مَعْقِل والقارئ وأحد الشُرَّاح، حين يناقش آلية **(الانتخاب)** من لدن الشَارِح لشعر المتنبِّي، فلا يُعقل، ومن ثَمَّ، لا يُقبل أن تكون مواضع مؤاخذة الشاعر متروكة كيفما اتفق، فالبرنامج البلاغي وعقلية **"تلقِّي التلقِّي"** الناقدة مسؤولتان عن ذلك الاختيار، فمتى اصطدم النص الإبداعي مع برنامج العربية البلاغي أو معطيات العقلية الناقدة، فهذا موضع المآخذ لدى ابن مَعْقِل.

ومن ثَمَّ نطالع موقفه من أبي العلاء في تخطيه قول المتنبِّي:

لَمْ تُبْقِ إلاّ قليلَ عافيـــةٍ
قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَها العِلَلُ

دون أن يقف الشَارِح على أي مأخذ، هو مأخذ لابن مَعْقِل على ذلك الأخير، وفي ذلك يقول: «إن الشَّيْخَ قد أَخَذَ عليه مَآخِذَ في مواضعَ غيرِ سائغةٍ! ولم يَقُلْ في هذا الموضع شيئاً ... وهل يَسُوغُ لعاقلٍ أن يقول لمريض: ما بقي فيك إلا عافيةٌ يَسيرةٌ، قد جاءت العِلَلُ لأَخْذِها منك!...»(٨٠) .

وهكذا استحال ذلك البيت إلى أحد مواضع المآخذ لدى ابن مَعْقِل، وقد عبَّر عن ذلك في سياق حواري، تمتد علائقه إلى إشراك الشاعر نفسه في الحوار، عبر الإشارة إلى التضاد القائم بين معنى البيت المذكور آنفاً، الذي آل فيه المأخذ إلى التكلف والإغراب والتعمق في المعاني(٨١)، وبين قوله:

أَبْلَغُ ما يُطْلَبُ النَّجاحُ به الـ
طَّبْعُ وعِنْدَ التَّعمُّقِ الزَّلَلُ

وهكذا يتمثَّل **(الحوار)** وقد تشكَّل في صورة رباعية، تنتج تلاقحات من خلال موجات الأفكار والمعاني التي تسري متقاطعة أو متوازية، مما يثري نص **"تلقِّي التلقِّي"** ويوسِّع آفاقه، ويبتعد به عن تقليدية المرسِل والمستقبِل المتمثلين في طرفين فقط(٨٢) في إطار نص التلقِّي، إلى فضاء أوسع يتعدد فيه كل من المرسِل والمتلقِّي في إطار تداولي لا نهائي.

إن فك شفرة الإطار المفهومي لمصطلح **"تلقِّي التلقِّي"**، هنا، تستدعي تفهم آليات ابن مَعْقِل في المعالجة النقدية المصنفة. ونتناولها هنا لا من حيث مباشرة موقف ابن مَعْقِل فقط، وإنما من خلال موقفه من آليات بعض مَنْ تناولهم من الشُرَّاح أيضاً، يقول: «وأقولُ: إنَّ ابن جِنِّي طَبْعُهُ تكثيرُ الكَلام، وغَرَضُهُ تَكْبيرُ الكتاب، فما يُبالي بَعْدَ ذلك أَخْطَأَ أم أصاب!...»(٨٣) ، ثم يقول: « ...فالشَّيْءُ يُعَلَّلُ إذا خَرَجَ عن أَصْلِه، وإنَّما الشَّيْخُ جَارٍ على طَرِيقَتِه المَأْلُوفة، وشِنْشِنَتِه(٨٤) المعروفة، في كَثْرَةِ الكَلام بالتَّمويه والإيهام!»(٨٥) . وهكذا ينتقد ابن مَعْقِل ما وصفه من عمل ابن جنِّي فيما يتصل بتكثير الكلام وتكبير الكتاب، وهو نص من الأهمية بمكان، إذ إنه يجلِّي مفصلاً مهمّاً من منهجية الناقد في الممارسة النقدية، فكأنه يرتكز على مذهب العرب في تفضيل الإيجاز(٨٦)، وهو بذلك يمد جذور الاتصال مع التراث، مما يدفعنا إلى طرح تساؤل يتصل بالمادة التي يختارها لتدخل حيز النقاش، حين يخرج السياق من درب الإيجاز، هذا بالإضافة إلى وضوح بعض إشارات التحامل على ابن جنِّي من خلال السياق على عادة ابن مَعْقِل في لذع الشُرَّاح، وإن كان هنا لذعاً خاطفاً وليس حارقاً، كما سيصنع في مواضع أخرى من المآخذ.

وهو ما يجعلنا نشهد له ببراعته من التحامل عليه، هنا، ذلك أنه حين أخذ على ابن جنّي مأخذاً آخر متهماً إياه بقبح الفهم والخبط في ظُلَم الشك نجده يقول: «وما العَجَبُ من تَفْسيره هذا وحْدَهُ، بل اعْجَبُ من الجَماعة الذين جَاءوا بعْدَهُ يَقْتَصُّونَ في ذلك أَثَرَهُ، ويَسْلُكونَ سَبيلَهُ!»(٨٧).

فمذهب ابن مَعْقل في فضاء "**تلقّي التلقّي**" هو التصدي للاتجاه والمسلك المجانب للصواب، وليس، هنا، موقفاً شخصياً، وهو موقف منهجي من حيث تضمنه مطالبة التابعين بمراجعة منهج مَنْ يأخذون عنه، ويدل، كذلك، على استقرار رؤيته، فهو لا يغير موقفه النقدي تبعاً للأشخاص أو الزمن، وإنما يجب أن يكون ذلك لاعتبارات موضوعية فنية.

ومن منهج ابن مَعْقل المرصود من خلال مآخذه على الشُرّاح، ما جاء في سياق تعاطيه مع بيت المتنبّي:

فإنَّ الحُسامَ الخَضيبَ الذي
قُتِلتمْ به في يدِ القاتِلِ

حيث قال آخذاً على ابن جنّي: «إنّه يَحيدُ عن الظّاهر الحَسَنِ إلى الجافي البَعيد الغَريب لبيتٍ نادرٍ يقعُ إليه، فَيُعَوِّلُ في المُهِمِّ عليه!... تَرَكَ المألوفَ المَعْروفَ مَيْلاً إلى الإغْراب، وتَرْكاً للصَّواب، ولم يذكُرْ هذا الوَجْهَ وهو بادٍ لَفْظُهُ للفَهْم سافر، وافٍ مَعْناهُ في الصِّحَّةِ وافر!»(٨٨) وهكذا يمكن أن نستجلي الأنموذج المختار في معالجته، فإذا به يطلب الظاهر الحسن في مقابل الجافي الغريب، ويرفض الاستشهاد بالبيت النادر، لأنه لا يمثل القاعدة، وهو بذلك لا يبحث لنفسه عن رأيٍ جديد أو سبق فريد على حساب الواقع النقدي، الذي يجب أن يتعامل مع الظاهرة الأدبية كلياً وليس جزئياً.

وإذا كان ابن مَعْقل مع الظاهر في مقابل الإغراب، فهو، كذلك، مع رأي الجمهور - جمهور اللغويين أو البلاغيين - فيما يذهبون إليه، لذا نجده يرفض القليل الشاذ لغوياً، كما رفض الاستشهاد بالبيت النادر، قال: «قد جاءَ عنهم: هُوَ أَلْوَمُ منه، مُخالفاً للكَثيرِ المَقيسِ عليه، ولم يَصِلْ إلى مَعْنَى ...»(٨٩) ولاشك أن رأي الجمهور والكثير المقيس عليه هو الأَوْلى، قال في لفظ (داهية) الوارد في بيت المتنبّي:

يا وَجهَ داهيَةَ الذي لَوْلاكَ ما
أكَلَ الضَّنى جَسَدي وَرَضَّ الأعْظُما

قال: «وقد ذَكرتُ في شَرْحِ الواحدي ما قيلَ في هذا الاسم، وما هُوَ الأوْلى»(٩٠).

إن إيفاء جهاز الظاهرة الأدبية حقه بالخضوع لسلطانه، والتماهي مع مخرجاته، هو منهجية الناقد التي تنطق بها ممارساته، حتى ساعة أن يتخلى عن الأَوْلى أو رأي الجمهور، فهو يتخذ أكثر من وسيلة تؤكد على انضوائه تحت لواء رقابة المؤسسة البلاغية، يقول تعليقاً على قول ابن جنّي في معالجته لقول المتنبّي:

نَكَرتَ جَسيمَ ما طَلَبي وأنّا
نُخاطِرُ فيهِ بالمُهَجِ الجِسامِ

قال: «أرادَ: جَسِيمَ طَلَبي فزادَ "ما" توكيداً. وإنما جعَلَ ما زائدةً ها هُنا ولم يَجْعَلْها بمعنى "الذي" لأن "طَلَبي" لا يكونُ بانفرادِه صلةً. فيقالُ له: لمَ لا تكونُ بمعنى "الذي" ويكونُ الجزاءُ الأوّلُ من الصلَةِ مَحْذوفاً مُقدَّراً؟ أيْ: الذي هُوَ طَلَبي، كقوله تعالى: ﴿ تَماماً عَلَى الَّذي أَحْسَنَ ﴾(٩١) أيْ: «الذي هو أحْسَنُ، وذلك جائزٌ»(٩٢). وهكذا انضوى تحت سلطة الجهاز البلاغي والنحوي بذلك الحوار الشّارح لوجهة نظره، الذي ختمه بالإشارة إلى تماهيه مع عناصر السلطة السابقة الذكر بقوله (وذلك جائز) فهذه المقولة هي علة عبوره إلى ساحة المقبولية لدى جمهور المتلقّين وخاصتهم، وقد سعى إلى ذلك في حذر وتبصُّر، لاسيما باستشهاده على ما ذهب إليه بالقرآن، حتى يتوافق مع النص المعجز.

ومما يؤكد هذه المنهجية، توقفه عن قبول بعض الفكر لعدم وجود الشاهد عليه، وذلك في حواره مع ما ذهب إليه ابن جنِّي في قول المتنبِّي:

فَلَقِّينَ كُلَّ رُدَيْنِيَّـــــةٍ

ومَصْبُوحَـةٍ لَبَنَ الشَّائِلِ

فقد ذهب ابن جنِّي فيما نقل عن الشاعر أن الناقة إذا شالت شال لبنها، فخفَّ ومرؤ. وردَّ عليه ابن مَعْقِل «فيقالُ له: أمَّا كونُهُ خفيفاً مَريئاً {فَيَحْتاج} إلى استِشْهاد عليه»[٩٣] وطلب الشاهد معناه التسليم بمخرجات الظاهرة الأدبية: معانيها وتراكيبها، مما يقيم ويثبت هوية أي عمل نقدي، بحيث يؤول إلى جوهر سابق.

ويبدو تحمس ابن مَعْقِل لمسألة الشاهد، حيث وقع على ما كان ينبغي أن يستشهد به أحد الشُّرَّاح على رأيه، فأثبته وعلّق قائلاً: «فهذا مما يَشْهَدُ لقوله إلاّ أنهم لم يستَشْهِدوا به»[٩٤] فعدم استشهادهم مأخذ على التلقِّي، ووقوفه على ما يصلح شاهداً له قيمة إيجابية عُليا في إطار "**تلقِّي التلقِّي**".

آلية المهارات العقلية:

وفيما يخص الجانب العقلي – وهو من علائق المسألة المنهجية – فقد أشار ابن مَعْقِل إلى (التناقض) الواقع في شرح أبي العلاء لأحد أبيات المتنبِّي، قال: «وأقولُ: هذا التَّفْسيرُ، فيه تناقض، وذلك أنه، كما ذكَرَ...»[٩٥] .

وهكذا كانت آلية "**تلقِّي التلقِّي**" لدى ابن مَعْقِل واعية من حيث المهارات العقلية التي تستجيب للظواهر فترصدها وتتخذ منها موقفاً نقدياً، وتعلل ذلك الموقف وتفسره، وهو موقف مركب، وليس بسيطاً يتجلى فيه ما يمكن أن نطلق عليه البلاغة العقلية أو المنهجية. وقد عُني ابن مَعْقِل بالوقوف على ذلك (**التناقض**) غير مرة، من مثل الشاهد السابق عند معالجته للفظ (الودائق) حيث أشار إلى وقوع أبي العلاء في (**التناقض**) عند شرحه للفظ (الودائق).

آلية الحجاج المنطقي العقلي:

ويطَّرد تعاطي ابن مَعْقِل مع المهارات العقلية حين يحاجّ قول أبي العلاء محاجة عقلية لذهابه في شرحه لبيت المتنبِّي:

سُبِقْنا إلى الدُّنيا فَلَو عاشَ أهلُها

مُنِعْنا بهـا من جِيئَـةٍ وذُهوبِ

إلى أنَّ مَنْ تقدَّم من أهل الأرض لو كانوا باقين لم يكن المتأخرون خُلقوا. ويرده إلى مقولة بعض الحكماء في إجابته لبعض الملوك حين قال: «ما أطيبَ المُلْكَ لو دامَ! فقال: لو دامَ لم يَصِلْ إليك»[٩٦].

فيرد قائلاً: «لِمَ قُلْتَ: لو أنَّ أَهْلَ الأرض المُتَقَدِّمين باقونَ؛ لم يكن المتأخِّرون خُلِقوا؟ وما أنكرتَ أنْ يُعَمَّر المتقدمونَ، ويُخْلَقَ المتأخرون، ويكونوا معهم مُجْتَمعين؛ فإن ذلك غيرُ مستحيل كما أنَّ تَعْمير نوحٍ ألف سَنَة، لم يمنَعْ من خَلْقِ من خُلِقَ بعدَهُ، ومَعْنى قَوْلِ الحكيم "لو دامَ المُلْكُ لم يَصِلْ إليكَ" يريدُ: أنَّ العادةَ الجاريةَ في الدُّنيا بتغييرِ الأحوالِ وزَوالِ المُلوكِ والمُلْكِ...»[٩٧] وبذلك ينفتح خطاب "**تلقِّي التلقِّي**" على آفاق المنطق العقلي ومعطياته، ويتماس مع الواقع البشري، الذي ينطق بالتقاطع الزمني للأجيال، ويستشهد على ذلك من التاريخ بشخصية يُعد الاستشهاد بها من ثوابت الثقافة، لأنه بذلك قال القرآن الكريم، فيجمع بين الحجة العقلية المجردة، والحجة الواقعية المُشاهَدة. ثم إنه بعد ذلك يعيد تفسير قول الحكيم بما يناسب ما ذهب إليه.

على أن تلك المحاجة العقلية لم تلبس ثوباً فلسفياً، ولم تأخذنا إلى أوساط المناطقة، وإنما تجلّت في سياق أدبي، حيث يستشهد ابن مَعْقِل على ما ذهب إليه من تفسير قول الحكيم بعد ذلك بقول ابن الزَّيَّات:

لا تَعْجَلَنَّ، رُوَيْداً، إنها دُوَلُ

دُنْيا تَنَقَّلُ مِنْ قَوْمٍ إلى قَوْمِ[٩٨]

فهو يستعين بالعلة العقلية لتخدم النص الأدبي،

وذلك ما نرصده في معالجته لما ذهب إليه أبو العلاء في قول المتنبِّي: "لا يَأْتَلي في تَرْكِ أنْ لا يَأْتَلي"، فيرد ابن مَعْقل على أبي العلاء حين يقول: "أيْ لا يُقصِّر في ترك ألاّ يُقصِّر". قائلاً: «وأقولُ: إنه مُقصِّرٌ، لأنَّ نَفْيَ النَّفْي إثباتٌ، ولم يذكُرْ هاهنا زيادة "لا"، لأن بذلك يصحُّ المعنى، فيصير: لا يُقَصِّر في تَرْكِ أنْ يُقَصِّر، وتَرْكُ التَّقْصيرِ جِدّ»[99].

ومركز النص يقع في المقولة المنطقية التي استند إليها، فيما ذهب إليه، وهي قوله: "نفي النفي إثبات" وقد جاءت تعليلية لما ذهب إليه، فهو يعلل بالمنطق، ولكن بحذر وبتبصر يبقي الفضاء فضاءً أدبياً، بعيداً عن جفاف المنطق وتجريدية الفلسفة، لتبقى هوية نص "**تلقِّي التلقِّي**" هوية أدبية.

إن من شأن مسالك الاستدلال التي انتهجها ناقدنا أن يفيد من مجموع العطاء البشري: نفسياً وعقلياً، ومن هذا الأخير برنامجه النقدي، الذي يحضر في ملاءمة تامة للمشروع النقدي والسياق الأدبي، حيث يتعدى المقولة المنطقية التي تنهض بوصفها مسلمة، إلى آلية الإنتاج المنطقي باستخدام المقدمات، التي تنتهي إلى نتيجة لازمة لمقدماتها، قال تعليقاً على قول التِّبريزي في بيت المتنبِّي:

وإنِّي وإنْ كانَ الدَّفينُ حَبيبَهُ
حَبيبٌ إلى قَلْبي حَبيبُ حَبيبي

قال التِّبريزي: «أي يَلْزمني أنْ أُحبَّ مَنْ يُحِبُّهُ؛ فالمدفونُ وإنْ كانَ حَبيبَهُ فهو حَبيبي لأجْلِ سَيْفِ الدَّوْلة»[100]. قال ابن مَعْقل: «إنه قَصَّرَ في هذا التَّفْسير، وهذه العبارة! والمَعْنى: إن كانَ "يَماك"[101] {الدَّفينُ} حبيبَ سَيْفِ الدَّولة، فهو حَبيبي؛ لأن سَيْفَ الدَّولة حَبيبي، فيلزَمُ أنْ يكونَ حَبيبُهُ حَبيبي. وهذه نَتيجَةُ المُقَدِّمَتَيْن»[102].

ولم تنهض عناصر المنطق بوصفها آليات معالجة فقط، مثلما تقدم، بل أصبح جهازاً ينضد بنية الثقافة العربية، كما فكر بذلك العقل العربي ونطق به لسانه، وذلك ما استشهد به من قول علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – «أصْدقاؤكَ ثلاثةٌ: صَديقُكَ، وصَديقُ صَديقك، وعَدوُّ عدوك. وأعداؤك ثلاثةٌ: عَدُوُّكَ وعدوُّ صَديقك، وصَديقُ عَدُوِّكَ»[103] وهكذا تبدو التقسيمة العقلية، وشبكة العلاقات المنطقية التي استثمرها العقل العربي واتخذها خطاب "**تلقِّي التلقِّي**" نبراساً، يقف عليه كشاهد، ويطرحه كفاعلية خاصة، تربط أطرافه وتعيد إنتاجه، بشكل يتماهى مع العقلية المنهجية والممارسة للظاهرة الأدبية في آن.

ومما يشير إلى أن عقلية ابن مَعْقل في مآخذه عقلية منهجية من طراز فريد، فهو طلبه الدليل العقلي، وكذا المُستَقى من برنامج البلاغة العربية، ودورانه مع الدليل حيث دار، فيأخذ على أبي العلاء التخصيص بدون دليل، في تفسيره لقول أبي الطيب:

فَرَمَوا بما يَرْمُونَ عنه وأدْبَروا
يَطَئُونَ كُلَّ حَنيَّةٍ مِرْنانِ

«قال: يقولُ: رَمَوْا قِسيَّهُمْ، وهي التي يَرْمونَ عنها، وهذه صِفَةُ رَجَّالَةِ الأرْمَنِ»[104] فعلّق ابن مَعْقل: «ما أعْلَمُ لِمَ خَصَّ برمي القِسيِّ الرَّجَّالة دون غيرهم؟ ولِمَ خَصَّ من الرَّجَّالة الأرْمَنَ دون غيرهم؟ فهذا تَخْصيصٌ بغير دليل»[105].

فالانتقال من دائرة إلى أخرى أضيق منها يستدعي انحسار المدلول، وناموس التدرج، هذا، ينبغي أن يُصطَحب بقرينة تدفع في طريق هذا الانحسار، في مقابل علامات الاستفهام التي يستدعيها هذا الانتقال عند قراءته والتواصل معه، غير أن المعري قد فقد تلك القرينة في مسالك استدلاله، كما رأى ابن مَعْقل، وكما نطق بذلك نص المآخذ/"**تلقِّي التلقِّي**".

إن الاستقراء الناقص للمادة، وما يتبعه من استنباط للقواعد التي تحكم الظاهرة، هو الاختيار الصحيح في ذلك السياق، كما ينطق به المنهج العلمي، وليس الانتقال من العام إلى الخاص، كما فعل أبو العلاء،

وذلك الاستنباط وما يسبقه من استقراء هو ما قام به ابن مَعْقِل عند معالجته لبيت المتنبِّي:

عُـدْ وأعِـدْها فَـحـبَّـذا تَلَفٌ
ألْصَقَ ثَدْيي بِثَـدْيِهـا النّاهِد

قال: «ومع ذلك فإنَّ تشبيه الغَشْيَة وهي ضَرْبٌ من المَوْت بالرَّقْدَة، ليُغْرِبَ في المَعْنى، ضَرْبٌ من التَّعَسُّفِ والتكلُّف والإحالة والثقالة. وكذلك جَميعُ غَزَلِه في مدائح عَضُدِ الدَّولة وابن العَميد، ولاسيَّما غَزَلُ {هذه القَصيدة}، ووَزْنُها وقافيَتُها، وما فيه من البَرد والجمود، ونُبو السَّمْع {عنه، وتَجَهُّم} القَلْب له»[١٠٦].

ويتجلى في النص السابق - عند التدقيق- منهجية ابن مَعْقِل في تعاطيه مع نص التلقِّي، فليست القضية هي المعالجة الجزئية لأحد أبيات الشاعر، أو التعليق على مأخذ لأحد الشُّرَّاح، وإنما محاولة استنباط وتقعيد وإصدار لأحكام كانت حاضرة في وعيه، كما يشهد بذلك النص السابق.

على أننا نقف على مفارقة قد تبدو طريفة، وذلك أن ابن مَعْقِل قد انتقل من استقراء الجزئي إلى التقعيد الكلي، ولكنه لم يكن كلياً شاملاً يعبر عن مجموع إبداع الشاعر كله، وإنما كان كلياً يصدق على أحد محاور إبداع الشاعر دون غيرها، وذلك المحور هو الغزل دون غيره من الأغراض، ولكن الغزل في قصيدة المديح، وقصائد المديح التي قيلت في عضد الدولة وابن العميد خاصة[١٠٧].

ثانياً: الفضاء اللغوي:

إذا كان الفكر العربي قد عدَّ «اللغة بيد الإنسان مفتاح يلج به باب العالم الخارجي، بل هي المفتاح الوحيد الذي يتوصل به الإنسان إلى اقتحام الكون من حوله»[١٠٨]، فإن النقد العربي قد اهتم بالمبحث اللغوي أيّما اهتمام، وقد تجلى ذلك الاهتمام في مظاهر عدة يحاول البحث أن يقف عندها بالإشارة أو التفحص تبعاً للاستحقاق.

ويجدر بنا في ذلك السياق الإشارة إلى ما عاب به ابن مَعْقِل الواحدي، إذ طلب إليه عدم التعرض للعربية، وبإعمال مفهوم المخالفة، فإننا نجد أن ابن مَعْقِل هو الحقيق على التصدي للعربية وتنضيد مسائلها، ومعالجة مدخلاتها، لتنتج من مخرجاتها مادة لغوية تقدم تلك المعرفة المهمة في الثقافة العربية في ذلك الحين، وكذلك لتدعم النص النقدي بكينونتها السلطوية[١٠٩] التي تحصلت عليها تباعاً.

قال ابن مَعْقِل: « ...ولو أعْرَضَ عن التَّعَرُّض للعَربية، واشتَغَلَ بتَفْسير المَعاني الذي أرصَدَ نفسَهُ له، ... ، لكان ألْيَقَ به وأسْتَرَ له!!»[١١٠].

وفي سياق مناقشة قول المتنبِّي:

كـأثَرْتَ نائِلَ الأمـيـرِ من الما
لِ بِمـا نَوَّلَتْ مِن الإيراقِ

قال ابن جنِّي: «الإيراقُ: مصدرُ أوْرَقَ إيراقاً ...»[١١١]، ويأتي رد ابن مَعْقِل على النحو التالي: «فيقال: أيُّها النحويُّ التَّصْريفي! ليس هذا من أرِقَ، ولا مَصْدَرُهُ "إفعالٌ"، وإنَّما هو من: "أرَقَ: فاعَل" ومَصدرُهُ فعّال ...»[١١٢].

إن مخاطبة ابن مَعْقِل لابن جنِّي بالنحوي التصريفي ليست فقط من قبيل اللغة الساخرة، كما يبدو لأول وهلة، وإنما هو إثبات من لدن ابن مَعْقِل للقارئ بأنه أهل العربية وفارسها، وذلك أنه خاطب ابن جنِّي بالنحوي التصريفي، ثم أخذ عليه بعض الأخطاء، وصوَّبها له، ومن ثَمَّ، فالمُصوِّب أَوْلى باللقب من المُصوَّب له. وهكذا يضع ابن مَعْقِل نفسه في مصاف علماء العربية المبرِّزين، وفي ذلك ما يحقق المقبولية لما يقدم من بحث لغوي أو مادة معرفية تتصل بذلك الفضاء، وتتبدّى من خلال آليات برزت على النحو الآتي.

التأصيل:

ويبدو منهج ابن مَعْقِل في البحث اللغوي في عدة تجليات، نذكر منها: التأصيل المنهجي، واتخاذ اللغة الفصيحة، ذلك أنه تتبع لفظ النزهة في معالجة قول الشاعر:

لِلصَّيْدِ والنُّزْهَةِ والتَّمَرُّدُ

قال: «أقول: النُّزْهَة والتَّنَزُّه، {على ما ذَكَر}، ليس من كلام العَرَب، إنما التَّنَزُّه التَّباعُدُ عن الرِّيف والمياه لئلاَّ يُتَأَذَّى بها ... والعامَّةَ تجعَلُ التَّنَزُّهَ الخروجَ إلى البَساتين وهو غَلَط... وقد جَوَّزَ ذلك ابن قُتَيْبَة على طَريق التَّوَسُّع... وقول ابن قُتَيبة في ذلك ليس بِحُجَّة، إلا أنَّ العَرَبَ تَجَوَّزَتْ في ذلك ...»[113] فابن مَعْقِل لا يمرر النص بألفاظه، ولا يُخضِع اللغة لسطوة الشعر، إنما يصدع بالمعرفة اللغوية صاحبة السلطة، مقرراً أن ذلك اللفظ ليس من كلام العرب. ثم يذكر معناه الصحيح مؤصِّلاً له، ويرصد مظهر الانحراف في السلوك اللغوي على ألسنة العامة، فيما يتصل باللفظ موضوع البحث، ويذكر موقف غيره من العلماء، ثم يقرر أن مذهبه ليس بحجة، وهنا نستطيع أن نعرف ملامح الأدلة التي لا تنهض كحجة - لدى ابن مَعْقِل - ونقارنها بمقابلها، ثم يشير إلى تجوُّز العرب في مثل ذلك.

ويسعى ابن مَعْقِل إلى (تأصيل) بعض المسائل من أول كلمة في معالجته لها، وذلك في معرض معالجة لفظ (المها) وما أُطلق عليه، فقد ذكر أبو العلاء أنه يطلق على بقر الوحش والبلور والأسنان والشمس، واستدل على ذلك بالشعر، وذلك في معالجته لقول أبي الطيب:

وجابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الرِّدا
ءِ بَيْنَ النَّعامِ وبينَ المَها

وعلّق ابن مَعْقِل على ما ذهب إليه المعرّي، فقال (**مؤصلاً**): «إنَّ العَرَبَ وضَعَتْ أسْماء لِمُسَمَّيات، وكأنَّها في أصْلِ وَضْعِها للتَّشْبيه»[114]، ثم علّل النماذج التي طرحها الأول «فقالوا لبقرة الوحش مهاة: لبياضه وصفائه ... وكذلك إذا جعله دُرّاً...»[115]، ويستشهد على ذلك بأبيات لامرئ القيس، وهو ما يعد تأكيداً على اعتبار هذا الشاعر على رأس الجاهليين، ويُتم المنحنى المغلق باستشهاد آخر لأبي الطيب المتنبي كما بدأ به.

ويبدو الحضور الواقعي لألفاظ اللغة لديه، فقد أخذ على أبي العلاء في معالجة بيت المتنبِّي:

تَغيبُ الشَّواهِقُ في جَيْشِهِ
وتَبْدو صِغاراً إذا لَمْ تَغِبْ

قوله: «يُقالُ للجِبالِ الطِّوالِ شَواهِقُ، مأخوذةٌ من قَوْلِهم: شَهِقَ الإنْسانُ إذا أخْرَجَ نَفَسَهُ مُتَعالِياً، كَأَنَّ الجَبَلَ شَهَقَ في الهَواءِ»[116]، فيرد عليه ابن مَعْقِل: «فيقالُ: هذا الذي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ ضدُّ المَرْوِيِّ في الشَّهيقِ، وهو ضدُّ الزَّفير، لأنَّ الشَّهيقَ ردُّ النَّفَس، والزَّفيرَ إخْراجُ النَّفَس. وكانَ الصوابُ أنْ يقالَ في الجَبَلِ الشَّاهِقِ، إنه مأْخوذٌ من قولهم: شَهِقَ الرَّجُلُ إذا حَبَسَ نَفَسَهُ فارتَفَع صَدْرُهُ لذلك، كَقَوْلِ الشاعِرِ:

خِيطَ عَلى زَفْرَةٍ فَتَمَّ ولَمْ
يَرْجِعْ إلى دِقَّةٍ ولا هَضَمِ

وهذا البيتُ، يُصَحِّحُ أنَّ الزَّفيرَ إخراجُ النَّفَس، فلمّا خِيطَ عليه، ومُنِعَ من إراحَتِه، انتفخ جَنْبُهُ، فصارَ مُجْفَراً ضَليعاً»[117].

والنص ينطوي على عدة ملامح، أولها عناية ابن مَعْقِل باللفظ من حيث هو مفردة البناء اللغوي، ثم (**تأصيله**) للمعرفة، فهو يستشهد بالمروي، ثم واقعية اللغة، إذ إنها تُعبر عن حركة الإنسان وسلوكه، ذلك أن اللغة تحكي فعل الإنسان، وذلك تصوره الراهن.

وفيما يتعلق بـ(**التأصيل**) فإن ابن مَعْقِل يؤصِّل ما يذهب إليه تبعاً لشاهد القرآن الكريم، الذي لا خلاف في سلطته وحجيته، ومن ذلك مسألة إثبات الألف في (أنا) كما جاءت في سياق معالجة قول المتنبِّي:

وتُنكِرُ مَوْتَهُمْ وأنا سُهَيْلٌ
طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلادِ الزِّناءِ

فقد ذهب إلى أن إثبات تلك الألف ضرورة لدى البعض، لأنها لا تثبت إلا في الوقف، ويستشهد بموقف (محمد بن

يزيد) المتشدد في ذلك، الذي لا يجيزه، غير أن ابن مَعْقِل يحكم على ذلك بأنه خطأ، ويستشهد بآي القرآن العظيم، حيث أثبت الألف في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّاْ هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾[118]، وقوله: ﴿أَنَا أُحْيِي﴾ [119]. وهكذا يحتج[120] بآي القرآن العظيم في سبيل تأكيد اختياره اللغوي.

وفي منحى (**تأصيله**) كذلك، يأخذ برأي كبار علماء العربية، جاء في إعراب (راعياً) و(صارماً) في قول المتنبّي:

بِغَيْرِكَ راعِياً عَبِثَ الذِّئابُ
وَغَيرَكَ صارِماً ثَلَمَ الضِّرابُ

فبينما جوّز أبو العلاء النصب فيها على التمييز والحال، ذهب سيبويه والخليل إلى النصب على الحال فقط دون التمييز[121]، وهو اختيار ابن مَعْقِل الذي التقى فيه مع عالمي النحو السابق ذكرهما.

ويطرد اعتداده برأي سيبويه، فهو الصواب لديه، بل يثبت تفصيله في المسألة بالقدر الذي يتسع له السياق، فقد اختلف مع التّبريزي في معالجة قول المتنبّي:

أَظْمَتْنِيَ الدُّنْيا فَلَمّا جِئْتُها
مُسْتَسْقِياً مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصائِبا

قال التّبريزي: «أرادَ "أظمأتني" فحذف الهمزةَ ... جازَ أنْ تُجعَل ألفاً، كما فَعَلوا ذلك في "فأس" و"رأس" ... ومنهم مَنْ يَرى ذلك مُطَّرِداً، ومنهم من يَجْعَلُه مَسْموعاً»[122] . وكان رد ابن مَعْقِل هو عدم قبول هذا المذهب، ثم يلفت إلى اختيار سيبويه، قال: «والصَّحيحُ ما قاله سيبَويه، وهو أنَّهم حَمَلوا ذلك على الهَمْزة التي تُجعل بَيْنَ بَيْنَ، فقلَبوها ألفاً للفَتْحة قبلَها ...»[123].

ويصل حد تمذهبه برأي سيبويه إلى اتخاذه سلطة، يحتج على مخالفيه برأيه، فالحجة في مأخذ ما هي مخالفة الشّارح لمنحى سيبويه، قال في أحد المواضع آخذاً على التّبريزي: «وأقول: إن هذا يخالفُ قولَ سيبَوَيْه ...»[124].

ويلحق (**التأصيل**) بالشاهد القرآني، ورأي كبار النحويين - لاسيما سيبويه - الرواية عن العرب، قال مستشهداً بمقولة أحدهم «قالَ بَعْضُ العَرَب يَصِفُ مَطَراً:

رأيتُ غيثاً مَعْداً مُتَراكِباً جعداً»[125]

على أن عامل اختيار الوجه الإعرابي ليس الانتصار لشخص، بقدر ما هو قناعة بالمذهب النحوي والمنهج العلمي، وكذلك بقدر ما يتفق الوجه اللغوي مع المعنى، فقد أورد في سياق معالجة قول المتنبّي:

يَحُطُّ كُلُّ طَويلِ الرُّمحِ حامِلَهُ
عَنْ سَرْجِ كُلِّ طَويلِ الباعِ يَعْبوبِ

احتمالين لإعراب لفظ "حامله" واختار أن يكون مفعولاً بدلاً من فاعل، وعلل بدعم ذلك الوجه النحوي لأَوْلى المعاني، قال: «وذلك أنه إذا رآهُ حطّه عن سَرْجِه هَيْبَةً له وخَوْفاً منهُ، ونفاذاً لأمره ...لأن حامِلَهُ إذا حَطَّهُ ... برؤيتِه إيّاهُ فهو الأوْلُ... وجَعْلُ "حامِلِه" مَفْعولاً... تأكيدٌ لـ"طويل الرُّمْحِ" أنَّهُ حامِلُهُ، واحترازٌ من أنْ يكونَ غيرُ حامِلِه ...»[126].

الدقة:

كان التأصيل هو أول المظاهر التي رصدها البحث في الفضاء اللغوي لمآخذ ابن مَعْقِل، أما المظهر الثاني فهو (**الدقة**)، وتتبدى دقة الناقد في مآخذه على ابن جنّي في معالجة قول المتنبّي:

وَكُلُّ شَرِيكٍ في السُّرورِ بِمُصْبَحي
أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لا يَرَى مِثْلَهُ بَعْدي

حين يرفض شرحه قائلاً: «هذا الذي ذَكَرَهُ ليس بشيءٍ؛ لأنَّهُ لم يتَنَبَّهْ على مَعودات الضَّمائر»[127]، ثم يصوغ شرحاً آخر، تبعاً لتوجيه معودات الضمائر التي تعددت في البيت، والوجه أنه لم يمرر اختيار ابن جنّي، ويقترح وجهاً آخر، وإنما نحا إلى التدقيق في العوامل آنفة الذكر للوصول إلى المعنى المختار.

التخفف من القيود:

والتخفف من القيود ينهض بوصفه أحد سمات منحى ابن مَعْقِل في مبحثه اللغوي، وهو يعالج مآخذ الشُّرَّاح وإبداع أبي الطيب، وقد يبدو ذلك - في ظاهره - متناقضاً مع سمة التأصيل وكذا الدقة، ولكن القراءة المتأنية ذات المنظور شمولي الأبعاد قد تصل بالبحث إلى تكامل هذه السمات، وانسجامها جميعاً في سبيكة النص.

فهمزة الاستفهام في لفظ (أصاب) عدّها أبو الفتح ضرورة في قول المتنبِّي:

شَـــديدُ الخُنْزُوانةِ لا يُبَـــالي
أصـابَ إذا تَنَمَّـرَ أمْ أُصيـبا

ومع استشهاد الشَّارِح بسيبويه - الذي يُعدُّ حجة عند ابن مَعْقِل - إلا أنّ ذلك الأخير قَدَّم التخفف من قيود الضرورة حال وقوعه على وجه التأويل طلباً للتيسير، قال: «ليس حَذْفُ الهَمْزة هنا بضَرورةٍ ... وذلك أنه يُقالُ: أصابَ وصابَ بمعنًى؛ لُغَتان»(١٢٨).

ومن علائق التخفف والتيسير، أيضاً، مخالفته لأبي العلاء في موقفه المتشدد من الألفاظ المعرَّبة، فقد رأى المعرّي أن لفظ (الدمستق) كلمة رومية معرَّبة، لا تعرف في شعر فصيح، وذلك في سياق معالجة قول المتنبِّي:

رَضِينا والدُّمُسْتُقُ غَيْرُ راضٍ
بِمـا فَـعَلَ القَـواضِبُ وَالوَشيـجُ

فقد نحا ابن مَعْقِل إلى التيسير، عملاً بما فيه مصلحة الناس في تواصلهم، وكذا دعماً للإبداع، قال: «كثيرٌ من الأعْجَميِّ الرُّومي وغيره لم يُستعمل في كَلامِ العَرَبِ، وإذ لم يُستعملْ في كلامهم، فجائزٌ أن يَسْتعمِلهُ الشُّعَراءُ المُحدَثون، لحاجتهم إلى الإخبارِ عنه، وإلاّ أدَّى إلى عَدَمِ الكلام، أو عَدَمِ الإفهام. وقد استعملَ أبو الطَّيب أسْماءَ غير تلْكَ، من أسْماءِ الروم (والأرمن) نحو: "قُسْطَنطين" و"لاون" لأنه احتاجَ إلى ذكرهم، فأخْبَرَ عنهم... وكثير من الأسْماءِ العربية لم تُسْتَعْمَلْ في أشعار العَرَبِ...»(١٢٩).

وهكذا علل ابن مَعْقِل علة التيسير، فتجلّت سمات منهجه عملية واقعية، إذ كيف يفعل المبدع إذا اتصل موضوعه بشخص أعجمي، وكيف نخرج من أزمة نقدية تقودنا إلى توقف مسار الإبداع "عدم الكلام" أو اهتزاز ذلك المسار "عدم الإفهام" ثم يحتج عقلياً بعد الاحتجاج الواقعي باستخدام الشاعر غير تلك الألفاظ، وكذا بإعمال مفهوم المخالفة في المسألة، فبينما احتجّ المعري على استخدام الأسماء الأعجمية في الشعر العربي، واعتبار ذلك ممارسة غير صائبة، فإن كثيراً من الأسماء العربية - التي يشهد لها أبو العلاء بالفصاحة - لم يستعملها العرب في شعرهم، فالقضية هي أهمية اللفظ التي تترتب على الحاجة إليه. ومن هنا جاءت سمة التيسير، في مقابل التشديد كسمة واعية لحاجة المبدع والتطور الحضاري في الحياة.

ثالثاً: الفضاء البلاغي والنقدي:

أما عن الفضاء البلاغي والنقدي، فقد اختصه ابن مَعْقِل بغير القليل من الممارسات، التي اتسعت عن سائر الفضاءات المرصودة، وكذا تميزت بالوعي التام والتكامل فيما بينها.

وكذا تجدر الإشارة في صدر هذا المبحث إلى نهوضه بمهمة تبدو شاقة ومهمة، في آن، وهي الخروج على الإطار المفاهيمي المتعارف عليه، والمصطلحات المقولبة التي كَثُر ما يستعين بها المشتغلون بالظاهرة الأدبية، والانطلاق من نقطة البداية للتجديد والتحديث والتصويب، وتلك أخطر الوظائف شأناً في ذلك الحقل، وهي، كذلك، الوظيفة المائزة لـ"**تلقِّي التلقِّي**"، ففي سياق معالجة قول المتنبِّي:

وأخْلاقُ كافُورٍ إذا شِئْتُ مَدْحَهُ
وإنْ لَمْ أشَـأْ تُمْلِي عليَّ وأكْـتُبُ

ذهب ابن جنِّي إلى أن قول الشاعر: «وإن لَمْ أشَأْ، فيه

ضَرْبٌ من الهُزْء»[١٣٠]، ثم أطلق حكماً عاماً، قال: «وهكذا عامَّةُ شِعْرِه فيه»[١٣١]، ويأتي دور "**تلقِّي التلقِّي**" في تقويم تلك الأحكام وتصويبها، فـ"**تلقِّي التلقِّي**"، يستقبل الشَرح/ التلقِّي عارياً عن سلطته الملازمة له لدى جمهور القرّاء، بل يستحوذ على تلك السلطة في ممارسة يصعب فيها كفالة حق التعقيب.

ويرفض ابن مَعْقِل حكم الشّارح، المفتقر إلى استقراء المادة والاستشهاد على ما يقول، ويوجهه إلى ضده، وهكذا ينشئ مفاهيم أو يصدر أحكاماً جديدة، لا تسير في ركاب هوى السابقين، بل تسعى لتخطي القوالب المتعارف عليها للولوج إلى عالم النص من جديد، وهو سلوك من شأنه دعم الحراك النقدي والزخم المعرفي.

قال ابن مَعْقِل: « وقوله: "وإن لَمْ أشَأْ" ليس فيه ضَرْبٌ من الهُزْء، كما ذَكَرَ، بل فيه ضَرْبٌ من الجِدِّ، يقولُ: تُلزِمُني أخْلاقُهُ مَديحَهُ، وإنْ لم أُرِدْهُ، فكأنَّها هي المادِحةُ له؛ لأنَّها تُمْلي عليَّ وأنا أكْتُبُ ...»[١٣٢].

وفي المقابل، فقد سعى إلى طرح بعض المقولات، التي تنهض كمفاصل فاعلة في جهازه المفاهيمي، من مثل: "ترك المحمود لما هو أحمد منه" وذلك ما جاء في سياق مناقشة بيت المتنبِّي:

خَصَّ الجَماجِمَ والوُجوهَ كأنَّما
جاءَتْ إليكَ جُسومُهُمْ بأمانِ

حيث أخذ أبو العلاء على المتنبِّي ترك المبالغة، فيرد ابن مَعْقِل بأنَّ «تَرْكَ المبالغةِ هاهُنا، وإنْ كانَتْ محمودةً، لما هو أحْمَدُ منها، وذلك وَصْفُهُمْ بثَبات القُلوب والأذهان، عند لقاءِ الأقْران مواجهين لهم، وأنهم خَصُّوا رؤوسَهم ووجوهَهُمْ بالضَّرْب، مُعْتَمِدين ذلك، غيرَ ذاهلين عنه خوفاً وفَرَقاً»[١٣٣]

هكذا وضّح ما ذهب إليه عَبْر الشرح، ولكن فضاء "**تلقِّي التلقِّي**" قد أفاد أكثر من مجرد شرح بيت، أو بيان مأخذ على شارح، فهي مقولة يترسمها النُقّاد بل المبدعون، فتولِّد أبعاداً إنتاجية جديدة تفيد منها الظاهرة الأدبية.

إن المتابعة والتقليد في الحقل النقدي ممارسة جد خطيرة رفضها ابن مَعْقِل، ولكنه، في آن، قَبِل التعارف على مجموعة من القيم من شأنها أن تُنشِّط الإبداع الشعري وتنحت له مساره الحضاري.

وابن مَعْقِل – ممثلاً لحراك "**تلقِّي التلقِّي**"- يشجع على التَّماس مع تلك القيم، ليس على سبيل إنتاج نماذج متطابقة، ولكن لتكون مادة إبداع يشكلها كل شاعر من خلال بصماته الفنية، وذلك منحاه في معالجة قول المتنبِّي:

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إليكَ ركابُنا
فالأرْضُ واحِدةٌ وأنْتَ الأوْحَدُ

حيث ذهب ابن جنِّي إلى شرح قوله: فالأرض واحدة بأنه «ليس للسَّفَر علينا مَشَقَّةٌ لإلْفِنا إيّاه»[١٣٤]، ولكن ابن مَعْقِل يرفض ذلك التأويل لمخالفته المعروف والمألوف من شعر الشُّعَراء، قال: «وكيفَ يقولُ: ليسَ علينا في السَّفَرِ مَشَقَّةٌ؟، والمعروفُ المألوفُ من الشُّعَراء، في أشْعارهم، أنهم يَذْكُرون للمَمْدوح ما يلقونَهُ من الضَّرَر ومَشَقَّة السَّفَر بسُلوك القفار، وتَحَمُّلِ الأخْطار، يَمُتُّون بذلك إليه، ويَدِلُّون عليه»[١٣٥]، ثم يستشهد على ما قعّده بالإبداع الشعري للأعشى وعلقمة والحطيئة، ولعله بذلك التعدد في الاستشهاد، يشير إلى تمايز رؤى الشُّعَراء في إبداعهم في معنى واحد.

ويمتد عطاء ابن مَعْقِل في سياق "**تلقِّي التلقِّي**" حلقة بعد حلقة، فحين يجتمع الشُّعَراء على القيم المشار إليها سلفاً، وتحظى بالمقبولية لدى المؤسسة النقدية، يعود ابن مَعْقِل ليقدم لجمهور المتلقِّين، وبخاصة شباب المبدعين، ممارسة إجرائية تلتزم هذه القيم، متضمنة معيار الجودة الفنية.

ففي سياق معالجة قول المتنبِّي:

عَلى كُلِّ طَيّارٍ إليها برِجْلِه
إذا وَقَعَتْ في مَسْمَعَيْه الغَماغِمُ

أشار أبو العلاء إلى سبق العرب إلى تشبيه الفرس بالطائر، وأنشد قول الراجز:

كَأنَّ تَحْتي طائراً بَادي الضَّرَمْ

ويأتي موقف "**تلقِّي التلقِّي**" بأن ما قرره الشّارح مشهور، لا يفتقر إلى الاستشهاد -وقد نافح ابن مَعْقِل من أجله كما مرَّ- ولكن يأتي دور ابن مَعْقِل في بيان وجه التمييز ومعيار الجودة قائلاً: «والعربُ وإن سَبقَتْ بهذا التَّشبيه، فقد سَبَق أبو الطَّيب بحُسْنِ الاستعارة وحَلاوة اللفظ وجَزالته»[١٣٦].

الوحدة الموضوعية:

ومن الإشكاليات التي سبق إليها ابن مَعْقِل، الولوج إلى (**الوحدة الموضوعية**) خروجاً على مذهب الأولين القائل بوحدة البيت، الذي كرّس النظرة الجزئية في الممارسة النقدية، فقد أخذ ابن مَعْقِل على ابن جنِّي عدم ذكر تعلُّق هذا البيت بسابقه، في مخالفة واضحة من فضاء "**تلقِّي التلقِّي**" هنا، لما درج عليه خطاب النقّاد العرب من إدراج التعلُّق بين الأبيات ضمن سلبيات خطاب الشعر، وذلك في قول المتنبِّي:

وَمَنْ تَكُنِ الأُسْدُ الضَّواري جُدودَهُ
يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً ومَطْعَمُهُ غَصْبا

قال: «لم يذكُر ابن جنِّي تَعَلُّقَ هذا البَيْتِ بما قَبْلَهُ واتصالَهُ به»[١٣٧]، ثم شرع في شرح البيت، مؤكداً على تلك الوحدة التي تجمع بين هذا البيت وما قبله.

ولم يكن ذلك الإجراء بدعاً من بين ممارساته، فقد تواتر عنه واطّرد، وذلك ما ينتجه تكرار الرصد، فقد قال تعليقاً على شرح أبي الفتح لقول المتنبِّي:

فَحُبُّ الجَبانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى
وحُبُّ الشُّجاعِ النَّفْسَ أوْرَدَهُ الحَرْبا

«إنه لم يَفْهَمْ مَعْنى البيتين، ولا ترتيبَ الآخرِ منهما على الأوَّل»[١٣٨]، فإن إدراك العلاقة بين الأبيات هو أحد المطالب في الممارسة النقدية المتصلة اتصالاً وثيقاً بالمعنى.

وبينما يمارس ابن مَعْقِل هذا الإجراء في ممارسته لـ"**تلقِّي التلقِّي**"، فهو لا يعمد إلى الإشارة التنظيرية إليه، إذ إن الكتاب يمثل مصدراً إجرائياً وليس تنظيرياً، فقد انطوى شرحه لقول المتنبِّي:

وكُلُّ امْرِئٍ يُولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ
وكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

على إعمال لتلك الوحدة، قال: «... ولكنَّه لم يَفْهَمْ مَعْنى البَيْت. ومَعْناهُ: أنه لمّا ذَكَرَ أهْلَهُ وأوْطانَهُ فيما قَبْلَهُ، وذَكَرَ حَنينَهُ إليهم، وفَضَّلَ كافوراً عليهم ...»[١٣٩] ومحل الشاهد في النص السابق الربط بين معنى البيت موضوع الشرح وما قبله، بل كان سبب خطأ الشّارح الأول، أنه تعامل مع البيت على اعتباره وحدة قائمة بذاتها، منفصلة عن غيرها، وذلك ما عده "**تلقِّي التلقِّي**" شططاً عن الصواب، وليس خلاف الأَوْلى، وتلك دعوة غير مباشرة إلى اعتماد تلك الوحدة الموضوعية، وتفعيل دورها في الممارسة النقدية، وعدها أحد عناصرها.

ولم يكن مسار ابن مَعْقِل في معالجة وحدة القصيدة الموضوعية مساراً ارتدادياً فقط، من بيت إلى سابقه، ولكنه اتخذ مساراً تقدمياً أيضاً. ولعل ذلك الشكل من الربط بين معاني الأبيات في القصيدة يُعدّ أهم من سابقه، ذلك أن الناقد يضيء البيت الراهن من خلال معطيات ما سوف يأتي، وذلك من شأنه أن يقدم رؤية متكاملة عن المعنى، ولا يقف عند حدود جزئية معنى البيت، ومن ناحية أخرى يُشكِّل احترازاً من إمكانية انحراف المعنى، حيث إن حدوده النهائية واكتمال صورته لا تتم إلا عند الإحاطة بجميع علائقه، التي تأتي فيما بعد.

قال تصويباً لشرح ابن جنِّي لقول المتنبِّي:

لَو دَرَتِ الدُّنيا بِما عِنْدَهُ
لاسْتَحْيَتِ الأيّامُ مِنْ عَتْبِهِ

«... {ولهذا} اعْتَذَرَ لها بما ذَكَرهُ فيما بعدُ»[١٤٠]، فربط بين شرح البيت وما يلي من معاني الأبيات المرتبطة عضوياً به، وهو ما لم يمارسه الشّارح في فضاء التلقِّي، ومارسه ابن مَعْقِل في فضاء "**تلقِّي التلقِّي**".

إن فهم المعنى من خلال ما تنطق به الأبيات، جميعها، هو العنصر الذي بحثه ابن مَعْقِل في غير موضع،

من خلال ممارسة إجرائية بشكل مركب، ذلك أنه يطبقه على إبداع المتنبي من ناحية، ومن أخرى، فهو يبين أخطاء الشُّرّاح الآخرين في الممارسة بشكليها، إما بإهمال تلك النظرة التكاملية، كما مرّ، وإما بالخطأ في تطبيقاتها، كما أخذ على أبي الفتح في معالجة قول المتنبي:

ما سَمِعْنا بِمَنْ أَحَبَّ العَطَايا
فاشْتَهَى أنْ يَكونَ فِيها فُؤادُهْ

قال ابن مَعْقِل تعليقاً على شرح ابن جنّي: « ... ولو كانَ الأمرُ على ما يَقولُ، لكانَ بين البَيْت الأوَّل والثاني تَناقُضٌ ... وهذا التناقضُ إنما وقَعَ في حَمْلِه البَيْتَ الثاني على الأوَّل وتعلُّقِه به»[١٤١].

إذاً، فهذه النظرة التي يؤسس لها ابن مَعْقِل، يحذر من منزلقات إجراءاتها، التي يمكن أن تصل إلى حد التناقض، مما يشير إلى أهمية الحذر والتبصُّر لتسلم الأبعاد الإنتاجية من الشطط، وتبدو مخرجات النص النقدي متلائمة في تجانس وتكامل تام.

أما فيما يخص (**الجانب البلاغي**) الذي قدّم فيه ابن مَعْقِل معطيات غير قليلة، بحثاً عن الجودة الفنية في سياق إجرائي، فقد أخذ على الشُّرّاح عدم تحقيق الجودة في شروحهم.

فبعد شرحه لأحد أبيات المتنبي ومؤاخذته الشّارح يعلق قائلاً: « ...فهذا هو المَعْنى، وهو في غاية الإحكام، بل في غاية الإعجاز، لا ما فَسَّرهُ»[١٤٢]، وتلك المقولة تشتمل على إحدى غايات الشرح، بل أهمها، لدى ابن مَعْقِل، وتتمثّل في صياغة نسق نثري يبلغ من الجودة الفنية مبلغاً عالياً، بحيث يضاهي فنية الإبداع الشعري، فيتحقق نصّان متوازيان، أحدهما نثري والآخر شعري، وذلك يتجلى في إشارته إلى إحكام الصياغة، بل إعجازها.

ومما يؤكد فهمنا لما أراد ابن مَعْقِل من مضاهاة النص الإبداعي، انزياحه عن معالجة مآخذ الشُّرّاح إلى التواصل المباشر مع الشاعر، من مثل معالجته لقول المتنبي:

لا تَعْذُلُ المَرَضَ الَّذي بِكَ شائِقٌ
أنْتَ الرِّجالَ وَشائِقٌ عِلاّتِها

فتلتقي مطالبته للشُّرّاح بجودة صنعتهم بمطالبة المُبدع، وهو ما يفسر حملته عليه بقوله: « ..وهذا إنَّما يوقِعُهُ فيه طلبُ التَّدْقيق، فيخرِجُهُ عن المَجازِ والتَّحقيقِ، فلا يأتي منه بما يُسْتفادُ، فضلاً عمّا يُسْتَجادُ»[١٤٣].

وطلب الجودة في الصياغة وعناصر الخطاب الأدبي الشّارح، هو دافعه إلى أن يقول مرة بعد أخرى: «وأقولُ: أحْسَنُ من هذا أن يكونَ ...»[١٤٤] وذلك اقتراح منه بتعديل الشرح، مبناه ومعناه، بحيث يحقق الجودة الفنية في السياقات النثرية.

بل قد يهتم بتركيب من بين سائر الصياغة، فيقترح تصويبه، من مثل اقتراحه تغيير قوله "تحصن عورتي" والاستبدال به "تحصن فرجي" قال: «القولُ قولُ أبي الفَتْح، إذ وضع مَوْضِعَ "تُحَصِّنُ عورتي" "تُحَصِّن فَرْجي" لأنَّ ذلك المُسْتَعْمَلُ في كَلامِ العَرَب، وكلام الله تَعالى»[١٤٥].

والنص يشير إلى عدم تحيُّز ابن مَعْقِل ضد الشّارح فالقول قوله، ولكنه – تبعاً لهدفه – يطلب التحسين والجودة، مما يمثل بؤرة الدرس البلاغي الإجرائي في معالجة "**تلقِّي التلقِّي**" لدى ابن مَعْقِل، وهو في طلب الجودة، إنما يطالب باحتذاء القرآن بوصفه أعلى الأنساق اللغوية.

ويطّرد المطلب ويعود الاقتراح، ولكن هذه المرة مقتحماً مجال الإبداع الشعري، وذلك في سياق معالجته لقول المتنبي:

إليْكَ فَإنّي لَسْتُ مِمَّن إذا اتَّقى
عِضاضَ الأفاعي نامَ فَوْقَ العَقارِبِ

قال: «أحسَنُ من هذا تشبيهُ الأفاعي بالمَهالك، والعَقارب بالمكائد، والأذى والنَّمائم...»[١٤٦]، وهذا يُعدُّ من باب تحرير شباب المبدعين من سلطة النص الشعري السابق،

ومن جانب آخر فهو محاولة لطلب الجودة، بالبحث عن الأفضل في إطار "**تلقّي التلقّي**".

إن غاية تحقيق الجودة في التواصل مع الظاهرة الأدبية، تستدعي معالجة النوافذ البلاغية في سياق إجرائي. ومن ذلك وقوفه على مبحث (**التصريع**) من خلال تصويب رأي التّبريزي حين ذهب إلى تسبب (**التصريع**) في إضعاف بيت المتنبّي:

وما بَلَدُ الإنْسانِ غَيْرُ المُوافِقِ
ولا أهْلُهُ الأدْنونَ غَيْرُ الأصادِقِ

قال: «إنَّ التَّصريع لا يُضْعِفُ البَيْتَ، ويدلُّ على ذلك ما جاءَ من أشْعارِ العَرَبِ مُصَرَّعاً كقول ... وهذا ليسَ فيه ضَعْفٌ، بل قوَّةٌ بِمَجيءِ قافيَتَيْنِ فيه، وبيت أبي الطيب قد جاء بمثْلَين وقافيتين...»[147].

وهكذا رَدَّ المؤاخذ شبهة الشّارح، مستدلاً على ما يقول، بأمثلة تطبيقية من أشعار العرب، ثم بيّن سبب قوة التصريع فنيّاً، مطبقاً على بيت أبي الطيب. وبذلك نهض ابن مَعْقِل بدوره التوجيهي في معالجة المآخذ على شرّاح شعر المتنبّي، بالإضافة إلى مساهمته في بيان عناصر الجهاز البلاغي عبر ممارسة الدرس الإجرائي في سعيه لتحقيق الجودة الفنية.

وقد سعى ابن مَعْقِل إلى الإلمام بالقدر الأكبر من عناصر الجهاز البلاغي عبر الشرح والإطناب، أو مكتفياً بالإشارة، حيث أُعجب بقول المتنبّي:

كَأنَّما قَدُّها إذا انْفَتَلَتْ
سَكْرانُ مِنْ خَمْرِ طَرْفِها ثَمِلُ

فقال بعد شرح البيت: « ...وهذا مذهَبٌ غريبٌ، وطَريقٌ عجيبٌ، أرى أن يكونَ من صناعة البَديع، ويَنْضَمَّ إلى التَّكْميل[148]، وذلك أنه كَمَّلَ الوَصْفَ بأَنْ جَعَلَ المُشَبَّهَ والمُشَبَّهَ به كِلَيْهما منها. أو يُزاد في صَنْعة البَديع ويُسَمَّى التَّوسيع»[149]. فذكر: البديع، والتكميل، والتوسيع؛ وذلك في سياق إجرائي يعرض لطريقة معالجة، تعدّ في الذروة من الفن العربي، وهو إبداع المتنبّي، بالإضافة إلى رد الشبهات التي تتردد على الساحة الأدبية، متمثلة فيما يذهب إليه الشُّرّاح من مقولات، وهذا هو ما ينماز به درس "**تلقّي التلقّي**" عن درس التلقّي المبثوث في غيره من كتب الشُّروح أو غيرها من المصنفات التي تتصدى للبلاغة.

وفيما يخص (**الكناية**) فقد عالجها من خلال بيت المتنبّي:

وَلَكِنَّ الفَتى العَرَبيَّ فيها
غَريبُ الوَجْهِ واليَدِ واللِّسانِ

قال: «وعندي أنَّ غُرْبَةَ اليد كنايةٌ عن عَدم فَهْم الكتابة، كما أنَّ غُرْبَةَ اللِّسانِ كنايةٌ عن عَدَم فَهْم اللغة، فاليدُ في هذه البلاد لا يُفْهَمُ منها ما تَكْتُبُ، كما أنَّ اللسانَ لا يُفْهَمُ منه ما يَقولُ. وهذا هو المَعْنى الذي أراده أبو الطَّيب...»[150].

ونص "**تلقّي التلقّي**" يطلعنا على اتصال الخطاب البلاغي بالشرح، كما يشير، كذلك، إلى تفرد ابن مَعْقِل بذكر مصطلح الكناية – في معالجة ذلك البيت – من بين سائر الشُّرّاح، فقد جمع أقوال أبي الفتح وأبي العلاء والكندي فيه، ولم يذكر أحدهم ذلك المصطلح، ولم يؤصِّلوا المبحث البلاغي مثله، مما يشير إلى ما تتميز به معالجة "**تلقّي التلقّي**"/المآخذ للمسائل البلاغية عن التلقّي/الشُّروح.

وكذا نستطيع أن نقف على أهمية (الاستعارة) في سياقها الإجرائي، ووظيفتها الفنية من إكمال للصناعة واختصار للألفاظ، قال نقلاً عن ابن فورَّجة: «أنْ يُحْمَلَ الكلام على المجاز... لأنَّ به تَحْصُلُ الاستعارة، وتكمُلُ الصناعةُ، وتُخْتَصَرُ الألفاظُ...»[151]. فالمسألة لديه ليست تنظيرية، وليست في إيراد الشواهد، وإنما يُجري خطوات برنامجه لتحقيق أهداف تبدأ بإقناع القارئ بأهمية (**الاستعارة**) من باب بيان نتائجها.

وفي المقابل، ففي أحد مآخذه على التّبريزي أرجع سبب خطأ الشّارح إلى جهله بهذا الفصل من فصول الجهاز

البلاغي، بل وصف الجهل بالكثرة، قال: «انظُرْ إلى هَذا التَّفْسيرِ، وما فيه من قلَّة التَّحْصيلِ، {وكَثْرة} الجَهْلِ باستعارة العرب!...»[١٥٢]، وذلك لا شك ينطوي على دعوة لشباب المبدعين، وكذا النُّقّاد، إلى التواصل مع درس (**الاستعارة**) بأبعاده المختلفة، لتحقيق الجودة في الممارسة الأدبية.

أما (**المبالغة**) و(**الإحالة**) والفرق بينهما، ودرس الممارسة الإجرائية لهذه المسألة البلاغية، فقد كابدها ابن مَعْقِل، مبيناً كيف يجور الشّارح على النص الإبداعي بعدم تفهمه للمبالغة: حدودها وأهدافها. فقد وصف التِّبريزي قول المتنبِّي:

بقائي شاءَ ليسَ هُمُ ارتحالا
وحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُّوا لا الجمالا

قال: «ادَّعى أنهم لم يَشاؤوا الرَّحيلَ، ولا محالة أنهم شاؤوا الرحيل، وزَعَمَ أنهم لم يَزُمُّوا الإبلَ، وتلك دَعْوىً ليسَتْ بالصَّحيحة»[١٥٣]، فردّ عليه ابن مَعْقِل مبيناً أهمية فهم (**المبالغة**): مواضعها ومعناها وعلائقها، قال: «إنَّ هذا نَقْدُ غَيْرِ بَصيرٍ بِجَوْهَرِ الكَلامِ! وذلك أنَّ هذا الكلامَ إنما ذَكَرَهُ على وَجْهِ المبالغة[١٥٤]، كما يُقال: ما ماتَ زَيْدٌ ولكن ماتَ الجودُ، وما سارَ عَمْروٌ ولكن سارَ الكَرَمُ، وإن كانَ زَيْدٌ وَقَعَ فيه الموتُ، وعمروٌ منه السَّيْرُ؛ ومثلُهُ قولُهُ تَعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[١٥٥]»[١٥٦]، وهكذا اتصل منهم المبالغة بجوهر الكلام، وأثَّر على الشرح والممارسة النقدية، مما دفع ابن مَعْقِل إلى تبيين وجه المبالغة عبر تلك الأمثلة، مما يجري على ألسنة مجموع الناس، ومن خلال النص القرآني.

على أن الخطاب الأدبي في مبالغته يجب أن يستند إلى مرتكزات العقلية العربية، التي تُعنى بالحقيقة والواقع، ورغم تواصلها مع المجاز والخيال، فإن المنطلق هو الحقيقة والمرجع كذا إليها، لذا رفضت العقلية العربية الإغراق في (**المبالغة**) مع تحسينها – كما مر – لها على اعتبار الوسطية في إنجازها.

قال التِّبريزي شارحاً لبيت المتنبِّي:

طَرِبَتْ مَراكِبُنا فَخِلْنا أنَّها
لَوْلا حَياءٌ عاقَها رَقَصَتْ بِنا

«... وكَوْنُ المركب في مَعْنى السَّرج، أبْلَغُ في هذا المَوْضع؛ لأنَّ الدّابَّة حَيَوانٌ، فهي أقْرَبُ إلى الرَّقْصِ من الذي يُرْكَبُ فيه»[١٥٧].

وتتوالى الأدوار في منظومة الظاهرة الأدبية، حيث يبدع الشاعر، ثم يشرح الشّارح/ المتلقِّي، ثم يأتي دور المؤاخذ/ "**تلقِّي التلقِّي**" ليصوِّب الإبداع والشَّرح/ التلقِّي في آن، قال ابن مَعْقِل: «إنَّ الإغراقَ في المُبالغَة في كل مَوْضعٍ لا يُسْتَحْسَنُ، فَوَصْفُ السُّروج بالطَّرَب، والحَياء، والرَّقْص، بعيدٌ من الحقيقة. وقد جَعَل – هو – البُعْدَ من الحقيقة سَبَباً للحُسْنِ، وذلك غيرُ حَسَنٍ، لما فيه من الإحالة...»[١٥٨]، وعليه، فالإغراق في (**المبالغة**) وهو الإحالة، يرفضه النقد لمجافاته لمسار تفكير العقل العربي، المَعْني بالحقيقة.

وتتعدد صور عناية المؤاخَذة/ "**تلقِّي التلقِّي**" بعناصر الجهاز البلاغي، حيث تكرِّس الإيجابيات، وتحذِّر من السلبيات، في سبيل تحقيق هدفها، وصولاً إلى ما أُصطلح عليه بـ"الأدبية" أو "الشاعرية" في توجُّهات اصطلاحية ومفاهيمية مختلفة[١٥٩]، لذا، فقد تصدى ابن مَعْقِل غير مرة للإحالة، ومن جملة ذلك التصدي أنه وصف الشعر الذي ينطوي عليها بالغث، وببعده عن الصواب، بل ذلك «... يخرجه عن المجاز والتحقيق، فلا يأتي منه بما يُستفاد، فضلاً عما يُستَجاد»[١٦٠].

ثم يأتي دور جديد للمؤخَذة/ "**تلقِّي التلقِّي**" بغية تصويب شطط الشَّرح/ التلقِّي في عدم فهمه للمعاني المنطوية على مبالغة، فيظنه قبحاً في المعنى، وإنما هي مبالغة، كما فهم أبو الفتح قول المتنبِّي:

أبَحْرٌ يَضُرُّ المُعْتَفينَ وطَعْمُهُ
زُعاقٌ كَبَحْرٍ لا يَضُرُّ ويَنْفَعُ

قال ابن جنِّي: «فيه قُبْحٌ لأنَّ المَشْهورَ عندَهُمْ أن يُنْسَبَ

الممدوحُ إلى المَنْفَعَةِ لأوليائه، والمضَرَّةِ لأعدائه»[١٦١]، فيرد ابن مَعْقِل عليه: «فيُقالُ له: ليسَ في هذا قُبْحٌ، وإنما فيه مبالغةٌ، وقد جاءَ هذا المَعْنى ... مبالغةٌ في المَدْحِ، ونهايةٌ في الحِذْقِ»[١٦٢].

وهكذا يتولَّد نشاط ديالكتيكي (جدلي) بين النص الأول/ الإبداع الشعري، والنص الثاني/ التلقِّي، والنص الثالث/ "**تلقِّي التلقِّي**"، ويمتد الحوار في حركة علمية مدارها الوظيفي خدمة الظاهرة الأدبية، وكأن "**تلقِّي التلقِّي**" مراجعة لما سبق، فينتج "عملاً مشتركاً بين المراجع والمؤلف، لا في قراءة مشتركة للنص فحسب، بل في المراجعة الفعلية كذلك. يقرأ المراجع المؤلف، ثم يقرأ المؤلف مراجعة المراجع، ثم يقرأ المراجع مراجعة المؤلف لمراجعته، وهكذا يستمر الإنتاج المشترك للنص بين المؤلف والقارئ بوصفه مراجعاً، وبين القارئ والمؤلف بوصفهما مراجعين لنص المؤلف الأول"[١٦٣].

ولاشك أن درس "**تلقِّي التلقِّي**" على ذلك النحو، قد يفصل ما يذكره النُّقَّاد عن درس الظاهرة الأدبية وحدها بعناصر ثلاثة، هي: «لمبدع والنص والمتلقِّي»[١٦٤]. ونحن نفصل أن المتلقِّي قد يتعدد دوره وماهيته، كما أشار النص السابق.

الهوامش

١ – جمالية التلقِّي: من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، لهانس روبيرت ياوس؛ ترجمة رشيد بنحدو .- ط١.- القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م، ص١٠، ١١؛ وانظر أيضاً نظرية الأدب "مدخل"، لتيري إيغلتون؛ ترجمة ثائر ديب.- ط١ .- بيروت: دار المدى، ٢٠٠٦م، ص١٢٣، ١٢٤.

٢ – ونستثني، هنا، الممدوحين الذين تلقوا شعره تلقياً عادياً، ممن يطلق عليهم القارئ الفعلي. النظرية الأدبية المعاصرة، لرامان سلدن؛ ترجمة جابر عصفور.- لا:ط ، القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص١٨٥، وكذلك أطلقت عليهم كرستين بروك – روز مصطلح "القارئ الساذج"، وهو ما يفارق مفهوم مصطلح التلقي أو "تلقِّي التلقِّي" الذي ستتعاطى معه الدراسة. انظر قارئية الإنسان، لكرستين بروك – روز، ضمن كتاب (القارئ في النص: مقالات في الجمهور والتأويل)، تحرير سوزان روبين سليمان وإنجي كروسمان؛ ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح .- ط١ .- بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٧م، ص١٤٧.

٣ – المصطلح النقدي لعبد السلام المسدي.- لا:ط ، تونس : مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص١١.

٤ – المصطلح النقدي، ص١١.

٥ – عبقرية التأليف العربي: علاقات النصوص والاتصال العلمي لكمال عرفات نبهان .- ط١ .- الجيزة : مركز دراسات المعلومات والنصوص العربية، ٢٠٠٧م، ص٢١٥.

٦ – عبقرية التأليف العربي، ص٢٣٦-٢٤١.

٧ – عبقرية التأليف العربي، ص٢٤١.

٨ – عبقرية التأليف العربي، ص٢٥٢-٢٥٦.

٩ – عبقرية التأليف العربي، ص٢٧٠.

١٠– عبقرية التأليف العربي، ص٢٤٩.

١١– عبقرية التأليف العربي، ص٢٨١.

١٢– عبقرية التأليف العربي، ص٢٩٩، ٣٠٠.

١٣– التلقِّي والسياقات الثقافية: بحث في تأويل الظاهرة الأدبية لعبد الله إبراهيم .- الرياض : مؤسسة اليمامة الصحفية (كتاب الرياض: ٩٣) أغسطس ٢٠٠١م، ص٥.

١٤– الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية (Deconstruction) قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية لعبد الله محمد الغذّامي.- ط١ .- جدّة:النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٥م، ص٦، ٧؛ التلقِّي والسياقات الثقافية: بحث في تأويل الظاهرة الأدبية، ص٥.

١٥- لقد تم رصد غير مصطلح يشير إلى التلقِّي، من مثل اتجاه جماليَّة القراءة وجماليَّة التلقِّي أو التَّقبُّل ونظرية الاستقبال ونظرية التلقِّي ونقد استجابة القارئ. انظر دليل النظرية النقدية المعاصرة، لبسّام قطّوس، ط١، الكويت، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ص١٦٤. وقد وجِّه الانتقاد إلى كثرة المصطلحات حول المدلول الواحد، ووصِفت بالكثرة اللافتة، مما أدى إلى عدم الوضوح. انظر: النص وتجليَّات التلقِّي، لسالم عباس خداده، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيَّة، جامعة الكويت، الرسالة ١٤٧، ١٩٩٩/ ٢٠٠٠م، ص١٣.

١٦- دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً لميجان الرويلي وسعد البازعي ·- ط٣ ·- الدار البيضاء- بيروت : المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م، ص٢٨٢.

١٧- نظرية الاستقبال لروبرت سي هولب؛ ترجمة رعد عبد الجليل جواد·- ط١·- اللاذقية: دار الحوار، ٢٠٠٤م، ص١٠.

١٨- دليل الناقد الأدبي، ص٢٨٢.

١٩- دليل الناقد الأدبي، ص٢٨٢.

٢٠- مناهج النقد المعاصر لصلاح فضل.- لا:ط ·- الدار البيضاء- بيروت : إفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م، ص٢٣-٦٦.

٢١- الخطيئة والتكفير، ص٢٢.

٢٢- دليل الناقد الأدبي، ص٢٨٢.

٢٣- دليل الناقد الأدبي، ص٢٨٣.

٢٤- دليل الناقد الأدبي، ص٢٨٣.

٢٥- النظرية الأدبية المعاصرة، ص١٨٥؛ مقدمة: تنوّعات النقد الموجَّه إلى الجمهور، لسوزان روبين سليمان، ضمن كتاب (القارئ في النص: مقالات في الجمهور والتأويل)، ص٢٧؛ مقدمة لدراسة المروي عليه، (ضمن كتاب نقد استجابة القارئ: من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية)، لجيرالد برنس، تحرير: جين ب تومبكنز؛ ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم، مراجعة وتقديم محمّد جَواد حسن الموسوي·- لا:ط ·- القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م، ص٥١ وما بعدها.

٢٦- دليل الناقد الأدبي، ص٢٨٤.

٢٧- دليل الناقد الأدبي، ص٢٨٤، ٢٨٥.

٢٨- صنعة الشعر: ست محاضرات لخورخي لويس بورخيس ؛ ترجمة صالح علماني ·- ط١ ·- بيروت : دار المدى، ٢٠٠٧م، ص١٥.

٢٩- الخطيئة والتكفير، ص٧٥.

٣٠- التفاعل بين النص والقارئ، لفولفغانغ أيزر، ضمن كتاب (القارئ في النص: مقالات في الجمهور والتأويل)، ص١٣٠.

٣١- النص وتجليات التلقِّي، ص١١، ١٢.

٣٢- النص الأدبي بين التلقِّي وإعادة الإنتاج: من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة، ضمن كتاب (نظرية التلقِّي: إشكالات وتطبيقات) لميلود حبيبي·- لا:ط ·- الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات (٢٤)، ١٩٩٣م، ص١٧٣.

٣٣- النص الأدبي بين التلقِّي وإعادة الإنتاج: من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة، ص١٧٤.

٣٤- الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص لعبد العزيز حمودة ·- الكويت : عالم المعرفة (٢٩٨) نوفمبر ٢٠٠٣م، ص ١٢٨.

٣٥- القدرة الأدبية، ضمن كتاب (نقد استجابة القارئ: من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية)، لجوناثان كلر، ص١٩٩.

٣٦- أدوات النص: دراسة لمحمد تحريشي·- لا:ط ·- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م، ص٥٥.

٣٧- دليل الناقد الأدبي، ص٣٠١.

٣٨- نقد النقد: رواية تعلّم لتزفيتان تودوروف؛ ترجمة سامي سويدان ؛ مراجعة ليليان سويدان ·- ط٢·- بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م، ص٩٠.

٣٩- نقد استجابة القارئ: من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، ص٣٤٠، ٣٤١.

٤٠- نقد استجابة القارئ: من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، ص٣٣٨.

٤١- إبدالات المبحث النقدي الأدبي

المعاصر ومشكلات الاستقبال العربي لمصطفى الكيلاني، ضمن كتاب (جماليات التلقِّي والتأويل، إشراف عز الدين إسماعيل .- ط ١ .- القاهرة : أعمال المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي، أكتوبر ١٩٩٧م) ١٩٩٩م، ص٨٥.

٤٢- نظرية المعنى في النقد العربي، لمصطفى ناصف.- لا: ط .- بيروت: دار الأندلس، لا.ت، ص٣٨ وما بعدها.

٤٣- ما وراء اللغة: بحث في الخلفيات المعرفية، لعبد السلام المسدي.- لا:ط .- تونس : مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص ١٤٠.

٤٤- دريدا عربيّاً: قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي لمحمد أحمد البنكي .- ط١ .- بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م، ص٣٠.

٤٥- في آليات النقد الأدبي لعبد السلام المسدي.- لا:ط .- تونس : دار الجنوب للنشر، ١٩٩٤م، ص١٢١.

٤٦- في آليات النقد الأدبي، ص١٢.

٤٧- نقد النقد، ص١٢.

٤٨- نظرية التلقِّي: أصول وتطبيقات لبشرى موسى صالح .- ط١ .- الدار البيضاء - بيروت : المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١م، ص٥٣.

٤٩- نظرية التلقِّي: أصول وتطبيقات، ص٥٣.

٥٠- جمالية التلقِّي، ص١٤.

٥١- جمالية التلقِّي، ص١٤.

٥٢- جمالية التلقِّي، ص١٤، ١٥.

٥٣- الخطيئة والتكفير، ص٧٣، ٨٠ ؛ والنظرية الأدبية المعاصرة، ص١٨٥؛ وانظر أيضاً البلاغة العربية من حيث هي موقف تلقٍ: استراتيجية (القصد والغرض) والقارىء القياسي، لصالح غرم الله بن زياد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد٩١، صيف ٢٠٠٥م، ص٣٨.

٥٤- الفتح الوهبي على مشكلات المتنبِّي، أو الفسر الصغير لابن جنِّي؛ تحقيق محسن غياض.- لا:ط، بغداد، منشورات وزارة الإعلام العراقية - مديرية الثقافة العامة (سلسلة كتب التراث ٢٨)، ١٩٧٣م، ص١٨٢؛ كتاب الفَسْر الصغير: تفسير أبيات المعاني في شعر المتنبِّي، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي؛ تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع .- ط١ .- الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٧م، ص٢١٤.

٥٥- نقد استجابة القارئ: من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، ص١٨٩ وما بعدها، وانظر أيضاً ص١٩٩؛ والخطيئة والتكفير، ص٧٨.

٥٦- الخطيئة والتكفير، ص٥٥.

٥٧- وهو اصطلاح أطلقته كرستين بروك - روز، وهو ما يفارق مفهوم مصطلح التلقي أو "تلقِّي التلقِّي" الذي تعاطت معه الدراسة. انظر قارئية الإنسان، لكرستين بروك - روز، ضمن كتاب (القارئ في النص: مقالات في الجمهور والتأويل)، ص١٤٧.

٥٨- النظرية الأدبية المعاصرة، ص١٨٤.

٥٩- نظرية الأدب، لتيري إيغلتون، ص١٣٨.

٦٠- القارئ في النص: مقالات في الجمهور والتأويل، ص٢١.

٦١- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي؛ تحقيق محمد علي النجار.- لا:ط .- بيروت : مكتبة الهدى، د.ت، ٢١/١.

٦٢- النظرية الأدبية المعاصرة، ص١٨٤.

٦٣- الخطيئة والتكفير، ص٨٣.

٦٤- النظرية الأدبية المعاصرة، ص١٨٣.

٦٥- النظرية الأدبية المعاصرة، ص١٨٤.

٦٦- الخطيئة والتكفير، ص٨٢، ٨٣.

٦٧- استقبال النص عند العرب لمحمد المبارك .- ط١ .- بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٩م، ص٣٠.

٦٨- عدّ حميد لحمداني استخدام المقارنة أحد الأسس المعتمدة في النقد التاريخي الإخباري العربي، دون أن يشير إلى أيٍّ من العناصر التي وقفنا عندها في إطار معالجته الأسس المنهجية والمهارات العقلية المشاركة في إنتاج النص النقدي. وتجدر الإشارة إلى أن استنتاجه

نتج عن استقراء خمس كتب فقط دون غيرها. انظر النقد التاريخي في الأدب: رؤية جديدة، لحميد لحمداني -. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م، ص٧٨.

٦٩- المآخذ، ١/١٢.
٧٠- المآخذ، ١/١٣.
٧١- المآخذ، ١/١٣.
٧٢- المآخذ، ١/١٤.
٧٣- المآخذ، ١/١٦.
٧٤- المآخذ، ١/١٦.
٧٥- المآخذ، ١/١٧.
٧٦- المآخذ، ١/١٧.
٧٧- المآخذ، ١/١٠٠.
٧٨- المآخذ، ١/٢١٩.
٧٩- المآخذ، ١/١٣٢، ١٣٣.
٨٠- المآخذ، ٢/١٣٩.
٨١- المآخذ، ٢/١٣٩.
٨٢- النظرية الأدبية المعاصرة، ص١٨٢.
٨٣- المآخذ، ١/١٢٧.
٨٤- الطبيعة والعادة. المحيط [شنن].
٨٥- المآخذ، ١/١٢٩.
٨٦- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري؛ تحقيق أحمد سليم غانم -. ط١-. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م، ٢/٨٣٢-٨٣٤.
٨٧- المآخذ، ١/٢٢٨.
٨٨- المآخذ، ١/٢٠٠.
٨٩- المآخذ، ١/٢٦٣.
٩٠- المآخذ، ١/٢٦٥.
٩١- سورة الأنعام ١٥٤ وضبط الآية من المصحف العثماني: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾.
٩٢- المآخذ، ١/٢٦٦.
٩٣- المآخذ، ١/١٩٧.
٩٤- المآخذ، ١/٢١٧.
٩٥- المآخذ، ٢/١١٧.
٩٦- المآخذ، ٢/٢٢.
٩٧- المآخذ، ٢/٢٣.
٩٨- المآخذ، ٢/٢٣.
٩٩- المآخذ، ٢/١٥٥.
١٠٠- المآخذ، ٣/١١.
١٠١- علم على إنسان.
١٠٢- المآخذ، ٣/١١.
١٠٣- المآخذ، ٣/١١.
١٠٤- المآخذ، ٢/٢١٦.
١٠٥- المآخذ، ٢/٢١٦.
١٠٦- المآخذ، ٤/٩٠.
١٠٧- المآخذ، ٤/٩٠.
١٠٨- ما وراء اللغة: بحث في الخلفيات المعرفية، ص١٠٨.
١٠٩- مدخل لدراسة النص والسلطة، لعمر أوغان -. ط٢ -. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ١٩٩١م، ص١٩.
١١٠- المآخذ، ٥/٢٧.
١١١- المآخذ، ١/١٨٥-١٨٦.
١١٢- المآخذ، ١/١٨٦.
١١٣- المآخذ، ٥/١٤٧، ١٤٨.
١١٤- المآخذ، ٢/١٣.
١١٥- المآخذ، ٢/١٣.
١١٦- المآخذ، ٢/٥٩.
١١٧- المآخذ، ٢/٥٩.
١١٨- الكهف ٣٨.
١١٩- البقرة ٢٥٨.
١٢٠- المآخذ، ٢/٨، ٩.
١٢١- المآخذ، ٢/٤٧.
١٢٢- المآخذ، ٣/١٤.
١٢٣- المآخذ، ٣/١٤.
١٢٤- المآخذ، ٣/٣٢.
١٢٥- المآخذ، ٣/٣٧.
١٢٦- المآخذ، ٥/٢٨٣، ٢٨٤.
١٢٧- المآخذ، ١/٩٥.
١٢٨- المآخذ، ١/٣٤.
١٢٩- المآخذ، ٢/٧٠.
١٣٠- المآخذ، ١/٤٠.
١٣١- المآخذ، ١/٤٠.
١٣٢- المآخذ، ١/٤٠.
١٣٣- المآخذ، ٢/٢١٥.
١٣٤- المآخذ، ١/٦٢.
١٣٥- المآخذ، ١/٦٢.
١٣٦- المآخذ، ٢/١٧٧.
١٣٧- المآخذ، ١/٢٤.
١٣٨- المآخذ، ١/٢٦.
١٣٩- المآخذ، ١/٤٢.
١٤٠- المآخذ، ١/٤٤.
١٤١- المآخذ، ١/ ٨٨، ٨٩.
١٤٢- المآخذ، ١/٢٦.
١٤٣- المآخذ، ١/٤٦.
١٤٤- المآخذ، ١/٢٧.
١٤٥- المآخذ ٣/١٣٥.
١٤٦- المآخذ ٣/٢٠.
١٤٧- المآخذ، ٣/٨٥.

١٤٨- وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة ٠- ط ١ ٠- جدة - بيروت : دار المنارة - ابن حزم، ١٩٩٧م، ص٥٩٦ - ٥٩٨.

١٤٩- المأخذ، ١/٢٣٥.

١٥٠- المأخذ، ٤/٨٢.

١٥١- المأخذ، ٥/٢٧٣.

١٥٢- المأخذ، ٣/٣٠.

١٥٣- المأخذ، ٣/ ١٢٢.

١٥٤- أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته ولا تقتصر على أدنى منازله، معجم البلاغة العربية، ص٩١.

١٥٥- الأنفال ١٧.

١٥٦- المأخذ، ٣/١٢٢.

١٥٧- المأخذ، ٣/ ١٦٣.

١٥٨- المأخذ، ٣/١٦٣.

١٥٩- الخطيئة والتكفير، ص١٧-٢٢؛ والمشاكلة والاختلاف: قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف لعبد الله محمد الغذّامي ٠- ط ١ ٠- الدار البيضاء- بيروت : المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م، ص٥-٩؛ ومناهج النقد المعاصر، ص٧٣، ٧٤.

١٦٠- المأخذ، ١/٤٦.

١٦١- المأخذ، ١/١٣٩.

١٦٢- المأخذ، ١/١٣٩.

١٦٣- قراءة مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد، لحسن حنفي، مجلة فصول، القاهرة، المجلد التاسع، العددان ٤/٣ (اتجاهات النقد العربي الحديث)، فبراير١٩٩١م، ص٢٢٨.

١٦٤- فؤاد مرعي، في العلاقة بين المبدع والنص والمتلقّي ٠- الكويت: عالم الفكر، يوليو: ديسمبر ١٩٩٤م، ص٣٣٧.

المصادر والمراجع

- أدوات النص: دراسة لمحمد تحريشي٠- لا:ط٠- دمشق، اتحاد الكُتّاب العرب، ٢٠٠٠م.
- استقبال النص عند العرب لمحمد المبارك ٠- ط١ ٠- بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٩م.
- البلاغة العربية من حيث هي موقف تلقٍ: استراتيجية (القصد والغرض) والقارىء القياسي، لصالح غرم الله ابن زياد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٩١، صيف ٢٠٠٥م.
- التلقّي والسياقات الثقافية: بحث في تأويل الظاهرة الأدبية لعبد الله إبراهيم ٠- الرياض : مؤسسة اليمامة الصحفية (كتاب الرياض ٩٣) ، أغسطس٢٠٠١م.
- جماليات التلقّي والتأويل ؛ إشراف عز الدين إسماعيل، أعمال المؤتمر الدولي الأول للنقد الأدبي ٠- ط١ ٠- القاهرة، أكتوبر ١٩٩٧م ، ط١، ١٩٩٩م.
- جمالية التلقّي: من أجل تأويل جديد للنص الأدبي لهانس روبيرت ياوس؛ ترجمة رشيد بنحدو ٠- ط١ ٠- القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م.
- الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص لعبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة (٢٩٨)، الكويت، نوفمبر ٢٠٠٣م.
- الخصائص، لابن جنّي؛ تحقيق محمد علي النجار٠- لا:ط ٠- بيروت : مكتبة الهدى، د.ت.
- الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية (Deconstruction) قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية لعبد الله محمد الغذّامي ٠- ط١ ٠- جدّة : النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٥م.
- دريدا عربياً: قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي لمحمد أحمد البنكي٠- ط١٠- بيروت : «المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م.
- دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً لميجان الرويلي وسعد البازعي٠- ط٣٠- الدار البيضاء- بيروت : المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م.
- دليل النظرية النقدية المعاصرة لبسّام قطّوس ٠- ط١٠- الكويت : مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري؛ تحقيق أحمد سليم غانم .- ط١.- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.
- صنعة الشعر: ست محاضرات لخورخي لويس بورخيس؛ ترجمة صالح علماني.- ط١ .- بيروت : دار المدى، ٢٠٠٧م.
- عبقرية التأليف العربي: علاقات النصوص والاتصال العلمي لكمال عرفات نبهان.- ط١ .- الجيزة : مركز دراسات المعلومات والنصوص العربية، ٢٠٠٧م.
- الفتح الوهبي على مشكلات المتنبِّي: أو الفسر الصغير لابن جني؛ تحقيق محسن غياض.- لا:ط .- بغداد : منشورات وزارة الإعلام العراقية - مديرية الثقافة العامة (سلسلة كتب التراث ٢١)، ١٩٧٣م.
- في آليات النقد الأدبي لعبد السلام المسدّي.- لا:ط، تونس: دار الجنوب للنشر، ١٩٩٤م.
- في العلاقة بين المبدع والنص والمتلقِّي، لفؤاد مرعي .- الكويت : عالم الفكر، يوليو: ديسمبر ١٩٩٤م.
- القارئ في النص: مقالات في الجمهور والتأويل، تحرير سوزان روبين سليمان وإنجي كروسمان؛ ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح.- ط١.- بيروت : دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٧م.
- قراءة مفهوم النص لنصر حامد أبو زيد، لحسن حنفي، مجلة فصول .- القاهرة، المجلد التاسع، العددان ٣/٤ (اتجاهات النقد العربي الحديث) فبراير ١٩٩١م.
- كتاب الفَسْر الصغير: تفسير أبيات المعاني في شعر المتنبِّي لأبي الفتح عثمان بن جنِّي؛ تحقيق عبد العزيز ابن ناصر المانع .- ط١.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٧م.
- كتاب المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطَّيِّب المتنبِّي لأبي العباس أحمد بن علي بن مَعْقِل الأزدي المُهَلَّبي؛ تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع .- ط١.- الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠١م.
- ما وراء اللغة: بحث في الخلفيات المعرفية لعبد السلام المسدي.- لا:ط.- تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
- مدخل لدراسة النص والسلطة لعمر أوغان .- ط٢ .- الدار البيضاء : إفريقيا الشرق، ١٩٩١م.
- المشاكلة والاختلاف: قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف لعبد الله محمد الغذّامي.- ط١ .- بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤م.
- المصطلح النقدي لعبد السلام المسدي.- لا:ط .- تونس: مؤسسات عبد الكريم ابن عبد الله للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
- معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة .- ط١.- جدة - بيروت : دار المنارة/ ابن حزم، ١٩٩٧م.
- مناهج النقد المعاصر، لصلاح فضل.- لا:ط .- الدار البيضاء - بيروت : إفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م.
- النص وتجليَّات التلقِّي لسالم عباس خداده، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيَّة، جامعة الكويت، الرسالة ١٤٧، ١٩٩٩/ ٢٠٠٠م.
- نظرية الأدب "مدخل" لتيري إيغلتون؛ ترجمة ثائر ديب .- ط١ .- بيروت : دار المدى، ٢٠٠٦م.
- النظرية الأدبية المعاصرة لرامان سلدن؛ ترجمة جابر عصفور.- لا:ط .- القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
- نظرية التلقِّي: إشكالات وتطبيقات.- لا:ط، .- الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، سلسلة: ندوات ومناظرات (٢٤)، ١٩٩٣م.
- نظرية التلقِّي: أصول وتطبيقات لبشرى موسى صالح .- ط١.- الدار البيضاء- بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١م.
- نظرية الاستقبال لروبرت سي هولب؛ ترجمة رعد عبد الجليل جواد.- ط١.- اللاذقية: دار الحوار، ٢٠٠٤م.
- النقد التاريخي في الأدب: رؤية جديدة لحميد لحمداني .- القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م.
- نقد استجابة القارىء: من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية لجيرالد برنس، تحرير: جين ب تومبكنز؛ ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم، مراجعة وتقديم محمّد جَواد حسن الموسوي.- لا:ط .- القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م.
- نقد النقد: رواية تعلّم لتزفيتان تودوروف؛ ترجمة سامي سويدان؛ مراجعة ليليان سويدان.- ط٢.- بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م.

الملك فيصل شاهد وشهيد

دراسة تحليلية على الصحف السعودية التي تصدر باللغة العربية

الفترة من ١٤٢٩/٥/١ لغاية ١٤٢٩/٥/٣٠هـ. - ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

إعداد

محمد حيان الحافظ

باحث في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض

مقدمة الدراسة :

تمثل وسائل الإعلام بمختلف أنواعها أحد أهم المصادر التي يعتمد عليها الجمهور في معرفة الأحداث المحيطة به ومتابعة ما يجري حوله من شؤون الحياة ، ويتزايد اعتماد الجمهور على هذه الوسائل بسبب تزايد اهتمامه بالأحداث والشؤون الجارية من حوله بالإضافة إلى التطورات المتلاحقة التي جعلت بعض هذه الوسائل متاحة لمختلف فئات الجمهور ، ولذلك فإن بعض وسائل الإعلام قد أصبحت من المصادر الأساسية للمعلومات التي يبني عليها الجمهور آراءه وأفكاره، كما يحدد بناء على ذلك اتجاهاته وسلوكياته.

وتساهم وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية - من خلال تغطيتها المتعددة لمختلف القضايا والأحداث - في تكوين الرأي العام والتأثير فيه وصياغة المفاهيم والتغيرات التي يراد بثها ونشرها في مجتمع معين، واتخاذها إطارا يعتمد عليه الأفراد لبلورة نظرتهم للظواهر والقضايا والمشكلات من حولهم، كما تعمل على توعيتهم وتثقيفهم بما يرتبط بمناحي حياتهم المختلفة وخصوصاً ما يرتبط منها بالجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وإذا كان الإعلام كما يعرفه العالم الألماني أتوجروت "هو التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه" فإن ذلك يجعل للخطاب الصحفي دوراً مهماً ومميزاً في الدفاع عن الذاتية وهوية الأمة، واكتسب الخطاب الصحفي هذه الأهمية من أهمية الإعلام المعاصر ، فأمة لا صوت لها هي أمة مخنوقة، وأمة لا غذاء لها هي أمة مقهورة وكلاهما لا رأي ولا خيار لها .

ولعل تطور المؤسسات الصحفية السعودية اليوم - سواء منها ما يتعلق بالجانب المهني الذي نقل الصحافة من مجال لإبداعات الأدباء والمثقفين إلى عمل صحفي متكامل يتناول مختلف القضايا التي تهم القراء عبر جميع الفنون الصحفية، أو ما يرتبط منها بالجانب التقني الذي استثمر الإمكانات الطباعية بمختلف فنونها ومميزاتها - يؤكد تعاظم الدور الذي يمكن أن تقوم به الصحافة المحلية في المساهمة بتنمية المجتمع وتوعيته وتطويره والاشتراك فيما يحس به ومحاولة إزالة ما هو مغلوط أو ما هو مبالغ فيه في توجهات أفراده .

وتعد الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل قضية اجتماعية وسياسية واقتصادية يمكن الاستفادة منها في اتجاهات مختلفة وبطرق متعددة لها آثار نفسية واجتماعية على المجتمع ككل ، وذلك انطلاقاً من أهمية

الإعلام في تكوين رأي عام واع له القدرة على الاستفادة من تاريخ الملك فيصل وإنجازاته وشخصيته .

يمكن تصنيف الجهود الصحفية التي يفترض أن تقوم بهاو وسائل الإعلام لخدمة إبراز شخصية الملك فيصل، على أنها جهود تندرج تحت ما يسمي ب"الجهود التوعية " التي تسعى إلى تعريف مختلف شرائح المجتمع بمسببات عدم الاطلاع على تاريخ الملك فيصل، وطرق تلافيها ، بالإضافة إلى إيضاح أساليب ووسائل تخفيف الجهل بتاريخ الملك فيصل وجهوده ومواقفه التاريخية وآثارها على المجتمع السعودي .

مشكلة لدراسة :

تتحدد مشكلة الدراسة ، في ضوء المعايير الآتية :

١ – الأهمية التي تحظى بها قضية الدراسة – الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل – مقارنة بغيرها من قضايا المجتمع السعودي والتي كان لها ترتيب متقدم ضمن أولويات القضايا المجتمعية الأخرى .

٢ – أكدت نتائج البحوث والدراسات السابقة ضرورة القيام بدراسات متصلة بقضية الدراسة – الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل – لتتبع المعالجات الصحفية المقدمة لها على صفحات الصحف السعودية .

٣ – أوضحت مؤشرات الدراسة الاستطلاعية أن قضية الدراسة ذالموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل– تحتل مرتبة متقدمة من معالجتها لقضايا أخرى على صفحاتها .

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الأساليب الفنية التي استخدمتها الصحف السعودية التي تصدر باللغة العربية في تغطية الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل، ومعرفة المصادر التي اعتمدت عليها هذه الصحف في نقل الموضوعات التي تبرز هذه الشخصية ، ومعرفة أماكن المواد والموضوعات الصحفية التي تبرز هذه الشخصية في الصحف السعودية، ومعرفة حجم المساحات التي خصصتها الصحف السعودية لإبراز شخصية الملك فيصل، والتعرف على مدى اهتمام الملك فيصل بالشؤون الداخلية، ومدي اهتمامه بالشؤون الخارجية، والتعرف على المساحات التي خصصتها الصحف السعودية لإبراز الصفات الشخصية للملك فيصل .

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية الدراسة من خلال ما يلي :

١ – الأهمية التي يكتسبها موضوع الدراسة – إبراز شخصية الملك فيصل – في ضوء التطورات المتلاحقة التي يمر بها المجتمع داخل المملكة العربية السعودية.

٢ – أهمية إبراز شخصية الملك فيصل على المستويين الداخلي والخارجي .

٣ – الحاجة إلى إجراء دراسات تتبعية ترصد المعالجات المختلفة لشخصية الملك فيصل، وإبراز الجوانب ذات العلاقة في شخصيته .

٤ – من خلال البحث والاستقصاء في الدراسات الأكاديمية المختصة بالإعلام ، ومن خلال تقصي الباحث للموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل وضح ندرة هذه الدراسات التي تناولت إبراز شخصية الملك فيصل ، ولذا تأمل هذه الدراسة أن تكون اضافة علمية في هذا المجال .

٥ – التأكيد على أن للإعلام دور تنموي مهم ، وحث الصحف السعودية على القيام بالدور المناسب في التوعية بتاريخ الملك فيصل وإنجازاته ومواقفه التاريخية وصفاته الشخصية ، بما يحقق الهدف

التنموي لهذه الصحف، وابراز أهم الصحف التي تناولت شخصية الملك فيصل بالشرح والتحليل.

تساؤلات الدراسة :

تمت دراسة مشكلة الدراسة من خلال التساؤلات التالية :

١ - ما أكثر الصحف اهتماماً بالملك فيصل وإبراز شخصيته ؟

٢ - ما أكثر الأشكال والفنون الصحفية استخداما في معالجة الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل ؟

٣ - ما أكثر المصادر التي اعتمدت عليها الصحف السعودية في معالجة الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل ؟

٤ - ما المساحات التي اعتمدت عليها الصحف السعودية في إخراج العناوين التي تبرز شخصية الملك فيصل ؟

٥ - ما مناطق المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل والتي نشرتها الصحف السعودية ؟

٦ - ما عدد الصور والرسوم الإيضاحية التي اعتمدت عليها عمليات الإخراج الصحفي في إبراز شخصية الملك فيصل ؟

٧ - ما موقع المواد الصحفية التي يوجد بها الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل؟

٨ - ما مدى اهتمام الصحف السعودية برصد التنمية التي أحدثها الملك فيصل على المستوى الداخلي ؟

٩ - ما مدى اهتمام الصحف السعودية بنشر ما يخص العلاقات السعودية الخارجية، وما أنجزه الملك فيصل في هذا المجال ؟

١٠- ما قدر اهتمام الصحف السعودية بإبراز الصفات الشخصية للملك فيصل من خلال الموضوعات الصحفية والتغطيات المختلفة ؟

١١- كيف استخدمت الصحف السعودية المقال بوصفه فناً صحفياً في إبراز شخصية الملك فيصل ؟

الإجراءات المنهجية :

١ - نوع الدراسة :

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية (Descriptive) التحليلية للكشف عن معالجة عينة من الجرائد السعودية التي تصدر باللغة العربية وتتناول موضوعات تبرز شخصية الملك فيصل ، بهدف الحصول على نتائج دقيقة قابلة للتصنيف والتحليل واستخلاص نتائج ذات دلالات مفيدة ، وذلك لتحديد الدور الراهن للصحافة السعودية في إبراز شخصية الملك فيصل.

٢ - منهج الدراسة :

تتحدد مناهج البحث في المنهجين التاليين :

١ - منهج المسح الإعلامي(منهج تحليل المضمون) : بهدف الحصول على بيانات ومعلومات لمعالجة عينة من الجرائد السعودية الصادرة باللغة العربية وتتضمن موضوعات تبرز شخصية الملك فيصل .

٢ - المنهج المقارن : لعقد مقارنات موضوعية بين معالجة عينة الدراسة للأبعاد المختلفة للموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل خلال فترة الدراسة .

٣ - عينة الدراسة :

تتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تدرس عينة من الصحف السعودية التي نشرت موضوعات تبرز شخصية الملك فيصل ، وقد تحددت عينة الدراسة في الآتي:

عينة الأعداد

تم اختيار عينة عشوائية من الصحف السعودية التي تصدر باللغة العربية تضمنت الجرائد التالية :

- الاقتصادية
- الجزيرة

- الحياة
- الرياض
- الشرق الأوسط
- عكاظ
- المدينة
- الندوة
- الوطن
- اليمامة
- اليوم

العينة الزمنية:

تمثلت العينة الزمنية للدراسة بالفترة من (٢٠٠٨/٥/١ : ٢٠٠٨/٥/٣٠م)، وهي الفترة التي عقدت خلالها الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود تحت عنوان (الملك فيصل شاهد وشهيد).

٤ – أداة الدراسة:

اعتمدت الدراسة على أداة تحليل المضمون من خلال تطبيق استماره خاصة بقضية الدراسة .

٥ – وحدة القياس:

بما أن الدراسة تحليل لمضمون التغطية الصحفية للموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل في الصحف السعودية الصادرة باللغة العربية فقد استخدم الباحث وحدة العمود في قياس المساحات التي شغلتها الموضوعات المختلفة.

٦ – فئات التحليل:

قام الباحث بتحديد فئات التحليل بشكل جامع مانع يضمن عدم وجود تداخل بين تلك الفئات التي جاءت على النحو التالي :

أولا: القوالب الفنية، وقد تم تقسيمها على النحو التالي:

- الخبر الصحفي.
- المقال.
- الحوار .
- التحقيق الصحفي.
- التقرير الصحفي.
- التغطيات الصحفية .
- الإعلانات.
- أخرى وتشمل أي مواد منشورة لا تندرج تحت أحد الفنون الصحفية السابقة.

ثانياً: مصادر المواد الصحفية ، وقد تم تقسيمها على النحو التالي:

- وكالة الأنباء السعودية .
- وكالات الأنباء العربية .
- وكالات أنباء عالمية .
- غير معروف .
- أخرى .

ثالثاً: استخدام الصور والوسائل الإيضاحية في إخراج المواد الصحفية، وقد تم تقسيمها على النحو التالي:

- مع صورة شخصية .
- برسم أو صورة إيضاحية.
- أكثر من صورة أو رسم إيضاحي.
- بدون صور أو رسوم إيضاحية.

رابعاً: إخراج العناوين للمواد الصحفية، وقد تم تقسيمها على النحو التالي :

- عمود واحد.
- عمودان.
- ثلاثة أعمدة.
- أربعة أعمدة.
- خمسة أعمدة.
- أكثر من خمسة أعمدة .
- بدون عنوان.

خامساً: موقع المادة الصحفية، وقد تم تقسيمها على النحو التالي:

- الصفحة الأولى .
- الصفحة الأخيرة .
- صفحة متخصصة .
- صفحة داخلية.

سادساً: مناطق المواد الصحفي،ة وقد تم تقسيمها على النحو التالي :

- المملكة العربية السعودية .
- دول مجلس التعاون الخليجي .
- الدول العربية الأخرى .
- الدول الإسلامية الأخرى .
- دول العالم الأخرى .

سابعاً: اهتمام الملك فيصل بالشؤون الداخلية، وقد تم تقسيمها على النحو التالي :

- تنمية سياسية.
- تنمية اقتصادية .
- تنمية اجتماعية.
- الاهتمام بالأنظمة التجارية .
- الاهتمام بالتعليم .
- الاهتمام بالأنظمة الإعلامية .

ثامناً : اهتمام الملك فيصل بالشؤون الخارجية، وقد تم تقسيمها على النحو التالي:

- العلاقات السعودية الخارجية .
- العلاقات مع الدول العربية .
- العلاقات مع الدول الإسلامية .
- القضية الفلسطينية.

تاسعاً: الاهتمام بالصفات الشخصية للملك فيصل، وقد تم تقسيمها على النحو التالي:

- نبوغ طفل .
- شجاعة فتى .
- قيادة رجل .
- حكمة شيخ .
- زهد ملك .
- استشهاد مجاهد .

٧- اختبار الصدق والثبات :

١ - صدق التحليل (Validity) : أي صدق أداة جمع البيانات - استمارة تحليل المضمون - على قياس ما تسعى الدراسة إلى قياسه وتعكس المعنى الحقيقي والفعلي للمفاهيم المستخدمه ، أي كفاية الاستمارة ودقة الوحدات . وللتأكد من صدق التحليل اعتمد الباحث على:

- التحديد الدقيق لفئات التحليل ووحداته .
- عرض الاستمارة على مجموعة من المحكمين .

ثبات التحليل : (Reliability) : وهو يقيس استقرار فئات التحليل ووحداته وإمكانية استخدامها للتوصل إلى النتائج نفسها مهما اختلف القائمون بالتحليل، أو إذا قام الباحث نفسه بالتحليل بعد مضي فترة زمنية .

نتائج الدراسة الميدانية:

١ - القوالب الفنية المستخدمة لإبراز شخصية الملك فيصل في الصحف السعودية:

يهدف التساؤل الأول إلى معرفة أكثر القوالب الفنية الصحفية استخداما لإبراز شخصية الملك فيصل، ويوضح الجدول رقم (١) أن الصحافة السعودية اعتمدت على فنون صحفية مختلفة لإبراز شخصية الملك فيصل، ولكن الاعتماد الأكبر كان على فن التغطيات الصحفية حيث جاء استخدامه بنسبة (٤٣,٦٪) وذلك يتفق مع طبيعة الحدث الذي تناولته الصحف السعودية.

وجاء في المرتبة الثانية استخدام المقال الصحفي بنسبة (٢٥,٨٪)، والمقال الصحفي من القوالب الفنية التي

تعتمد عليها الصحف في إبراز اتجاهات وأراء ووجهات نظر مختلفة، وتعد هذه النسبة التي استخدمتها الصحف السعودية ضئيلة جداً، فقد اقتصرت المقالات على مقال رئيس التحرير ومدير التحرير ورئيس مجلس الإدارة، ولم تتح مساحة لأراء قد تختلف مع السياسة التحريرية لهذه الصحف أو للاتجاه الذي تتبناه . وكانت جريدة الندوة هي أكثر الجرائد السعودية التي استخدمت المقال الصحفي بوصفه قالباً فنياً في المجال الصحفي لإبراز شخصية الملك فيصل.

وحل في المرتبة الثالثة استخدام الخبر الصحفي بنسبة (٢٠,٢٪) ويعد استخدام الخبر الصحفي بهذه النسبة قصوراً من جانب الصحف السعودية في تأدية دورها الأساسي وهو الإخبار والإعلام؛ فالخبر الصحفي هو أفضل أنواع الفنون والأشكال الصحفية في توصيل الأحداث والتأثير في المتلقين.

حاز استخدام الحوار الصحفي المرتبة الرابعة نسبة (٩,٢٪) وكان استخدام الصحف السعودية للحوار بوصفة فناً صحفياً نمطياً بدرجة كبيرة ، فقد تكررت الشخصيات التي أجريت معها الحوارات في كل الصحف اقتصرت معظم الحوارات الصحفية على أبناء الملك فيصل.

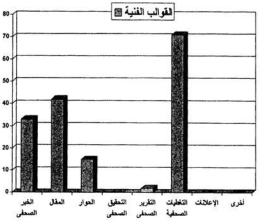
وجاء في المرتبة الخامسة استخدام التقرير الصحفي بنسبة (١,٢٪) ، وجاء استخدام التقارير الصحفية دعماً لاستخدام الصحف السعودية لفن للتغطيات الصحفية وتخصيص مساحات كبيره لهذا الفن.

أما بالنسبة للتحقيقات و الإعلانات والأشكال الصحفية الأخرى من (صور خبرية، والقصص الإخبارية) فلم تخصص الصحف السعودية مساحات لهذه الفنون والأشكال الصحفية على الرغم من أهميتها البالغة في تأدية الأدوار المختلفة التي ينبغي أن تؤديها الصحف.

جدول رقم (١)

القوالب الفنية المستخدمة لإبراز شخصية الملك فيصل في الصحف السعودية

القوالب الفنية المستخدمة لإبراز شخصية الملك فيصل في الصحف السعودية	التكرار	النسبة	الترتيب
الخبر الصحفي	٣٣	٢٠,٢٪	٣
المقال	٤٢	٢٥,٨٪	٢
الحوار	١٥	٩,٢٪	٤
التحقيق الصحفي	٠	٠	٦
التقرير الصحفي	٢	١,٢٪	٥
التغطيات الصحفية	٧١	٤٣,٦٪	١
الإعلانات	٠	٠	٦
أخرى	٠	٠	٦
المجموع	**١٦٣**	**١٠٠٪**	



الرسم البياني يوضح المقارنة بين القوالب الفنية المستخدمة لإبراز شخصية الملك فيصل.

٢ – مصادر المواد الصحفية التي استخدمتها الصحف السعودية لإبراز شخصية الملك فيصل :

يهدف التساؤل الثاني إلى معرفة المصادر التي اعتمدت عليها الصحف السعودية في تغطيتها للموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل، ويوضح الجدول رقم (٢) ما يلي :

لم يكن هناك تنوع أو تعدد في مصادر الصحف السعودية، فقد اعتمدت بنسبة (١٠٠٪) على المراسلين، وهذا يتفق مع الفنون الصحفية التي اعتمدت عليها الصحف السعودية فالتغطيات الصحفية تعتمد على المراسلين فقط .

ولكن الاعتماد بشكل كلي على المراسلين قد يعد جانباً من الجوانب السلبية ؛ لأن التعدد والتنوع في المصادر يضفي مصداقية على المعلومات المنشورة ويدعم الأحداث، ويوفر مادة صحفية ذات معلومات غزيرة كما يغطي كل جوانب الحدث.

جدول رقم (٢)

مصادر المواد الصحفية التي استخدمتها الصحف السعودية لإبراز شخصية الملك فيصل

مصادر المواد الصحفية	التكرار	النسبة	الترتيب
وكالة الأنباء السعودية	٠	٠	٢
وكالات الأنباء العربية	٠	٠	٢
وكالات الأنباء العالمية	٠	٠	٢
غير معروف	٠٠	٠	٢
أخرى	١٤٢	١٠٠٪	١
المجموع	**١٤٢**	**١٠٠٪**	

٣ – استخدام الصور والوسائل الإيضاحية في إخراج المواد الصحفية:

يهدف التساؤل الثالث إلى معرفة عدد الصور والوسائل الإيضاحية التي استخدمتها الصحف السعودية في إخراج المواد الصحفية لإبراز شخصية الملك فيصل، ويوضح الجدول رقم (٣) ما يلي :

المرتبة الأولى احتلتها فئة عدم استخدام الصور والرسوم الإيضاحية بنسبة (٣٧,٢٪) ، فقد أهملت الصحف السعودية استخدام الصور والرسوم الإيضاحية في عمليات الإخراج الصحفي لإبراز شخصية الملك فيصل، وهذا يعد قصوراً من جانب الصحف السعودية؛ لأن الصور والرسوم الإيضاحية لها دور بارز في جذب انتباه القارئ إلى الخبر وإضافة مصداقية للمعلومات المنشورة ، كما أن الصور تعد من عوامل ثقل الصفحات، وإهمال الصحف السعودية لاستخدامها يعد جانباً سلبياً يؤخذ عليها.

وجاء في المرتبة الثانية استخدام الصور

الشخصية بنسبة (٣٥,٩٪) في عملية الإخراج. إن استخدام الصور الشخصية لابد أن يأتي في نطاق محدود وفي حالات محددة ، فكثرة استخدام الصور الشخصية في الصفحة الواحدة يعد عيباً من عيوب الإخراج الصحفي، وقد جانب التوفيق معظم الصحف السعودية في هذا الصدد .

وحل في المرتبة الثالثة استخدام أكثر من صورة ورسم توضيحي بنسبة (٢٦,٩٪) ، وقد نوعت الصحف في الصور التي استخدمتها ما بين صور موضوعية وصور إخبارية، ولكن في إطار محدود ، وكان من الأفضل أن تتيح مساحات أكبر للصور لما لها من أهمية كبيرة تتناسب مع أهمية الشخصية التي تتناولها الصحف وهي شخصية الملك فيصل.

وجاء في ذيل الترتيب استخدام الرسوم الإيضاحية ولم يكن لها أي نسبة ، فالصحف السعودية لم تستخدم الرسوم الإيضاحية، وهذا يتناسب مع الحدث وشروط استخدام الرسوم الإيضاحية فهي تستخدم في صفحات الاقتصاد والمال.

جدول رقم (٣)

استخدام الصور والوسائل الإيضاحية

في إخراج المواد الصحفية

الصور والوسائل الإيضاحية	التكرار	النسبة	الترتيب
صورة شخصية	٥٦	٣٥,٩٪	٢
رسم توضيحي	٠	٠	٤
أكثر من صورة ورسم	٤٢	٢٦,٩٪	٣
بدون صور أو رسوم	٥٨	٣٧,٢٪	١
المجموع	**١٥٦**	**١٠٠٪**	



الرسم البياني يوضح المقارنة بين الصور والوسائل الإيضاحية المستخدمة في إبراز شخصية الملك فيصل.

٤ - إخراج العناوين للمواد الصحفية:

يرمي التساؤل الرابع إلى معرفة إخراج الصحف السعودية لعناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل، ويوضح الجدول رقم (٤) ما يلي:

جاء في المرتبة الأولى إخراج عناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل على ثلاثة أعمده بنسبة (٣١,٢٪) ، إخراج العناوين على ثلاثة أعمدة لا تتناسب مع الأهمية التي تمثلها شخصية الملك فيصل، وأهمية إبراز العناوين بشكل أكبر يتناسب مع أهمية الموضوعات.

جاء في المرتبة الثانية إخراج عناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل على أربعة أعمدة بنسبة (٢٤,١٪) واستخدام العناوين بمساحة

أربعة أعمدة يتناسب مع استخدام الصحف للتقارير الصحفية ، كما جاء عدم استخدام الصحف للعناوين في المرتبة نفسها ، وعدم استخدام العناوين يعد جانباً سلبياً وخطأ صحفياً وإخراجياً وقعت فيه الصحف السعودية.

جاء في المرتبة الثالثة إخراج عناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل على عمودين بنسبة (١٤,٩٪) واستخدام العناوين الصحفية بمساحة عمودين جاء فقط مع المقالات الصحفية، وهذا يتناسب مع المساحة الكلية للمقال الصحفي والمكان المخصص له وطريقة إخراج المقالات الصحفية.

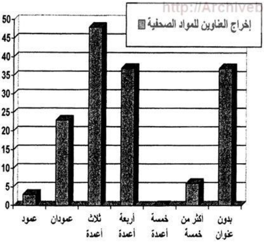
جاء في المرتبة الرابعة إخراج عناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل إخراجها على أكثر من خمسة أعمدة بنسبة (٣,٨٪) وقد خصصت الصحف السعودية هذه النسبة للعناوين التي تنشر بعرض الصفحة وهذا يتناسب تماماً مع أهمية الموضوعات التي تتناول شخصية الملك فيصل وتهدف لإبرازها ولكن كان هذا الاستخدام محدود وفي حيز ضيق.

وجاء إخراج عناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل على عمود واحد في المرتبة الخامسة بنسبة (١,٩٪) ، واستخدام عناوين على مساحة عمود واحد يتمثل في اعتماد الصحف السعودية على العناوين الانسيابية والتي تحتل مساحة عمود واحد ، واستخدامها في الحوارات الصحفية التي تنشرها الجريدة . ومن مميزات استخدام العناوين الانسيابية أنها تلفت انتباه القارئ وتغير من الشكل النمطي التقليدي المعتاد للعناوين .

جدول رقم (٤)

إخراج العناوين للمواد الصحفية

إخراج العناوين للمواد الصحفية	التكرار	النسبة	الترتيب
عمود	٣	٪١,٩	٥
عمودان	٢٣	٪١٤,٩	٣
ثلاثة أعمدة	٤٨	٪٣١,٢	١
أربعة أعمدة	٣٧	٪٢٤,١	٢
خمسة أعمدة	٠	٠	٦
أكثر من خمسة	٦	٪٣,٨	٤
بدون عنوان	٣٧	٪٢٤,١	٢
المجموع	١٥٤	٪١٠٠	



الرسم البياني يوضح المقارنة بين إخراج العناوين للمواد الصحفية التي تبرز شخصية الملك فيصل.

٥ – موقع المادة الصحفية :

يهدف التساؤل الخامس معرفة موقع المادة الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل في الصحف السعودية، يوضح الجدول رقم (٥) ما يلي :

جاء في المرتبة الأولى نشر المواد الصحفية التي تهدف إلى إبراز شخصية الملك فيصل في الصفحات المتخصصة بنسبة (٥٣,١٪) وقد تمثلت الصفحات المتخصصة في صفحة الأخبار المحلية وصفحة التحقيقات وصفحات مخصصة للتغطيات الصحفية وهو ما يتفق مع عدد التغطيات الصحفية التي نشرتها الصحف السعودية .

وحل نشر المواد الصحفية التي تهدف إلى إبراز شخصية الملك فيصل في الصفحات الداخلية في المرتبة الثانية بنسبة (٣٣,١٪) ، يعد نشر الأخبار الخاصة بشخصية الملك فيصل في الصفحات الداخلية خطأ كبيراً من جانب الصحف السعودية فالملك فيصل شخصية لها أهمية خاصة يجب أن تحتل الصفحات الأولى.

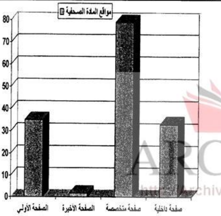
وحاز نشر المواد الصحفية التي تهدف إلى إبراز شخصية الملك فيصل في الصفحة الأولى المرتبة الثالثة بنسبة (٢٣,٥٪) ، واستخدام الصفحة الأولى في نشر الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل يتناسب مع قدر أهمية الملك فيصل فالصفحة الأولى هي المكان المناسب ولكن كان ينبغي أن تستخدم الصفحات الأولى بقدر أكبر وبمساحات أوسع.

وجاء في المرتبة الرابعة نشر المواد الصحفية التي تهدف إلى إبراز شخصية الملك فيصل في الصفحة الأخيرة بنسبة (١,٣٪) ، والصفحة الأخيرة لها قدرة كبيره على إبراز الأخبار ؛ لذا استخدمتها الصحف السعودية في إبراز الموضوعات التي تهدف إلى نشر شخصية الملك فيصل .

جدول رقم (٥)

موقع المادة الصحفية

موقع المادة الصحفية	التكرار	النسبة	الترتيب
الصفحة الأولى	٣٥	٢٣,٥٪	٣
الصفحة الأخيرة	٢	١,٣٪	٤
صفحة متخصصة	٧٩	٥٣,١٪	١
صفحة داخلية	٣٣	٣٣,١٪	٢
المجموع	١٤٩	١٠٠٪	



الرسم البياني يوضح المقارنة بين مواقع المادة الصحفية المستخدمة فى إبراز شخصية الملك فيصل.

٦ – مناطق المواد الصحفية:

يهدف التساؤل السادس إلى معرفة المناطق التي تنتمي إليها المواد الصحفية التي تبرز شخصية الملك فيصل، ويوضح الجدول رقم (٦) ما يلي :

المرتبة الأولى احتلتها منطقة المملكة العربية السعودية بنسبة (٩٤,٤٪) ، وقد جاءت هذه النسبة لتوضح اهتمام الصحف السعودية بإبراز شخصية الملك فيصل من خلال رصد ملامح هذه الشخصية داخل المملكة العربية السعودية.

أما المرتبة الثانية فاحتلتها منطقة دول عربية أخرى بنسبة (٥,٦٪) ، وجاء ذلك من خلال بعض الحوارات التي

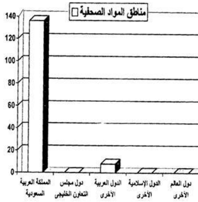
أجرتها الصحف السعودية مع بعض الشخصيات الهامة في الدول العربية الأخرى.

فقد أجرت على سبيل المثال جريدة اليوم حواراً مع رئيس وزراء مصر الأسبق في القاهرة. أما مناطق دول مجلس التعاون الخليجي ، والدول الإسلامية الأخرى ، ودول العالم الأخرى فقد احتلت المرتبة الثالثة والأخيره ولم تمثل أي نسبة، فلم تنقل الصحف الخليجية والإسلامية والعالمية أي أحداث من هذه المناطق ، مما يفقد هذه الصحف صفتي العالمية والتنوع .

جدول رقم (٦)

مناطق المواد الصحفية

مناطق المواد الصحفية	التكرار	النسبة	الترتيب
المملكة العربية السعودية	١٣٦	٩٤,٤٪	١
دول مجلس التعاون الخليجي	٠	٠	٣
الدول العربية الاخرى	٨	٥,٦٪	٢
الدول الإسلامية الاخرى	٠	٠	٣
دول العالم الاخرى	٠	٠	٣
المجموع	**١٤٤**	**١٠٠٪**	



الرسم البياني يوضح المقارنة بين مناطق المواد الصحفية التي تبرز شخصية الملك فيصل.

٧ - اهتمام الملك فيصل بالشؤون الداخلية:

يهدف التساؤل السابع إلى معرفة مدي اهتمام الملك فيصل بالشؤون الداخلية قدر اهتمامه بكل جانب على حدة، ويوضح الجدول رقم (٧) ما يلي:

نال الاهتمام بالتنمية الاقتصادية على المستوى المحلي بوصفه جزءاً من الاهتمام بالشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية المرتبة الأولى بنسبة (٣١,٧٪)، فقد اهتمت الصحف السعودية برصد ملامح التنمية الاقتصادية التي أحدثها الملك فيصل على المستوى الداخلي بهدف إبراز شخصية الملك فيصل، فعلى سبيل المثال خصصت صحف الوطن، والجزيرة، والاقتصادية مساحات كبيرة نشرت فيها ما شهدته المملكة العربية السعودية من تنمية اقتصادية في عهد الملك فيصل .

واحتلت المرتبة الثانية التنمية الاجتماعية على المستوى المحلي بوصفه جزءاً من الاهتمام بالشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية بنسبة (٢٢,٥٪)، وتتضمن التنيمة الاجتماعية الاهتمام بكل المؤسسات الاجتماعية داخل المملكة العربية السعودية، فقد اهتم الملك فيصل بالتنمية الاجتماعية وظهر ذلك جلياً في تغطية الصحف السعودية خصوصاً صحيفتي الحياة واليوم.

وحاز الاهتمام بالأنظمة التجارية على المستوى المحلي بوصفه جزءاً من الاهتمام بالشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية المرتبة الثالثة بنسبة (١٥,٥٪)، فقد اهتمت الصحف السعودية بنشر الموضوعات الخاصة بتنمية الأنظمة التجارية داخل المملكة العربية السعودية وذلك سعياً وراء إبراز شخصية الملك فيصل.

وجاء في المرتبة الرابعة الاهتمام بالتعليم في المملكة العربية السعودية وذلك بنسبة (١٤,١٪) . فقد اهتم الملك

فيصل بالتعليم فأنشأ المدارس والجامعات واهتم بمنظومة التعليم ككل كما اهتم بالثقافة ونشرها داخل المملكة وقد انعكس ذلك على تغطية الصحف السعودية خصوصاً جريدتي المدينة والشرق الأوسط.

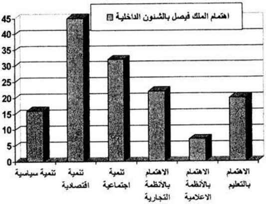
وحلت التنمية السياسية على المستوى المحلي بوصفها جزءاً من الاهتمام بالشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية المرتبة الخامسة بنسبة (١١,٣٪)، فعلى الرغم من التنمية السياسية التي شهدتها المملكة العربية السعودية إلا أن الصحف السعودية لم تهتم بهذا الجانب بالقدر الكافي، فقد رصد ردود أفعال قليلة ولم تذكر الأحداث المتعلقة بها.

وحاز الاهتمام بالأنظمة الإعلامية في المملكة العربية السعودية المرتبة السادسة بنسبة (٤,٩٪)، ولم تتطرق الصحف السعودية إلا بشكل طفيف إلى التنمية التي شهدتها الأنظمة الإعلامية داخل المملكة العربية السعودية وما حققه الملك فيصل من إنجازات على المستوى المحلي في مجال الإعلام .

جدول رقم (٧)

اهتمام الملك فيصل بالشؤون الداخلية

اهتمام الملك فيصل بالشؤون الداخلية	التكرار	النسبة	الترتيب
تنمية سياسية	١٦	١١,٣٪	٥
تنمية اقتصادية	٤٥	٣١,٧٪	١
تنمية اجتماعية	٣٢	٢٢,٥٪	٢
الاهتمام بالأنظمة التجارية	٢٢	١٥,٥٪	٣
الاهتمام بالأنظمة الاعلامية	٧	٤,٩٪	٦
الاهتمام بالتعليم	٢٠	١٤,١٪	٤
المجموع	١٤٢	١٠٠٪	



الرسم البيان يوضح المقارنة بين الملك فيصل بالشؤون الداخلية المستخدمة في إبراز شخصية الملك فيصل.

٨ - اهتمام الملك فيصل بالشؤون الخارجية:

يهدف التساؤل الثامن إلى معرفة مدى اهتمام الصحف السعودية برصد ملامح اهتمام الملك فيصل بالشؤون الخارجية ، لمحاولة إبراز شخصية الملك فيصل، يوضح الجدول رقم (٨) ما يلي :

جاء في المرتبة الأولى اهتمام الملك فيصل بالعلاقات الخارجية مع الدول العربية بنسبة (٣١,٨٪) ، فقد اهتم الملك فيصل كثيراً بتحسين العلاقات مع الدول العربية بشكل عام وجاء ذلك من خلال جهود كثيرة عاشتها الشعوب العربية ولمسها الملوك والرؤساء في هذه الدول وفي إطار اهتمام الصحف السعودية بإبراز شخصية الملك فيصل رصدت هذا الاهتمام وخصصت له مساحات كبيرة.

ونال اهتمام الملك فيصل بالقضية الفلسطينية المرتبة الثانية بنسبة (٣٠,٤٪) ، لقد خصصت الصحف

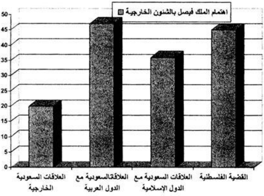
السعودية مساحات كبيرة ترصد فيها جهود الملك فيصل التي بذلها من أجل القضية الفلسطينية .

وحاز اهتمام الملك فيصل بالعلاقات الخارجية مع الدول الإسلامية المرتبة الثالثة بنسبة (٢٤,٣٪) ، فقد كان الشغل الشاغل للملك فيصل توحيد الدول الإسلامية والارتقاء بها من أجل رفعة الإسلام ومن خلال ذلك اهتم كثيراً بتعضيد العلاقات السعودية مع الدول الإسلامية وتقوية هذه لعلاقات وقد اهتمت الصحف السعودية برصد هذه الجهود لإبراز شخصية الملك فيصل في الصحف السعودية . جاء في المرتبة الرابعة اهتمام الملك فيصل بالعلاقات السعودية الخارجية بنسبة (١٣,٥٪)، يذكر للملك فيصل أنه كان صديقاً لمعظم الدول الأجنبية لكنه لم يرهن سياسة بلده إلى أي دولة ولم يرضخ في يوم ما إلى الدول الأجنبية مهما كانت قوتها وكان دائما يفعل ما يعود بالنفع على المملكة والعالم العربي ككل وقد رصدت الصحف السعودية هذه الجهود ولكنها خصصت لها مساحات قليله مقارنة بهذه الجهود .

جدول رقم (٨)

اهتمام الملك فيصل بالشئون الخارجية

اهتمام الملك فيصل بالشؤون الخارجية	التكرار	النسبة	الترتيب
العلاقات السعودية الخارجية	٢٠	١٣,٥٪	٤
العلاقات السعودية مع الدول العربية	٤٧	٣١,٨٪	١
العلاقات السعودية مع الدول الإسلامية	٣٦	٢٤,٣٪	٣
القضية الفلسطينية	٤٥	٣٠,٤٪	٢
المجموع	**١٤٨**	**١٠٠٪**	



الرسم البياني يوضح المقارنة بين أهتمام الملك فيصل بالشؤون الخارجية.

٩ - الاهتمام بالصفات الشخصية للملك فيصل :

يهدف التساؤل التاسع إلى معرفة مدي اهتمام الصحف السعودية بالصفات الشخصية للملك فيصل من خلال نشر الموضوعات التي تهدف إلى إبراز شخصية الملك فيصل، ويوضح الجدول رقم (٩) ما يلي :

حاز اهتمام الصحف السعودية بصفة زهد الملك كجزء من شخصية الملك فيصل التي تسعي إلى إبرازها المرتبة الاولى بنسبة (٢٧,٧٪) ، وجاء في المرتبة الثانية اهتمام الصحف السعودية بصفة قيادة الرجل كجزء من شخصية الملك فيصل التي تسعى إلى إبرازها بنسبة (٢٠,٣٪).

وحل في المرتبة الثالثة اهتمام الصحف السعودية بصفة نبوغ الطفل كجزء من شخصية الملك فيصل التي تسعي إلى إبرازها بنسبة (١٤,٢٪)، جاء في المرتبة الرابعة اهتمام الصحف السعودية بكلا من شجاعة فتي و حكمة شيخ كأجزين من شخصية الملك فيصل التي تسعي هذه الصحف إلى إبرازها بنسبة ١٣,٥٪).

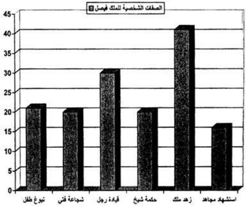
وجاء في المرتبة الخامسة اهتمام الصف السعودية باستشهاد المجاهد كجزء من شخصية الملك فيصل التي تسعي الصحف السعودية إلى إبرازها بنسبة (١٠,٨٪) .

وقد نشرت الصحف السعودية هذه الصفات وخصصت مساحات لها من خلال الحوارات التي أجرتها مع أبناء الملك فيصل، وقصائد الشعر التي ألقاها الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز خلال افتتاح الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل.

جدول رقم (٩)

الاهتمام بالصفات الشخصية للملك فيصل

الصفات الشخصية للملك فيصل	التكرار	النسبة	الترتيب
نبوغ طفل	٢١	١٤,٢٪	٣
شجاعة فتي	٢٠	١٣,٥٪	٤
قيادة رجل	٣٠	٢٠,٣٪	٢
حكمة شيخ	٢٠	١٣,٥٪	٤
زهد ملك	٤١	٢٧,٧٪	١
استشهاد مجاهد	١٦	١٠,٨٪	٥
المجموع	١٤٨	١٠٠٪	



الرسم البياني يوضح المقارنة بين الأهتمام بالصفات الشخصية للملك فيصل.

الخاتمة:

١ – أوضحت نتائج الدراسة تخصيص الصحف السعودية التي تصدرباللغة العربية مساحات مناسبة للموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل ، باعتبارموضوع الدراسة موضوع تنموي مهم ينبغي التركيز عليه ومنحه التغطية المناسبة ، وهي تقوم بهذا الدور تؤكد التزام الوسائل الإعلامية المحلية المطبوعة في المملكة بمبادئ السياسة الإعلامية العربية السعودية، والتي تؤكد ضمن بنودها على ضرورة عناية وسائل الإعلام السعودية بدفع عجلة التنمية والتعاون مع المؤسسات المختصة في هذا المجال .

٢ – أظهرت نتائج الدراسة اهتمام الصحافة السعودية بالموضوعات(القضايا) التي تبرز شخصية الملك فيصل، وكل ما يرتبط بذلك باعتبارها قضية سياسية، اقتصادية، اجتماعية ، من خلال تكثيف التغطية الصحفية لها والتركيز على جوانب التوعية الخاصة بها والعمل على تخفيف أسباب الجهل بها ، ونشر تاريخ الملك فيصل وإنجازاته ومواقفه التاريخية الحاسمة وصفاته الشخصية والتعريف بها داخل المجتمع السعودي ، كل هذا يعد إحدى الوسائل التي تدفع عجلة التنمية داخل المملكة العربية السعودية.

٣ – بقدر ما يحسب للصحافة السعودية التي تصدر باللغة العربية بتقدير شديد اهتمامها بالموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل، إلا أنه ومن خلال نتائج تحليل المضمون اتضح عدم التنويع في استخدام الفنون والقوالب الصحفية التي استخدمتها هذه الصحف في معالجة الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل، فالخبر الصحفي جاء بنسبة ضئيلة جداً (٢٠,٢٪) مقارنة بأهمية الخبر الصحفي ودروه ، وأيضاً مقارنة

بأهمية شخصية الملك فيصل، كما يعاب على الصحف السعودية عدم استخدامها لفن التحقيق الصحفي والقصة الإخبارية والصور الإخبارية وكل هذا يجسد قصور من جانب هذه الصحف في تأدية دورها الخبري والإعلامي وإعطاء شخصية الملك فيصل المساحة والقدر التي يستحقها، أما ما يحسب للصحف السعودية عدم استخدامها للإعلانات مما يضفي مصداقية للمادة الصحفية وعدم الشك في تدخل أي قوى تتحكم في المضمون الذي تحمله هذه الصحف.

٤ - وفقاً لما توصلت إليه الدراسة نجد أن الصحف السعودية اعتمدت بشكل كلي على المراسلين والمحررين والكتاب داخل كل جريدة وذلك بنسبة (١٠٠٪)، وهذا يتناسب مع طبيعة التغطيات الصحفية التي اعتمدت عليها كل الجرائد السعودية بشكل كلي، ولكن ما يحسب على الصحف السعودية في هذه النقطة عدم التنوع في استخدام المصادر، وما للتنوع من أهمية كبيرة في إضفاء مصداقية على المضمون الذي تنشره وأيضاً تدعيم الأحداث وتناول الأخبار من كافة الجوانب .

٥ - توصلت نتائج الدراسة أيضاً إلى أن الصحف السعودية لم تعتمد على استخدام الصور والرسوم الإيضاحية وذلك بنسبة (٣٧,٢٪) وهذا خطأ إخراجي وصحفي ومهني وقعت فيه الصحف السعودية على اختلافها، واعتمدت على الصور الشخصية بنسبة (٣٥,٩٪) ويعد كثرة استخدام الصور الشخصية خطأ إخراجي كان ينبغي على الصحف السعودية ألا تقع فيه، وقد نوعت الصحف السعودية في استخدام الصور الموضوعية في إطار ضيق بنسبة (٢٦,٩٪)، أما بالنسبة للرسوم الإيضاحية فإن الصحف السعودية لم تستخدمها مطلقاً وهذا يتناسب مع طبيعة التغطيات الصحفية وطبيعة الموضوعات التي تعالجها هذه الصحف .

٦ - فيما يخص العناوين الصحفية الخاصة بالموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل فقد توصلت الدراسة إلى أنه جاء في المرتبة الأولى إخراج عناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل على ثلاثة أعمده بنسبة (٣١,٢٪) وإخراج العناوين على ثلاثة أعمدة لا تتناسب مع الأهمية التي تمثلها شخصية الملك فيصل وأهمية إبراز العناوين بشكل أكبر يناسب مع أهمية الموضوعات وقد جاء في المرتبة الثانية إخراج عناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل على أربعة أعمدة بنسبة (٢٤,١٪) واستخدام العناوين بمساحة أربعة أعمدة يتناسب مع استخدام الصحف للتقارير الصحفية ، كما جاء عدم استخدام الصحف للعناوين بنفس النسبة، وعدم استخدام العناوين يعد جانب سلبي وخطأ صحفي وإخراجي وقعت فيه الصحف السعودية وقد جاء في المرتبة الثالثة إخراج عناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل على عمودان بنسبة (١٤,٩٪) واستخدام العناوين الصحفية بمساحة عمودان جاء فقط مع المقالات الصحفية وهذا يتناسب مع المساحة الكلية للمقال الصحفي والمكان المخصص له وطريقة إخراج المقالات الصحفية. وقد جاء في المرتبة الرابعة إخراج عناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل على أكثر من خمسة أعمدة بنسبة (٣,٨٪) وقد خصصت الصحف السعودية هذه النسبة للعناوين التي تنشر بعرض الصفحة وهذا يتناسب تماما مع أهمية الموضوعات التي تتناول شخصية

الملك فيصل وتهدف لإبرازها، ولكن كان هذا الاستخدام محدود وفي حيز ضيق وقد جاء في المرتبة الخامسة إخراج عناوين المواد الصحفية التي تتناول شخصية الملك فيصل على عمود واحد بنسبة (١,٩٪) واستخدام عناوين على مساحة عمود واحد يتمثل في اعتماد الصحف السعودية على العناوين الانسيابية والتي تحتل مساحة عمود واحد واستخدامها في الحوارات الصحفية التي تنشرها الجريدة، ومن مميزات استخدام العناوين الانسيابية أنها تلفت انتباه القارئ وتغير من الشكل النمطي التقليدي المعتاد للعناوين.

٧ – توصلت نتائج الدراسة إلى أن الصحف السعودية خصصت للموضوعات الصحفية التي تبرز شخصية الملك فيص مواقع متنوعة داخل صفحاتها، فقد توصلت النتائج إلى نشر المواد الصحفية التي تهدف إلى إبراز شخصية الملك فيصل في الصفحات المتخصصة بنسبة (٥٣,١٪) وقد تمثلت الصفحات المتخصصة في صفحة الأخبار المحلية وصفحة التحقيقات وصفحات مخصصة للتغطيات الصحفية وكل ذلك يتفق مع عدد التغطيات الصحفية التي نشرتها الصحف السعودية، و نشر المواد الصحفية التي تهدف إلى إبراز شخصية الملك فيصل في الصفحات الداخلية بنسبة (٣٣,١٪) ، يعد نشر الأخبار الخاصة بشخصية الملك فيصل في الصفحات الداخلية من الأخطاء الصحفية التي اقترفتها الصحف السعودية، فالملك فيصل شخصية لها أهمية خاصة يجب أن تحتل الصفحات الأولى، ونشر المواد الصحفية التي تهدف إلى إبراز شخصية الملك فيصل في الصفحة الأولى بنسبة (٢٣,٥٪) ، واستخدام الصفحة الأولى في نشر الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل يتناسب مع قدر أهمية الملك فيصل فالصفحة الأولى هي المكان المناسب ولكن كان ينبغي أن تستخدم الصفحات الأولى بقدر أكبر وبمساحات أوسع، وكان نشر المواد الصحفية التي تهدف إلى إبراز شخصية الملك فيصل في الصفحة الأخيرة بنسبة (١,٣٪)، الصفحة الأخيرة لها قدرة كبيره على إبراز الأخبار، لذا استخدمتها الصحف السعودية في إبراز الموضوعات التي تهدف إلى إبراز شخصية الملك فيصل.

٨ – أظهرت نتائج الدراسة المناطق الصحفية الوارد منها الموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل ونشرتها هذه الصحف ، حيث إن معظم الموضوعات الصحفية كانت تنتمي إلى منطقة المملكة العربية السعودية وذلك بنسبة (٩٤,٤٪) ، وقد جاءت هذه النسبة لتوضح اهتمام الصحف السعودية بإبراز شخصية الملك فيصل من خلال رصد ملامح هذه الشخصية داخل المملكة العربية السعودية، بعد ذلك جاءت الموضوعات التي تنتمي إلى منطقة دول عربية أخرى بنسبة (٥,٦٪) ، وجاء ذلك من خلال بعض الحوارات التي أجرتها الصحف السعودية مع بعض الشخصيات الهامة في الدول العربية الأخرى ومثال على ذلك الحوار الذي أجرته جريدة اليوم مع رئيس وزراء مصر الأسبق، وقد أجري هذا الحوار في القاهرة، أما مناطق الدول الإسلامية الأخرى ومنطقة دول العالم الأخرى ودول مجلس التعاون الخليجي فقد احتلت المرتبة الثالثة والأخيرة ولم تمثل أي نسبة فلم تنقل الصحف السعودية أي أحداث من هذه المناطق، وهذا يفقد هذه الصحف صفتي العالمية والتنوع.

٩ – فيما يخص اهتمام الصحف السعودية باهتمام الملك فيصل بالشؤون الداخلية، فقد توصلت الدراسة إلى

أن الاهتمام بالتنمية الاقتصادية على المستوى المحلي كجزء من الاهتمام بالشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية جاء ذلك بنسبة (٣١,٧٪) ، فقد اهتمت الصحف السعودية برصد ملامح التنمية الاقتصادية التي أحدثها الملك فيصل على المستوى الداخلي بهدف إبراز شخصية الملك فيصل، فعلى سبيل المثال، خصصت صحف الوطن والجزيرة والاقتصادية مساحات كبيرة نشرت من خلالها ما شهدته المملكة العربية السعودية من تنمية اقتصادية في عهد الملك فيصل، و التنمية الاجتماعية على المستوى المحلي كجزء من الاهتمام بالشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية وقد جاء ذلك بنسبة (٢٢,٥٪) ، وتتضمن التنمية الاجتماعية الاهتمام بكل المؤسسات الاجتماعية داخل المملكة العربية السعودية ، فقد اهتم الملك فيصل بالتنمية الاجتماعية وانعكس ذلك بشكل واضح على تغطية الصحف السعودية خاصة صحيفتي الحياة واليوم، وحقق الاهتمام بالأنظمة التجارية على المستوى المحلي كجزء من الاهتمام بالشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية نسبة (١٥,٥٪) ، فقد اهتمت الصحف السعودية بنشر الموضوعات الخاصة بتنمية الأنظمة التجارية داخل المملكة العربية السعودية وذلك سعيا وراء إبراز شخصية الملك فيصل، وفإن الاهتمام بالتعليم على المستوى المحلي كجزء من الاهتمام بالشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية نسبة (١٤,١٪) ، فقد اهتم الملك فيصل بالتعليم فأنشاء المدارس والجامعات واهتم بمنظومة التعليم كما اهتم بالثقافة ونشرها داخل المملكة وقد انعكس ذلك على تغطية الصحف السعودية خصوصاً جريدة المدينة وجريدة الشرق الأوسط، وحازت التنمية السياسية على المستوى المحلي كجزء من الاهتمام بالشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية نسبة (١١,٣٪) ،بالرغم من التنمية السياسية التي شهدتها المملكة العربية السعودية إلا أن الصحف السعودية لم تهتم بهذا الجانب بالقدر الكافي فقد رصدت ردود أفعال قليلة ولم تذكر الأحدث، وحقق الاهتمام بالأنظمة الإعلامية كجزء من الاهتمام بالشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية وذلك نسبة (٤,٩٪) ، إذ لم تتطرق الصحف السعودية إلا بشكل طفيف إلى التنمية التي شهدتها الأنظمة الإعلامية في المملكة العربية السعودية وما حققه الملك فيصل من إنجازات على المستوى المحلي في مجال الإعلام.

١٠- توصلت الدراسة إلى أن الصحف السعودية اهتمت بالشؤون الخارجية التي حقق الملك فيصل فيها إنجازات كبيرة ؛ حيث جاء في الصحف اهتمام الملك فيصل بالعلاقات الخارجية مع الدول العربية بنسبة (٣١,٨٪) ، فقد اهتم كثيراً الملك فيصل بتحسين العلاقات مع الدول العربية بشكل عام وجاء ذلك من خلال جهود كبيرة على هذا الصعيد ، وفي إطار اهتمام الصحف السعودية بإبراز شخصية الملك فيصل رصدت هذا الاهتمام وخصصت له مساحات كبيرة، ونال اهتمام الملك فيصل بالقضية الفلسطينية نسبة (٣٠,٤٪) ، لقد خصصت الصحف السعودية مساحات كبيرة ترصد فيها جهود الملك فيصل التي بذلها من أجل القضية الفلسطينية وقد اهتمت معظم الصحف السعودية برصد هذه الجهود، وحاز اهتمام الملك فيصل بالعلاقات الخارجية مع الدول الإسلامية نسبة (٢٤,٣٪) كان الشغل الشاغل للملك فيصل

توحيد الدول الإسلامية والارتقاء بها من أجل رفعة الإسلام ومن خلال ذلك اهتم كثيراً لتوطيد العلاقات السعودية مع الدول الإسلامية وتقوية هذه العلاقات وقد اهتمت الصحف السعودية برصد هذه الجهود لإبراز شخصية الملك فيصل في الصحف السعودية، واهتمام الملك فيصل بالعلاقات السعودية الخارجية بنسبة (١٣,٥٪) ، يذكر للملك فيصل انه كان صديقاً لمعظم في الدول الأجنبية لكنه لم يرهن سياسة بلده إلى أي دولة ولم يرضخ في يوم ما إلى الدول الأجنبية مهما كانت قوتها وكان دائما يفعل ما يعود بالنفع على المملكة والعالم العربي وقد رصدت الصحف السعودية هذه الجهود ولكنها خصصت لها مساحات قليله مقارنة بهذه الجهود.

توصيات الدراسة:

١ – تشير الدراسة إلى أن الصحف المحلية لم تبد العناية الكافية بالموضوعات التي تبرز شخصية الملك فيصل، ولم تستخدم أسلوب المبادرة في إعداد الموضوعات الإعلامية المرتبطة بهذا الجانب حيث يلاحظ اعتماد الصحف بشكل كبير على ما يرسل لها من بعض الجهات؛ لذا فقد يكون من المناسب لتلك الصحف تغيير أسلوب معالجتها في هكذا مناسبة، والاعتماد على التحليل الموضوعي لشخصية الملك فيصل ومحاولة ربط الأحداث الآنية بمواقف الملك فيصل التاريخية حتى تكون الاستفادة عملية وأكثر التصاقاً بالواقع.

٢ – قد يكون من المناسب أن يعهد إلى الصحفيين المختصين أو ذوي الخبرة والمعرفة بجوانب إبراز شخصية الملك فيصل وما يرتبط بها من تغطية الأنشطة المختلفة لتلك الشخصية، والإعداد والإشراف علي المواد الإعلامية الخاصة بها حرصاً على دقة المعلومات المنشورة وعمق طرحها.

٣ – تقترح الدراسة تكثيف عناية الصحف السعودية الصادرة باللغة العربية بإبراز جوانب شخصية الملك فيصل، والتي توضح الجوانب المختلفة للشخصية و مختلف الأنشطة والخدمات التي يقدمها الملك فيصل سواء على المستوى المحلي أو المستوى العالمي.

٤ – تشير الدراسة إلى تركيز الصحف على بعض الصفات الشخصية للملك فيصل مثل نبوغ طفل وزهد ملك وقيادة رجل، ولذا يوصى الباحث بضرورة التركيز على باقي جوانب الشخصية مثل شجاعة فتى و حكمة شيخ واستشهاد مجاهد.

المراجع العربية

١ – آل سعود، نايف بن ثنيان بن محمد، "معالجة القضايا الاجتماعية في الصحافة الخليجية: دراسة تقويمية مقارنة لعينة من الصحف اليومية فى دول الخليج العربية"، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ.

٢ – محمد حسين، سمير : تحليل المضمون وتطبيقاته العملية، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨م .

٣ – عبدالحميد ، محمد : البحث العلمي في الدراسات الإعلامية؛ القاهرة عالم الكتب، ٢٠٠٠م.

٤ – خليل ، محمود : تكنولوجيا برامج التحليل العلمى ببحوث الاعلام؛ القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

٥ – حجاب ، محمد منير : أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية.- ط٢ .- القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

نظرة المستشرقين للتراث الجغرافي العربي الإسلامي

مساعد بن عبدالرحمن الجخيدب

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية - جامعة القصيم

ملخص:

ظهرت أبواق في المجتمعات الغربية تهمش دور الحضارة الإسلامية على البناء المعرفي في تلميح لطمس مساهمتها الفاعلة، وشاركهم في ذلك بعض المغتربين ممن ليس له حض في الاطلاع على كتب التراث الإسلامي بجميع فنونها المعرفية. وإن هذه الفرية أو الاعتقاد قد تترسخ لدى أوساط الأجيال في المستقبل عبر بوابة العولمة الأحادية التي تضخ مرئياتهم في عصر تلاشت فيه الحدود المكانية للمعرفة المحلية أو الإقليمية. وهذه الأطروحات أصلاً نابعة عن عداء للإسلام ترمي إلى زعزعة الثقة في الجذور التاريخية لتراثه وحضارته تمهيداً للنيل من مبادئه التي يمكن الوصول إليها عبر هذا المدخل.

وفكرة هذا البحث تهدف إلى بيان أن المعرفة الإسلامية غنية بالشواهد التي تدحض هذه الشبه في نموذج واحد من ميادين المعرفة وهو الجغرافيا في تتبع مجمل لدراسة علماء أوربيين (المستشرقون) نهلوا من المعرفة الإسلامية ما تعجز الأبحاث في تسطيره فضلاً عن الإحاطة به. وارتبطت تلك الدراسات بمجموعات ضخمة من الإنتاج العلمي الصادر عن المعاهد الشرقية. وقامت الدراسات الاستشراقية باستعراض الجهود التي قدمها علماء المسلمين في جل ميادين المعرفة بما فيها الجغرافية. وركزت على الجانب الجغرافي سواءً ما يخص الظواهر الكونية والأرضية والبشرية في ربط علمي بين تفسيرات المصنفين المسلمين وبين ما توصلت إليه الحضارة في العصر الحديث. ومن المؤمل أن تعطي تلك الدراسة رؤية أولية للمتخصصين في ميادين المعرفة (النظرية، والتجريبية) لإظهار المساهمة الفعلية للمعرفة الإسلامية كل في تخصصه.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول آلية تثبت مكانة المعرفة الجغرافية الإسلامية لدى المجتمعات الأوربية ودورها الرائد في تطور الجغرافيا الحديثة في أوروبا، وهذا لا يتضح بسرد الأعمال الجغرافية أو الاكتشافات التي قام بها رواد الجغرافية في القرون الوسطى؛ بل يتطلب الأمر إلى شهادات علماء من أوروباذ من بني القوم الذين لم يعترفوا بحضارة المسلمين وبخسوها حقها - وهم المستشرقون الأوربيون، حيث جاءت مؤلفاتهم في الشأن الجغرافي خير شاهد وأقوى دليل على مكانة المعرفة الجغرافية لأحفادهم من علماء الغرب في العصر الحالي.

وتحاول الدراسة إيجاد قناة ربط علمي بين الاستشراق ونمو المدرسة الجغرافية الأوربية سواءً في ألمانيا أو فرنسا أو بريطانيا من خلال الوقوف على فلسفة واهتمامات المستشرقين بالكتب الجغرافية الإسلامية والمراحل التي مر بها التحليل العلمي لما جاء فيها وانعكاس ذلك على الاتجاهات العلمية لكتب المستشرقين مع عرض وتمحيص لبعض الأخطاء المنهجية في بعض كتب المستشرقين الجغرافية. ولعل في تلك المحاور البحثية

ما يغني في علاج المشكلة وبيان جدارتها الدراسية للمتخصصين.

أهداف الدراسة:

بعد عرض الجوانب العامة في الموضوع المراد استعراضه وتأطير المشكلة التي يتناولها يبقى تعيين الأهداف التي يحاول البحث تحقيقها ليتسنى الوصول إلى نتائج تظهر بعد العرض العلمي. ويمكن إجمال خمسة أهداف يمكن أن تغطي أبرز جوانب المشكلة وهي:

١ – بيان أن الفلسفة الاستشراقية للمعرفة الجغرافية في صورتها العامة مبنية على الانتقاء.

٢ – الكشف عن الأسباب التي أسهمت في نقل المعرفة الجغرافية منذ فترة مبكرة.

٣ – استعراض اهتمام المستشرقين بالرحلات، باعتبارها لون من المعرفة الاستشراقية.

٤ – قياس الأصالة العلمية في المحتوى العلمي لكتب المستشرقين الجغرافية.

٥ – تحديد الاتجاهات العلمية في كتب المستشرقين.

منهج الدراسة:

المنهج هو الطريقة التي يتم بها معالجة المشكلة في ضوء الأهداف المرسومة، ومما يتناسب مع هذا الدراسة الاستقراء والاستنباط المبني على العرض التحليلي. والدراسة لن تتبع الأسلوب الاستقصائي بقدر ما هي موجة إلى سياق الأدلة وسرد البراهين القادرة على استنطاق بعض الشواهد من الدراسات الاستشراقية في الجغرافية. ويمكن للتعليل الجغرافي أن يفتح آفاق علمية للقارئ في اكتشاف بعض المداخلات المعرفية بين كتب المصنفات الجغرافية التراثية وما استندت إليه كتب الاستشراق في استنباط المعلومات من الأصل الجغرافي.

ويساعد الاتجاه الوصفي في مثل تلك الدراسات على الإحاطة بالمعلومة وإمكانية اختزالها تمهيداً لعرضها على الرؤية الجغرافية الثابتة عند عموم الجغرافيين حتى لا يكون للتحيز التحليلي طريقاً إليها وليتجرد البحث من اتباع الهوى العلمي غير الهادف. كما يمكن الاستناد إلى مرئيات بعض الباحثين في تقوية الأحكام على ما جاء في بعض الدراسات الاستشراقية من معلومات لا تتفق مع الواقع الجغرافي للمحيط أو الحيز المكاني التي كتبت عنه حتى وإن قامت في أجزاء منها على أسلوب ميداني بما عرف برحلات المكتشفين. وتمت الاستفادة من المدخل التاريخي في وضع المبررات العلمية للهنات التي وقعت بها بعض الكتب الاستشراقية، خاصة وأن عامل الزمن بالنسبة لعلماء أوربا غيَّر مقدار الاستيعاب والطرح العلميين في كتاباتهم ما بين القرن الخامس عشر والقرن العشرين حتى أصبح النضج أكثر في كتابات المعتدلين.

ظهور كتب المستشرقين الجغرافية:

يرى أكثر المهتمين بالدراسات الاستشراقية [١] أن المستشرقين لهم أهداف مبطنة، ويذكر الجندي في هذا الموضوع "إن من أخطر ما يواجه المثقفين المسلمين اليوم أن يجدوا بين أيديهم موسوعات ومؤلفات تقدم لهم الفكر الإسلامي من وجهة نظر غربية نصرانية تختلف اختلافاً أساسياً عن مفهوم الإسلام الأصيل"[٢] وهذا النهج قائم حتى العصر الحاضر، حيث لا تزال طائفة منهم تسير على ذات المنهج الذي رسمه أسلافهم لخدمة النصرانية من خلال دراساتهم للإسلام والعلوم والثقافة وتراث المسلمين[٣]. إلا أن السؤال لماذا استعاض أبناء المسلمون بكتب المستشرقين عن المصنفات التي كتبها أجدادهم؟ إن الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى بحث أصيل يجمع بين العوامل والأسباب ويوفق بين الأهداف والغايات. ولعل من أسباب تفشي الكتابات الاستشراقية في العالم العربي

الفراغ المعرفي الذي حل بالدول العربية في العصور المتأخرة، لاسيما وأن مخطوطات المصنفات المعرفية بما فيها الجغرافية كانت تقبع في المتاحف الغربية. فأصبحت الدراسات والتحقيقات لها مقتصرة على المستشرقين في البداية إلى أن ظهر جيل من العلماء في الجامعات العربية بتحقيق بعض منها. ويعد تأخر تطور طباعة الكتب في الدول العربية سبب في أن تلقى الكتب الاستشراقية مكاناً لها لدى أوساط المثقفين.

فلسفة المستشرقين في الكتابة الجغرافية:

بدأ إنتاج المستشرقين في فترة مبكرة. فلم يكد ينتهي القرن الثاني عشر إلا وقد تبنت المراكز الثقافية في كل من فرنسا وإيطاليا وما جاورهما من بلدان تدريس العلوم العامة والحساب ... وأهملت على ضوئها دراسة الآثار الأدبية اليونانية إهمالاً يكاد يكون تاماً[(٤)]. وكان القرن الثاني عشر بداية جادة عندما ترجم القرآن إلى اللاتينية بشكل غير دقيق إلا أن هذا هو الأساس في توسع الترجمة؛ حيث أدرك الأوربيون ما لدى العرب والمسلمين من معارف وعلوم جديرة بالاطلاع. وكانت الترجمة للمصنفات الجغرافية في بداياتها - كغيرها من العلوم - ذات ضعف في النقل وتشويه في المضمون ويتضح ذلك بالخصائص التالية:

١ - الاعتماد على الشاذ في إصدار الأحكام مما يجعل المصداقية منتفية في دراسة كثير من الظاهرات.

٢ - الأخذ عن مصادر غير مباشرة من تقارير خاصة بالبعثات أو مرويات المكتشفين في رحلاتهم الجغرافية أو ما شابهها، وهذا ما قد يضاعف من تراكم الأخطاء.

٣ - عدم الاكتراث بمقدسات الشعوب الإسلامية وعاداتها وتقاليدها، وربما يصل الأمر إلى الاستخفاف بها تحت مظلة حرية الرأي والتعبير، وهذا ما حدا بالقراء العرب إلى مقت تلك الكتابات والرد عليها.

٤ - ضعف اللغة يجعل الوصف والكتابة مشوبة بالأخطاء الفاحشة في المسميات المكانية، إضافة إلى صعوبة فهم الألفاظ المرتبطة بالظاهرة الجغرافية. ويتعاظم ذلك الأمر عندما قام المستشرقون بدراسات ميدانية ولجهل أغلبيتهم باللغة العربية اعتمدوا على المترجمين من أبناء البلد نفسه؛ ومن هنا لم تكن صلتهم بالوسط الاجتماعي مباشرة وإنما كانت تمر بوسطاء (أغلبهم أميين بأتم ما تعنيه الكلمة) ولذا فإن ملكاتهم العلمية في ميدان البحث كانت محدودة جداً[(٥)].

٥ - توظيف المعلومات الجغرافية لأغراض غير علمية، بالاستفادة منها في التعاملات الرسمية أو التبشيرية، وهذا يتوافق مع الاتجاه الذي يرى أن الاستشراق هدفه السيطرة على الأراضي العربية والإسلامية والتحكم بها.

٦ - يسلك بعض الرحالة المستشرقين في دراساتهم المباشرة (الميدانية) للأماكن المختلفة الرؤية المحصورة، ويكون بالاعتماد على مجموعة أفراد يتم اختيارهم كدلائل ومصادر للمعلومة.

٧ - معالجة بعض الظاهرات الجغرافية لاسيما الاجتماعية منها بمنهجية غربية لا تتفق مع المعطيات والواقع الفعلي لبيئة المشرق الإسلامي؛ ونتج عن ذلك فساد في التحليل.

تأثير الكنيسة على الكتابات الاستشراقية الجغرافية

خشي باباوات الكنيسة منذ بداية الاتصال المعرفي بين المسلمين والغرب - إبان القرن الثاني عشر الميلادي - من فقدان مراكزهم القيادية في المجتمعات الأوربية بعد

ظهور بوادر تأثير الحضارة الإسلامية على أوروبا برمتها مما سيجعل انتشار الإسلام يسيراً في ربوع الأقاليم النصرانية، ولمعالجة ذلك شنت حملة التطهير النصراني التي مهدت لظهور محاكم التفتيش. وانطلاقاً من تلك الإجراءات الصارمة أصبح الأخذ من كتب المستشرقين المحايدين صعباً، خاصة ما يتعلق بالشريعة الإسلامية. ورغم أن العلوم البحتة بما فيها الجغرافية كانت بعيدة عن سلطة الكنيسة إلا أنها لم تخلو من بعض التشويه للأحكام الجغرافية وخدمة الكنيسة في أهدافها التبشيرية من ذلك:

١ - اجتزاز النص عند الاستدلال: يرد في كثير من كتابات المستشرقين خاصة في لعلوم الإسلامية هذه الطريقة، وسار على هذا بعض المستشرقين -ذوي الاتجاه الجغرافي - في كتاباتهم؛ فمثلاً أورد بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية اجتزازاً في نص حديث الراعي والرعية عندما أهمل في شرح مضمون الحديث والتركيز على الرعية موضحاً أن العرب هم الذين يمثلون الطبقة الحاكمة أما الأعاجم فهم الرعية أو القطيع محاولاً تصويرهم أنهم ينظرون إلى الأعاجم نظرة القطيع، وهذا الاستنتاج لديه ربما عززه توالي العرب على مقاليد الخلافة الأموية والعباسية، مع إهماله لأصول الدويلات التي تعايشت معها.

٢ - تضخيم الشاذ وتصويره بالسائد: كان تصويرهم للشعوب العربية والإسلامية بالسذاجة وهو ما يرونه في كرم الضيافة، ومساعدة الغرباء للرحالة منهم ما جعل الكثير منهم يرى أن تلك الطيبة سذاجة تسمح بأن تنفذ النصرانية في أوساطهم، وهذا ما حمل الكنيسة على بذل الأموال وحشد الجهود لنشر النصرانية في بلاد المسلمين، وهذا ما أثبت الزمن صعوبة فضلاً عن نجاحه.

٣ - تصوير المفاهيم الخاطئة بصور مختلفة: عمد بعض المستشرقين إلى تصوير الظاهرة التي يرغب في تأصيلها بصور مختلفة وذلك عن طريق تكرارها بأوجه مختلفة، وهذا من الأسس العلمية التي بثتها الكنيسة في نفوس رواد الكشف الجغرافي. ويتزايد تطبيق هذا الأساس عند شرح أو معالجة القضايا الشرعية. كما حاول بعض المستشرقين أمثال ريمون شارل الربط بين الفقه كمنهج تشريعي وتطور المجتمعات العربية والإسلامية.

الاستشراق أداة للتبشير والاستعمار:

يعد فن الرحلات من الروافد التي قام عليه جمع كم هائل من المعلومات عن الأقطار الإسلامية على الرغم ما فيها من خيال واسع، واصطناع للمواقف والأفكار، بهدف إعجاب القارئ الأوربي وتشويقه إلى الاطلاع الميداني على واقع تلك الشعوب. وإن عملية الاكتشاف مرتبطة بمراحل تالية لها وفي هذا الصدد ذكر السامرائي في كتابه ما نصه[٦]: ووضعت الكنيسة ضوابط للمبشر يحتاجها من أبرزها معرفة المبشر بلغة الشعب الذي سيتوجه إليه، كما أن عليه دراسة عاداته وتقاليده ومعتقداته ومواطن الضعف وما يجذب الشعب وينفره[٧]. وكل تلك المعارف الجغرافية إما أن يقوم بها المبشر - وهو الغالب - أو أن يرجع فيها لما كتبه الرحالة والمكتشفون عن البلاد الإسلامية.

اهتمامات المستشرقين بالتراث الجغرافي الإسلامي

حرص مجموعة من المستشرقين على استرجاع البنية المعرفية التي خلفها المسلمون في جميع الميادين العلمية بما فيها الجغرافيا، وتركزت أبحاثهم على فترة الازدهار العلمي للحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. ويعد الإرث الجغرافي كبيراً بقدر حجم

المصنفات الجغرافية. وقد يتساءل الكثير من المهتمين حول بعض القضايا منها: كيف وصلت المخطوطات والمصنفات الجغرافية العربية الإسلامية إلى بلاد الغرب والتي تملأ مكتبات ومتاحف بريطانيا وفرنسا وألمانيا والعديد من الدول الأوربية الأخرى؟ وأيضاً ما سر الاهتمام الكبير بتحقيق ونشر وترجمة العلوم الإسلامية بما فيها الجغرافية؟ سؤالان هامان والإجابة عليهما ربما تطول وتحتاج لأطروحات علمية، خاصة وأنها لا تندرج تحت أهداف تلك الدراسة.

وعكف المستشرقون على الترجمة والتحقيق والنشر للمصنفات الجغرافية العلمية والمخطوطات الإسلامية إما من أجل تطوير ونهضة العلم خدمة للبشرية أو لخدمة الاستعمار والسيطرة على تلك المناطق في ظل الضعف الذي انتاب الخلافة العثمانية في سنيها الأخيرة. وخلاصة ذلك أن جهود المسلمين - في العصور الوسطى - في ميدان الجغرافية قد اعتني بها ونالت حظها من الدراسة من قبل الغرب على أيدي المستشرقين ونفر من دارسي الفلك والرياضيات[8]. ويمكن تلخيص اتجاهات المستشرقين في تحقيق المخطوطات، والكتابات الأدبية التاريخية والأثرية، والأعمال البيبليوغرافية، وأخيراً الكتابات الموجه لقضايا تهم قضايا الانثروبولوجيا الاجتماعية؛ حيث يعد الاتجاه الاجتماعي هو ما أولته الرحلات الكشفية عنايتها في سبر الواقع السكاني لبقاع العالم الإسلامي.

مراحل نشر وتحقيق وترجمة المستشرقين لمصنفات التراث الجغرافي:

مر الفكر الاستشراقي بمراحل زمنية تمتد لأكثر من خمسة قرون. وتتداخل المراحل فيما بينها إلا أن المهتمين يصنفونها على أساس منهجي بدءً بنقل النصوص واستعراضها، إلى مرحلة الشرح لها، ومن ثم الاستناد عليها في التنظير والمحاكاة العلمية. ولن تُستعرض المراحل بالتفصيل لأن الأساس التمثيل، ويمكن للقارئ القياس على الأمثلة الواردة في المراحل التالية.

المرحلة الأولى:

تمتد هذه المرحلة لأكثر من قرنين تبدأ من القرن السادس عشر الميلادي وتنتهي بالقرن الثامن عشر. ومن أول المصنفات الذي حظي بالنشر مصنف الإدريسي، طبع بمطبعة المديتشي بإيطاليا عام ١٥٩٢م[9]. كما ترجم مصنف "وصف الأرض" للحسن الزياتي المعروف بالحسن الوزان إلى الإيطالية عام ١٥٥٠م على يدررامـوزيو (٩٥٧هـ) في مدينة البندقية، وذلك بعد فراغ الوزان من تأليفه بمدة لا تزيد عن ٢٤ عاماً[10]. وفي الربع الأخير من القرن السابع عشر الميلادي ظهر أول مصنف في الجغرافية الفلكية وهو زيج الفرغاني الذي نشره المستشرق الهولندي ياكوب غوليس Jacob Golius مع ترجمة لا تينية عام ١٦٦٩م[11].

أما في القرن الثامن عشر لم يتعرف العالم الأوربي إلا على ثلاثة مـؤلفين هم: أبو الفداء، وابن الوردي، وعبداللطيف البغدادي[12]. وأصبحت عملية التحقيق والترجمة والنشر خلال القرون الثلاثة المذكورة محدودة ومتباطئة ولم تتسم بالعمق العلمي الذي يمكن الغرب من الاستفادة منها العلوم الإسلامية في العصور الوسطى. وهذا ما أسهم في زيادة وتنمية البحث العلمي الأوربي الذاتي من خلال نشر الكتب الاستشراقية.

المرحلة الثانية:

تميز القرن التاسع عشر بنشاط علمي من قبل الأوربيين، ونالت علوم المسلمين الجغرافية قسطاً وافراً من قبل المستشرقين سواءً بالنشر أو التحقيق أو الترجمة وكان

هذا متواكباً مع الطفرة العلمية التي حلت بأوربا بعد عصر النهضة، ويمكن إبراز أهم ما تم إنجازه فيما يلي:

١ - كتب إدوارد وليم لين E.. w. laine عام ١٨٣٥م مؤلفاً بعنوان طباع المصريين وعاداتهم، وربما تأثر عند كتابة مضمون هذا المؤلف بترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة، ويندرج هذا الكتاب تت اتجاه قضايا الانثروبولوجيا الاجتماعية.

٢ - ظهر في بداية القرن التاسع عشر الميلادي بحثان متميزان في دراسة الأدب الجغرافي العربي لا يزالان إلى اليوم يحتفظان بمكانتهما وقيمتهما العلمية أحدهما ترجمة "وصف مصر لعبداللطيف البغدادي" للمستشرق الفرنسي سلفستر دي ساس S.de sacy (١٨١٠م) والآخر ترجمة المستشرق الروسي فرين Frahn لرسالة ابن فضلان (١٨٢٣م)[١٣].

٣ - قام المستشرق الفرنسي رينود Reinaud بكتابة (مقدمة في الجغرافية العربية) ونواة هذا الكتاب في الأصل مقالة أراد نشرها في مجلة علمية بعنوان مصنف أبي الفداء "تقويم البلدان" ولكن ما لبث البحث أن تحول إلى موسوعة في تطور علم الجغرافية وآدابها في أكثر من ٤٥٠ صفحة تكشف عن معرفة المؤلف الجيدة بالجغرافية الوصفية والفلكية، ومن الغريب أن هذا المصنف لم ينقل إلى العربية حتى الآن[١٤].

٤ - قام فردينتاند فستنفلد F. Wusten FEld عام ١٨٤٩م بنشر مصنف (آثار البلاد وأخبار العباد) للقزويني الذي ألفه (٦٧٤هـ-١٢٧٥م) وأيضاً نشر المعجم الجغرافي لياقوت الحموي في ستة أجزاء خلال الفترة (١٨٦٦-١٨٧٦م)، ولا تزال تلك الطبعة تتمتع بالتقدير بالرغم من مرور أكثر من قرن من الزمن على تاريخ ظهورها[١٥].

٥ - نشر المستشرق الفرنسي سالفردا دوغراف Salverda de Grave في ليدن سنة ١٨٥٦م كتاب "الجبال والأمكنة والمياه" للزمخشري المتوفى (٥٣٨هـ - ١١٤٣م)[١٦].

٦ - عني المستشرق باربيه دي مينا بنقل مصنف التنبيه والأشراف للمسعودي إلى اللغة الفرنسية، وطبع في باريس سنة ١٨٧٢م في تسعة أجزاء[١٧]، وأيضاً كتاب المسعودي "مروج الذهب " إلى الفرنسية بين سنتي ١٨٦١-١٨٧٧م في تسعة مجلدات، كما نقله إلى اللغة الانجليزية المستشرق الأوربي اشبرنجر Springer[١٨].

٧ - كانت العلامة البارزة في نهاية القرن التاسع عشر للهولندي دي جويه De Goeje حيث بدأ بنشر سلسلة "مكتبة الجغرافيين العرب" منذ عام ١٧٨٠م واكتمل عقدها بظهور الجزء الثامن عام ١٨٩٤م، وهي تتكون من تسعة مجلدات يحتوي أحدها على التعليقات واختلاف القراءات، أما الثمانية الأخرى فتضم بين صفحاتها مصنفات مؤلفي عهد ازدهار الأدب الجغرافي العربي في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين[١٩]. وقد ذيلها دي جويه بملاحظات كثيرة واقتصر على النافع منها، وهو يذكر في مقدمته أن المستشرق ساكي كان قد علق عليها وراجعها قبل ذلك في عام ١٨١٠م[٢٠]. ويرى بعض الجغرافيين المعاصرين أن دي جويه أحد ثلاثة من المستشرقين الذين أدوا أعظم خدمة للتراث الحغرافي الإسلامي في العصر الحديث والإثنان الآخران هما الألماني موللر Muller والروسي كراتشكوفسكي Krachkovski[٢١].

المرحلة الثالثة:

تميزت الكتابات في القرن العشرين بالنضج سواءً فيما تم نشره من التراث الجغرافي الإسلامي من قبل المستشرقين والتعليق عليها، أو في الكتابات الخاصة التي

توضح مكانة العلم الجغرافي وعلماء المسلمين والتي تعددت ولا مجال لحصرها وإنما التمثيل بأهميتها:

١ - نشر المستشرق والمؤرخ الروسي بارثولد V.V. Barthold طبعة مصورة للمخطوطة الفريدة للمصنف الفارسي المجهول المؤلف "حدود العالم" عام ١٩٣٠م، ثم ترجمه إلى الانجليزية مع تزويد ترجمته بتعليقات ضافية مينورسكي Minorsky[٢٢].

٢ - نشر بعض الزيجات الإسلامية (الجداول الفلكية) والتي توجد مخطوطاتها في عدد كبير من المكتبات بأوربا والعالم الإسلامي، حيث نشر المستشرق الايطالي كارلو ألفونسو نالينو C.A. Nallino "الزيج الصابئ" للبتاني (ت ٣١٧هـ) وأصدره في ثلاثة أجزاء ضخمة بميلانو في الفترة ما بين ١٨٩٩ - ١٩٠٧م مزوداً بترجمة لاتينية وتعليقات وافية[٢٣].

٣ - استطاع المستشرق الألماني كونراد ميللر Konrad Miller (١٨٤٤ - ١٩٣٣م) جمع ٢٧٥ خريطة من الخرائط العربية القديمة ونشرها في مجلد واحد أطلق عليه الخرائط العربية ووصف هذه الخرائط بأنها أطلس الإسلام Mappa Arabica[٢٤]، مع إعطاء أهمية خاصة لخارطة الإدريسي.

٤ - كتب إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي المستشرق الروسي دراسة قيمة عن الجغرافية العربية والجغرافيين العرب والمسلمين تحت عنوان "تأريخ الأدب الجغرافي العربي" نقله من الروسية إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم سنة ١٩٦١م في مجلدين تجاوزت صفحاتهما السبعمائة من القطع الكبير، وظهرت للكتاب طبعة ثانية في مجلد واحد عام ١٩٨٧م، بالإضافة إلى بعض الكتب التي ترجمت إلى العربية. وخلاصة ذلك أن هؤلاء وغيرهم ممن لم ترد أسماؤهم من المستشرقين والمعاصرين من علماء الغرب الموضوعيين أعانوا على كشف الجوانب المضيئة في ميدان علم الجغرافيا مما قدمه المسلمون في سبيل تقدم الفكر الجغرافي والمعرفة الجغرافية، كما أن لذلك دلالة واضحة على أهمية التراث الجغرافي الإسلامي في تطور جغرافية الغرب المعاصرة. وبمجهوداتهم العلمية في مجال الاستشراق يمكن الرد على من ينال من الحضارة الإسلامية في الوقت الراهن.

٥ - اهتم كارلو ألفونسو نلينو بعلم الفلك عند العرب واستطاع أن يضع مؤلفاً بعنوان علم الفلك عند العرب بداية القرن العشرين سطر فيه الإبداعات العلمية للمسلمين في هذا الفن. ومن إنتاجه العلمي كتابه عن المملكة العربية السعودية.

وتعد مصر من البقاع الإسلامية الرئيسة التي كانت مستهدفة بثقافة الاستشراق، حيث يندر أن لا تحظى بزيارة مستشرق؛ بل يتعدى الأمر إلى أن أغلب المستشرقين قاموا بإلقاء المحاضرات والتدريس في جامعاتها العريقة. ويعكس ذلك الثقل الإسلامي الذي يعول عليه المستشرقون في نقل وجهات نظرهم، فمصر مفتاح الشرق الذي يمكن العبور من بوابته، كما يمكن أن تكون لحملة نابليون دور في تنمية الثقافة الغربية التي جاءت بها الحملة علاوة على أن الجمعية الجغرافية الخديوية (المصرية) - التي أسسها الخديوي إسماعيل باشا في ١٩ مايو ١٨٧٥م[٢٥] - كانت عاملاً مساعداً في تنمية المقالات المكتوبة باللغة الفرنسية لعدد من المستشرقين، حيث استحوذت على أكثر المقالات المنشورة بها منذ ١٨٧٦م وحتى صدور أول عدد للمجلة الجغرافية العربية عام ١٩٦٧م.

ولا تزال الكتابات الاستشراقية عن شؤون الدول الإسلامية قائمة حتى الآن في شكل تقارير أو مقالات أو كتب وتهدف إلى إجراء مزيد من الدراسات للاستفادة منه في براج التخطيط أو الاستشارات التي تتطلبها بعض الدول في برامج الاستكشافات النفطية أو التنمية الأولية والتي أوكلت لبعض الشركات العالمية. فمثلاً قام هانس بوبيك Hans Bobek في منصف القرن المنصرم بدراسة تكوينات المناطق الاجتماعية في الشرق الأدنى(٢٦).

استشهادات الكتب الاستشراقية الجغرافية على فضل الحضارة الإسلامية:

ارتبطت تلك الدراسات بمجموعات ضخمة من الإنتاج العلمي الصادر عن كتابات الدارسين في المعاهد الشرقية، أو المهتمين بالحضارة الإسلامية، وكذلك بالمتبعين لشؤون العالم الإسلامي من السياسيين والرحالة. وقامت تلك الدراسات باستعراض الجهود التي قدمها علماء المسلمين في جل ميادين المعرفة بما فيها الجغرافية. وركزت الدراسات الاستشراقية في الجانب الجغرافي على ظواهر كونية وأرضية وبشرية في ربط علمي بين تفسيرات المصنفين المسلمين وبين ما توصلت إليه الحضارة في العصر الحديث.

ويمكن تصنيف كتابات المستشرقين إلى نوعين من حيث الهدف من كتابتها، أحدها - وهي الأوسع - موجهة إلى الأوربيين (حسب لغة المستشرق)كأداة لنقل المعرفة الإسلامية لدى أوساط المتعلمين الغرب في دول متعددة سواءً في العالم القديم أو الجديد. والآخر أن تكون الكتابات الاستشراقية موجهة للعرب أنفسهم. وتصنف كتب المستشرقين إلى ثلاثة أشكال من حيث المادة العلمية والموضوعات المطروقة وهي أما أن تكون ذات مادة علمية مستقاة من المصادر التراثية الجغرافية الإسلامية، أو أن تكون ذات مادة علمية أولية حول ظروف وواقع العالم الإسلامي، أو أن تكون مادتها العلمية جامعة لكلا الشكلين.

ويعد الوقوف على بعض الأمثلة الخاصة بكتب الاستشراق الجغرافية والحضارية لسبر ما تيسر فيها من معتقدات خاطئة وهنات علمية متعين؛ لأن القارئ سيجد فيها جهل المستشرق بالثوابت الإسلامية التي لا يرقى إليها الشك. ولعل في أخذ كتب تاريخ الأدب الجغرافي العربي، وشمس العرب تسطع على أوربا، وحضارة العرب ما يغني في التقويم.

١ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي لمؤلفه إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي المستشرق الروسي الذي نشره بالروسية عام ١٩٤٣م، وترجمه صلاح الدين هاشم إلى العربية عام ١٩٦١م، واحتوى الكتاب على معلومات استقيت من مصادر متعددة منها المخطوطات المشهورة في أوربا، خاصة مدينة ليدن بهولندا. ويقع الكتاب في ٨٦٠ صفحة مضافاً إليها ملاحق أساسية. ونشر الكتاب في طبعته الأولى على نفقة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ورغم حرص المترجم على مراجعة نصوص الكتاب، وتصحيح بعض الأوهام إلا أن الكتاب لقي استدراك المهتمين؛ ومن أبرز من علق على الكتاب الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) التي ذيلت الكتاب في طبعته الأولى ما يقرب من عشرين صفحة مركزة على المحاور التالية:

- محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم (محمد والقرآن).
- الشعر الجاهلي والقرآن.
- القرآن والجغرافيا.
- الحديث والجغرافيا.

واعتبر كراتشكوفسكي في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) "أطلس الإسلام" أهم أثر للكارتوغرافيا العربية، بل لعله أهم أثر للكارتوغرافيا في العصور الوسطى بأجمعها[٢٧]، حيث تمثل القمة التي بلغها المسلمون في رسم الخرائط.

٢ - ألف غوستاف لوبون حضارة العرب الذي نشر عام ١٨٨٤م باللغة الفرنسية وترجمه إلى العربية عادل زعيتر عام ١٩٤٥م، ويقع الكتاب في ستة أبواب - ٦٥٦ صفحة - أوسعها الباب الثالث "دولة العرب" الذي يحوي ثمانية فصول، والباب الخامس "حضارة العرب" الذي يقع في عشرة فصول والكتاب يمكن أن يدخل ضمن مفهوم الجغرافية التاريخية والحضارية. وتناول الكتاب جزئيات متعددة يصعب حصرها والوقوف عليها. ويعد لوبون متأثراً (وربما متحيزاً) ببعض الكتابات الاستشراقية غير المنصفة رغم ما يظهره في مقاطع كثيرة أنه يستحسن الحضارة العربية ويبرز مزاياها على السائد في أوربا. ومن الهنات التي لصقت بالكتاب الاستشهادات النصية المنقولة والمُوردة لتأكيد بعض التحليلات والتفسيرات وفيها بعض الخلل. ويحمل الكتاب انطباعات ومشاهدات عاشها المؤلف في ربوع الوطن العربي. ومما ذكره في فضل الحضارة الإسلامية[٢٨]:

كما أشار لوبون في كتابه "حضارة العرب" إلى دور المسلمين في إثراء الفكر الجغرافي الأوربي والعالمي بقوله[٢٩]:

٣ - أنصفت الكاتبة الألمانية زيغريد هونكة في كتابها شمس العرب تسطع على أوربا - الذي نشر مترجماً إلى العربية في طبعتين في الستينيات الميلادية - الحضارة الإسلامية الممثلة بإبداعات العرب رغم أنها لم تستقر سوى سنتين في مراكش بالمغرب مع بعض الزيارات لبعض البلدان العربية. ومن صفاتها المميزة القراءة المتجردة للنصوص الاستشراقية المبكرة والتمعن بما جاء فيها وقياسه على الواقع الفعلي للإبداع العربي، فهي تدافع بشكل علمي واستدلالي عبر شواهد عامة وأخرى تفصيلية، ولربما يعكس هذا بيئة المستشرقة البعيدة عن تأثير الكنيسة الموجه. وأوضحت هونكه هدايا العرب للغرب[٣٠] التي يمكن تلخيصها

ويعطي النص السابق دليلاً على أن الجغرافيين المسلمين ليسوا وسطاء فقط في نقل علوم اليونان، بعكس ما أصله بعض علماء الغرب من المستشرقين وغيرهم في كتاباتهم؛ فمثلاً[٣١]:

٤ - يشير المستشرق الدوميلي Aldomieli في كتابه (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي) إلى تقدم الجغرافية عند العرب بقوله "يقدم الأدب الجغرافي العربي في العصر العباسي وفرة وتنوعاً غير مألوفين بحيث يتعذر سرد أسماء الجغرافيين، هذه الوفرة في النتاج الجغرافي تعكس صورة واضحة للنزعة القوية عند المسلمين في التنقل والترحال، وتكشف عن ملكة التطلع القوية عندهم إلى جمع المعلومات عن الأقطار التي دخلت في كنف الإسلام.

وتعطي هذا الأحكام المختصرة - غير الشاملة - التي وردت في كتب المستشرقين المعتدلين رداً قوياً على المتطاولين على الحضارة الإسلامية الذين لم ينصفوا التراث المعرفي الإسلامي بما فيه الجغرافي خاصة المتشددين منهم أمثال بارون كارداي فو، وسيمونيت ، ماكدونالد (ت ١٩٤٢م) لوي ماسينيون (ت١٩٦٢م)، جوزيف شاخت (١٩٦٩م) وغيرهم، الذين عاشوا في محضن الكنيسة المعادية للإسلام وحضارته. وأحسن

المستشرق الفرنسي ناصر الدين رينيه في وصفه لأسلوب المستشرقين وموازينهم في الحكم على الأشياء مما جعلهم يتناقضون فيما بينهم في الحكم على شيء واحد، ونتج ذلك عن اختراعهم للعلل والأسباب والحوادث اختراعاً ليس له سند إلا التخيل(٣٢).

شكل الأصالة في المحتوى العلمي لكتب الاستشراق:

يظهر على أغلب الكتب التي خلفها المستشرقون حول المعرفة الجغرافية في العصور الإسلامية الأصالة العلمية الناجمة عن الاهتمام بالمضمون العلمي، حتى أن الأمر يتطلب - أحياناً - الخروج بمصنف واحد فقط خلال حياة المستشرق العلمية يجمع فيه خلاصة ما توصل إليه في هذا الفن. والمستشرقون كانوا بحق أساتذة بارعين في التحقيق والتدقيق في نصوص التراث الجغرافي. وتعتمد أصالة كتب المستشرقين في عدد من الصور ومنها:

١ - الرجوع إلى المتون الخطية من مصادرها الأصلية خاصة المخطوطات منها التي تقبع في المتاحف.

٢ - إتقان اللغة العربية - في المراحل المتأخرة - كأساس لسبر الكنوز العلمية التي خلفها المسلمون في مصنفاتهم العلمية.

٣ - الموازنة بين نصوص المرويات العلمية الواردة في المصنفات الجغرافية لاعتماد أكثرها رواية.

٤ - التركيز على نقل المصنفات الإسلامية الرصينة التي يرون فيها الإضافة العلمية، مع العلم أن الأمر تعدى ذلك إلى مصنفات أقل علمية نظراً لكثرة المستشرقين من جهة وعدم الرغبة في تكرار الكتابة عن أي مصنف بلغة أجنبية واحدة، وهذا ما قام به فرديناند فستنفلد F. Wusten FEld كمثال في نشر كتابي زكريا القزويني.

٥ - مقابلة متون المخطوطات حالة تعددها في أكثر من موقع؛ فمثلاً عمد ميشيل دي خويه عند اختياره لأطروحته إلى مقارنة المخطوطات في أكسفورد ليتسنى له الإلمام بالأوجه التي ستكون أصلاً لأطروحته.

٦ - وضع الفهارس وأحياناً الملاحق التي تسهل على القارئ الربط المكاني للمعلومة في أكثر من موضع في الكتاب. وهذه الميزة جعلت كثيراً من الباحثين العرب يميلون إلى الاقتباس من كتبهم دون الرجوع إلى أمهات المصنفات الجغرافية الإسلامية.

ما علاقة مجهودات المستشرقين بعلم الجغرافيا الحديث في أوربا؟

أيقن المستشرقون بأن تطور المعرفة بجميع فنونها بما فيها علم الجغرافيا لن يتم إلا عن طريق الوقوف على الخلفيات والمرجعيات العلمية التي توصلت إليها الحضارات السابقة وعلى رأسها الحضارة الإسلامية. وعلى الرغم من ضعف ظهور النصوص الإسلامية مباشرة في كتب الجغرافيين الأوربيين إلا أن هذا لا يتعارض مع استفادة أغلبهم من الكتب التي حررها المستشرقون، فمثلاً أعتمد كارل ريتر في منهجه الإقليمي الذي سار عليه على مصادر المستشرقين في تفصيل دراسة المعالم الجغرافية في آسيا وأفريقيا.

وكان المستشرقون يبنون ثقافة جغرافية متوازية مع المنهج الجغرافي المطور من قبل علماء الجغرافيا، وهذا ما جعل للمنشورات الاستشراقية - حسب لغاتها الأوربية - ريادة في التطور العلمي، خاصة وأنها ركزت على نقل أفضل المصنفات الإسلامية مثل كتاب المقدسي والإدريسي والمسعودي؛ فإذا كان كتاب إغناطيوس كراتشكوفسكي تاريخ الأدب العربي

الجغرافي قد أنعش علم الجغرافيا في روسيا فمن باب أولى أن تكون أوربا التي أنجبت عشرات المستشرقين أكثر انتعاشاً؛ ويمكن الاستدلال على ذلك بما كتبه المستشرق ايزدور الأشبيلي اعتماداً على معجم البكري "معجم ما استعجم" من موسوعة تحت مسمى "أصول الكلمات" والتي اقتبس منها الجغرافي المستشرق سيمونيت Simonet عند وصفه لجزر كناري. وإن هذا يعني أن الكثير من الدارسين استفادوا – بلا أدنى شك – من معطيات المعرفة الجغرافية عند المسلمين بمصنفاتهم ذات الشهرة الآفاقية، خاصة في القرن العشرين عندما اتسعت دائرة شيوع تلك المصنفات في مكتبات الجامعات وزادت الحاجة إليها في دراسة المجتمعات الشرقية حيث تحكي الكتب الاستشراقية صوراً منها.

الاتجاهات العلمية لكتب المستشرقين:

اختط المستشرقون لأنفسهم اتجاهين للكتابة عن الجغرافية في الحضارة الإسلامية وما يتبعها من دراسات اختصت ببقاع وشعوب العالم الإسلامي في الفترة التي نشطت حركة الاستشراق. واعتمدت على لونين من التأليف أحدهما منقول (مترجم)، والآخر مستحدث (محرر لوصف مشاهدات قائمة بواسطة الرحلات). وكلا الاتجاهين استند على معايير وله كتاب قاموا عليه. وحيث أن الاتجاه الأول استعرض في النقاط السابقة فإن العرض سيكون على الاتجاه الثاني الذي كان مواكباً زمنياً للاتجاه الأول.

الرحلات لون من المعرفة الاستشراقية:

تنامت الرحلات في القرن التاسع عشر بفعل ما سخر لها من إمكانات وخطوات تشجيعية؛ فمثلاً في سبيل تنشيط الجغرافية في بريطانيا كانت هناك دعوة لتكوين الجمعية الجغرافية البريطانية عام ١٨٢٨م وهو زمن مبكر بالنسبة لإنشاء الجمعيات الجغرافية على مستوى العالم، ولم يكن الهدف الرئيس من إنشاء الجمعية الجغرافية دعم الفكر الجغرافي بقدر تنشط الكشف الجغرافي إضافة إلى جمع الحقائق والاكتشافات ونشرها بثمن زهيد، كما كان من مهام هذه الجمعية وضع تعليمات مختصرة للرحالة حول أساليب السفر والترحال وكتابة التقارير والبحوث للمناطق الجديدة ، بالذات النواحي الاجتماعية. وبذلت الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية الأموال لبعض الرحالة بغرض الحصول على معلومات عسكرية للتاج البريطاني كما فعلت لريتشارد بيرتوند الذي وصل إلى الحجاز[٣٣]. كما فعَّل التنافس بين الرحالة في مسألة زيادة الاتجاه لزيارة الوطن العربي.

أهداف الرحالة الأجانب من الزيارات

زار مجموعة من الرحالة الأوربيين أقاليم واسعة من البلاد العربية والإسلامية لأغراض أفصح عنها بعض منهم وحجبها البعض الآخر، وتتمثل أهداف الرحالة عموماً في مجموعة من الأهداف يمكن تلخيص أهمها:

١ – زيارات علمية واستطلاعية بحتة: تأثر كثير من هؤلاء الرحالة ببعض الكتابات الجغرافية الأجنبية التي صدرت مصورة جزيرة العرب إحدى المناطق غير المكتشفة في العالم[٣٤] الأمر الذي استهوى بعضاً من المتحمسين لكشف الحقائق وتسجيلها بأسمائهم في تنظيم الرحلات إلى الجزيرة العربية وغيرها من البلاد بعد الاطلاع على ما سجله الرحالة المتقدمين، فمثلاً كان جورج وآلان يرغب في زيارة نجد للبحث عن الكتابات الأثرية[٣٥].

٢ – زيارات استكشافية تجارية: أولت الهيئات العالمية والأوربية بشكل خاص قطاع الآثار أهمية بإنشاء المتاحف وإيجاد المزادات للقطع الأثرية مما جعل الكثير

من الرحالة يتعطش إلى الحصول على آثار قديمة ولكون منطقة الشرق الأوسط إحدى المناطق ذات الاستقرار البشري القديم فقد اتجهت الأنظار إليها بغية تحقيق تلك الغاية، خاصة في فترة عدم الاستقرار الذي حل بالبلاد العربية والإسلامية في نهايات الحكم العثماني. وقد وجدوا في بلاد الرافدين ومصر وأجزاء من الجزيرة العربية بعض المقتنيات الأثرية.

٣ – زيارات رسمية: تقتضي المصالح المشتركة – آنذاك – إلى تبادل الرسائل بين المسؤولين السياسيين إما لإيضاح بعض الحقائق أو تأييد بعضهم البعض لأعمال الدبلوماسية أو العسكرية، أو حتى التعاون في سبيل الوصول إلى هدف مشترك، وباشر عملية نقل تلك الرسائل الرحالة الذين يعملون كموظفين في تلك الجهات، ومن أمثلة ذلك رحلة فورستر سادلير التي قطع فيها الجزيرة العربية من الشرق إلى الغرب وكان هدف مهمته أن يهنئ الباشا على النجاحات التي حققها، وليؤكد له مدى ميله إلى التعاون مع الحكومة البريطانية لتخفيض أعمال القرصنة في الخليج العربي[٣٦]. ومما فعل من الرحلات الرسمية رغبة الانجليز في التضييق على الفرنسيين الذين ربما كانت لهم أطماع، من خلال إقامة تحالف في وسط بلاد العرب لمواجهة الوجود العثماني[٣٧]. وتصنف البعثات التبشيرية ضمن الزيارات الرسمية التي وجهتها الكنيسة إلى أصقاع واسعة من العالم الإسلامي رغم ما لقيته من عدم نجاح في أغلب الدول العربية[٣٨].

٤ – زيارات دراسية ميدانية: تكرست لدى بعض الباحثين الأجانب سواءً في حقل التعليم الجامعي أو غيره من الهيئات التعليمية الرغبة في الكتابة عن بعض الظاهرات المميزة للمجتمع العربي.

وللأهداف السابقة فقد عمت الرحلات أوطان البلاد العربية والإسلامية في وقت مبكر؛ وتسارعت ما بعد عصر النهضة الأوربية حيث الانفتاح الأوربي على العالم. حيث يتم للرحالة الغربي جمع المعلومات، وتكون وراءه أمة ذات سلطان تدعمه بنفوذها العسكري وإمكاناتها الاقتصادية ومبادئها الروحية[٣٩]. وخرجت الرحلات بكتب وتقارير – لصالح هيئات علمية أو بتكليف من جهات حكومية رسمية – جمعت فيها دراسات معمقة عن خصائص المجتمعات العربية والإسلامية. وبالفعل تم ترجمه عدد من كتب الرحلات إلى اللغة العربية فيما بعد.

وإن المتفحص لكتب الرحالة الأوربيين يجد فيها مادة علمية رصينة مع وجود هنات لا تتوازى مع حجم المعلومة فيها؛ فمثلاً رصد أحد المهتمين بالرحلات أسباب وقوع أخطاء في كتب الرحالة وعزاها بعض المحللين[٤٠] الجغرافيين إلى:

١ – أخطاء تختص بالمؤلف نتجت عن كتابة الأسماء برسم وهم السماع، أو تجريد الاسم من (أل) التعريف وهي معرفة أو إلحاق أل بأسماء مجردة، وتغيير التاء بالألف. وهذا بسبب قياس اللغة العربية بالإنجليزية في مسائل التعريف والتنكير.

٢ – أخطاء تتصل بالترجمة والمترجمين بسبب عدم تنبه المترجم لقياس المؤلف (الأصل) اللغة العربية على اللغة الانجليزية في مسائل التعريف والتنكير، ولعدم رجوعهم إلى المتاح من معاجم الأماكن والقبائل.

٣ – أخطاء مشتركة مثل كتابة الاسم بأكثر من رسم. وهذا بسبب عدم التنسيق بين مصادر الكتاب من جهة وتعدد المترجمين من جهة أخرى.

المكانة العلمية لمصنفات التراث الجغرافي عند المستشرقين:

أنصف بعض المستشرقين وجغرافي الغرب علماء المسلمين سواءً في الجغرافية أو العلوم الأخرى، وذلك لموضوعيتهم. بينما تجاهل الكثير فضل علماء المسلمين في العصور الوسطى، ومن أمثلة من نال من جغرافيي المسلمين المستشرق سيمونيت Simonet عندما حاول التقليل من شأن أبو عبيد الله البكري الذي حاز على إعجاب المستشرقين أمثال آنخل جنثالث بالنثيا الذي وصفه بأنه جغرافي أندلسي جليل الشأن كما قال بذلك "دوزي" بأنه أكبر جغرافي انجبته الأندلس ولم يكن هذا الحكم الإيجابي من هذين المستشرقين مجاملة بقدر ما كان قائماً على دراسة ودراية بمصنفه "معجم ما استعجم"، ولكن المستشرق سيمونيت - المتحامل على الإنجازات الإسلامية - يزعم أن البكري لابد أن يكون قد عرف كتاب أصول الكلمات لمؤلفه لايزيدور الأشبيلي مترجماً إلى العربية[41]. ولعل في إيراد الأمثلة التي أعطت المكانة اللائقة للجغرافيين المسلمين ما يغني في تحديد جزء من هذه المكانة.

الهمداني (٢٨٠-٣٦٠هـ):

نال مصنفه "صفة جزيرة العرب" الكثير من الاهتمام من قبل المستشرقين وقد عني بدراسته شبرنجر Sprenger وعده أقيم ما أنتجه العرب في الجغرافية مع كتاب المقدسي "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ويقول المستشرق الروسي كراتشكوفسكي في تاريخ الأدب العربي الجغرافي "لقد تملك الهمداني ناصية المادة الأدبية بأكملها، ولم تكن مقدرته في الملاحظة المباشرة بأقل من ذلك في شئ، ولا يزال مصنفه محتفظاً إلى أيامنا بقيمته العلمية[42]. وذكر خوري أن أندريه ميكيل حلله بقوله[43] "وهكذا تخلت صفة جزيرة العرب عن التاريخ والأدب معاً، فأصبحت صفة مساكن الجزيرة ومسالكها ومياهها وجبالها ومراعيها وأوديتها" كما وصف المستشرق السويدي المعاصر "كريستوفر لي" مصنف الهمداني بأنه يعادل من القيمة المؤلفات الجغرافية لياقوت والبكري[44].

المقدسي (٣٣٥-٣٩٠هـ):

يعد من كبار الجغرافيين الذين عرفهم الغرب وأشادوا بأعماله؛ فقد عده المستشرق شبرنجر أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة، كما يرى كرامرس Kramers أن المقدسي أكثر الجغرافيين العرب أصالة، وأن كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" أكثر المصنفات الجغرافية في الأدب العربي قيمة[45]. كما أضاف اشبرنجر قائلاً "لم يتجول سائح في البلاد كما تجول المقدسي، ولم يحسن أحد ترتيب عمله مثله، وقال المستشرق ميستر Cild Meister امتاز المقدسي عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة اطلاعه[46].

ويسجل كراتشكوفسكي ملاحظاته عنه بقوله "إن شخصية المقدسي لتختتم بجدارة المدرسة الكلاسيكية للجغرافية العربية وسلسلة الجغرافيين الكبار للقرن العاشر الميلادي .ولكن من غير المستطاع أن يغمطه إنسان نصيبه من الفهم واذكاء وألا يعترف له بالأصالة والطرافة وقوة الملاحظة، لذا فيجب الاتفاق مع كل من اشبرنجر وكرامرس في عده جغرافيا عظيماً وواحداً من كبار الكتاب العرب قاطبة[47].

البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ):

اهتم المستشرق الفرنسي جاك بوالو بالبيروني وقال عنه أنه من أعظم علماء الإسلام في العصر الوسيط ولعله أكثرهم أصالة وعمقاً وكرس جهده لسنوات عديدة

لدراسة البيروني وكتب عنه كتابه "أعمال البيروني قنبذة ببليوجرافية"[٤٨]. وقال عنه العالم الألماني سخاو Sachau الذي درس مؤلفاته، خاصة كتاب الهند أنه يعتبر بحق أعظم العلماء في التاريخ[٤٩]. وأطلق عليه جورج سارتون Sarton على النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي اسم "عصر البيروني" في كتابه (تاريخ العلم)[٥٠]، وفي هذا دلالة على شخصيته العلمية الفذة وعطائه العلمي الغزير وانجازاته المتميزة في الفلك والجغرافيا.

الإدريسي (٤٩٣-٥٦٠هـ):

نال الإدريسي شعبية واسعة من قبل الأوربيين. وانبنت هذه الشهرة على شيئين أحدهما كتاباته التفصيلية الدقيقة المبنية على المشاهدات الميدانية عن بعض الأقطار الأوربية، والأخرى قيامه برسم خريطة للعالم على كرة ضخمة من الفضة، ومن هنا برز هذا الرائد الجغرافي بشكل كبير عند الغرب. وأطلق المفكرون الأوربيون عليه اسم "استرابون العرب"[٥١]. وأطلقت مدرسة الجغرافية بجامعة كلارك أحد معاقل الجغرافيا بالشمال الأمريكي على أحد برمجياتها الشهيرة والمتداولة تسويقاً عالمياً في مجال نظم المعلومات الجغرافية أحدث فروع الجغرافية، حيث أطلقت عليه مسمى Idrisi، وأشارت في أدلة البرنامج أن هذا اعتراف منها بجميل وفضل هذا الجغرافي والكارتوجرافي العربي المسلم الفذ الأصيل[٥٢].

النتائج والتوصيات:

ألحقت الانهزامية بالأمة العربية والإسلامية أمام متغيرات العصر الحديث هواناً في جميع شؤون الحياة العلمية والتطبيقية، وذلك عندما ذهب بعض الباحثين العرب إلى الاستفادة والاقتباس من الكتب الاستشراقية رغم الهفوات المنكرة لا سيما في علوم الشريعة الإسلامية. بينما كانت هناك فئة من الأكاديميين يتنصل من تراثه ولا يلقي له أي اهتمام فضلاً عن أن يدافع عنه في المحافل والمنتديات الجغرافية. وأصبح المستشرقون الغربيون أكثر وفاءاً لعلماء الجغرافيا - وهو ما تم استعراضه عند دراسة مكانة علماء الجغرافيا المسلمين عند المستشرقين - من أبناء العرب.

ولا يتلخص الوفاء الجغرافي لمصنفات المسلمين فقط بالتمجيد وإبراز إنتاجهم على المستوى المحلي بقدر ما يتعلق بنقل بعضاً من صور إبداعاتهم إلى المتلقين في الجامعات الغربية عبر المقالات العلمية التي تلقى في المؤتمرات الجغرافية الدولية، أو المساهمات العلمية في المجلات الدورية الأجنبية. ويعول في ذلك على الكفاءات العلمية العربية التي تلقت تعليمها في الجامعات الغربية كل في مجال تخصصه الدقيق، خاصة أن كتب المستشرقين الجغرافية لم تأتي على جميع ما صنف من التراث الجغرافي الإسلامي مما يعني وفرة في المادة العلمية التي من المفترض أن نوصلها للآخرين ؛ ومن المؤمل أن تضطلع الهيئات ومراكز البحث في الوطن العربي بتنشيط هذا الجانب لدى أوساط الأكاديميين الجغرافيين.

ويحسن قبل إسدال الستار على موضوع هذه الدراسة تقديم بعض المقترحات التي من شأنها رفعة التراث المعرفي الإسلامي بعامة والجغرافي بخاصة، والمتمثلة بتوفير الكتب الاستشراقية في المكتبات العامة ليسهل الاطلاع على ما جاء فيها من معارف علمية، وحصر بعض الكتابات العربية المتعلقة بها. ومن الأفضل تقوية جانب النقد العلمي لدى المتخصصين لكي يستطيعوا إدراك الشطحات المعرفية في بعض الكتب الاستشراقية،

تمهيداً لتقويمها وتصحيحها. ودعم مشاريع الأبحاث الجغرافية التراثية الموجه للمتلقي الغربي من خلال ميزانيات البحث العلمي في المؤسسات العلمية الحكومية والخاصة، ووضع هذا النوع من الأبحاث ضمن محاور الجوائز العلمية التي تقدمها تلك المؤسسات. وإن في تشجيع طلاب البعثات على الاحتكاك العلمي في المنتديات الجغرافية الأجنبية من خلال المشاركة بأوراق عمل أو أبحاث من شأنها زيادة التواصل في فترة الابتعاث. وقد أحسنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالجامعة العربية ومكتب التربية العربي لدول الخليج في عقد لقاءات علمية في إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري تحت موضوع "مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية" عام ١٤٠٠هـ. ويعد توظيف بعض محاور المنتديات الجغرافية العربية لمعالجة تأثير الاستشراق على المفاهيم الجغرافية مطلباً يقع على عاتق الجمعيات الجغرافية العربية. ويمكن تفعيل المقترحات السابقة في إنشاء أقسام للاستشراق أو إقامة مراكز بحث للدراسات الاستشراقية ضمن منظومة مراكز البحوث في الجامعات العربية، وحبذا لو عني كل مركز بمدرسة أوربية واحدة، حتى تتضافر جهود تلك المراكز بالخروج بنتائج متعمقة حول الدراسات الاستشراقية للعلوم العربية والإسلامية.

الهوامش

١ - يُعَرَّف الاستشراق بتعريفات متفاوتة يصعب الجمع بينها باعتبارها مرتبطة بآراء الباحثين حول أهداف ومبررات الاستشراق ما بين الرافض له أو المعجب به أو الجامع بينهما (المتوسط)، فمثلاً عرفه إدوارد سعيد بأنه أسلوب غربي هدفه السيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه، ويرى الفيومي أن المستشرقين لهم اتجاهات فمنهم ذوي التوجه الاستعماري، والتوجه التبشيري، ومنهم الموضوعيون، وإن كانت قليلة تلك الشواهد التي تشهد للاستشراق العلمي بحسن النية، وأن غرض الاستشراق الدراسي للشرق (من أقصاه إلى أدناه) هو رغبته الجامحة في طيه بسياسة الغرب وخدمته لأهداف الاستعمار مما جعلهم يحيطون بدراسته تاريخياً وجغرافياً ودينياً وحضارة وثقافة ونظماً وعرفاً، إضافة إلى سبر مصادره الطبيعية. ولمزيد من المعلومات انظر عبدالجواد، محمد علي، (٢٠٠٢م)، جهود بعض الجغرافيين العرب التجديدية في سبيل صحوة تنوير جغرافية عربية، الندوة السابعة لأقسام الجغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص١٣. أما المعجب بهم فيرى أن المستشرقين نشروا نفائس التراث الإسلامي بفروعه، وفي هذا الشأن يذكر محمد كرد علي أنهم بما نشروا من كتبنا أسدوا إلى لغتنا المحبوبة خدمات أياديهم البيضاء، ومهما كانت النيات فإن العرب والعربية استفادت من هذه المهمة التي انبعثت من ديار الغرب، لمزيد من الإيضاح يمكن الرجوع إلى: الدسوقي محمد، الفكر الاستشراقي في ميزان النقد العلمي، في كتاب دراسات استشراقية وحضارية، العدد الأول، مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية

الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، ص٨٧-١٣٥.

وينظر الرأي المتوسط إلى المسألة بمنظار أوسع، فمثلاً يرى محمد حمدي زقزوق أن الاستشراق لا يمكن إنكاره وله تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجاباً أو سلباً أردنا أم لم نرد، ولذا لا نستطيع تجاهله أو نكتفي بمجرد رفضه وكأننا قمنا بحل المشكلة، ومن هنا فلا بديل إلا بمواجهة المشكلة وطرحها على بساط البحث. انظر: زقزوق، محمود حمدي، (١٤٠٩هـ)، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، ط٢، القاهرة، ص ٢٠.

٢ - أنور الجندي، (١٩٨٥م)، سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، ط٢، دار الجيل، بيروت، ص ٦١. وللمؤلف جهود وكتابات ومقالات مرتبطة بهذا الموضوع تزيد عن عشر إسهامات.

٣ - النملة، علي بن إبراهيم، (١٤٢٤هـ)، التنصير في المراجع العربية، ط٢، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض، ص٩٠. ولخصت الموسوعة العربية سلبيات الاستشراق في اتباع الهوى، والزعم بأن القرآن مستمد من مصادر يهودية أو الزعم بأنه من اختراع محمد ﷺ، والزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن الفقه الروماني، والزعم أن الحديث من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، إضافة إلى نيلهم من اللغة العربية وزعمهم أنها ليس لها القدرة على مسايرة الركب العلمي للمزيد أنظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، ١٩٩٦م، مجلد ١، الرياض، ص٦٧٦-٦٧٩.

٤ - السامرائي، قاسم، (١٤٠٣هـ)، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، منشورات دار الرفاعي للطباعة والتوزيع، الرياض، ص٤٦-٤٧.

٥ - أبو حديبة، عبد الوهاب، (١٤٠٥هـ)، الحياة الاجتماعية كما صورها بعض المستشرقين، بحث مقدم في احتفالات القرن الخامس عشر الهجري تحت موضوع مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبالتعاون مع مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ص١٤٥.

٦ - السامرائي، قاسم، مرجع سبق ذكره، ص٥٤.

٧ - الطهطاوي، محمد عزة، (١٣٩٧هـ)، التبشير والاستشراق، المكتبة العصرية، بيروت، ص ١.

٨ - نفيس، أحمد، (١٩٧٨م)، الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي، ترجمة فتحي عثمان، دار القلم، الكويت، ص٢٧.

٩ - هاشم، صلاح الدين، (١٤٠٤هـ)، آثار جغرافية إسلامية تنتظر النشر، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،، ص٨.

١٠- حميدة، عبدالرحمن، (١٩٦٩م)، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ص ٤٩٧.

١١- هاشم، صلاح الدين، مرجع سبق ذكره، ص٨.

١٢- هاشم، صلاح الدين، المرجع السابق، ص ٨.

١٣- هاشم، صلاح الدين، المرجع السابق، ص ٩.

١٤- هاشم، صلاح الدين، المرجع السابق، ص ٩.

١٥- هاشم، صلاح الدين، المرجع السابق، ص ٩.

١٦- حميدة، عبدالرحمن، (١٩٦٩م)، ص٦٨.
١٧- المسعودي، أبو الحسن، (ب.ت)، التنبيه والأشراف، دار صعب، بيروت، ص ز.
١٨- خضر، عبدالعليم عبدالرحمن، (١٩٨٣م)، المسلمون وعلم الجغرافيا، مؤسسة المدينة، المدينة المنورة. ص١٦٢.
١٩- هاشم، صلاح الدين، مرجع سبق ذكره، ص ٩.
٢٠- المسعودي، أبو الحسن، مرجع سبق ذكره، ص ج.
٢١- خصباك، شاكر، (١٤٠٤هـ)، الخصائص العلمية للجغرافية العربية الإسلامية، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص١٦١.
٢٢- هاشم، صلاح الدين، مرجع سبق ذكره، ص ١٠.
٢٣- هاشم، صلاح الدين، المرجع السابق، ص ١١.
٢٤- محمدين، محمد محمود، (١٩٩٦م)، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، ط٢، دار الخريجي، الرياض، ص٢١٠.
٢٥- الجمعية الجغرافية المصرية، (١٩٩٨م)، الجمعية الجغرافية المصرية على مشارف قرن جديد، طيبة للطباعة، القاهرة، ص٣.
٢٦- فيرت، ايوجين، (١٩٨٣م)، دراسات جغرافية ألمانية حول الشرق الأوسط (مترجم)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص١١
٢٧- كراتشكوفسكي، إغناطيوس يوليانوفتش (١٩٨٧م) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ؛ ترجمة صلاح الدين هاشم، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القسم الأول، القاهرة.
٢٨- لوبون، جوستاف (١٩٦٤هـ)، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مطابع عيسى البابي الحلبي، ط٤، نابلس، ص٢٦.
٢٩- لوبون، جوستاف، المرجع السابق، ص٤٧١.
٣٠- هونكه، زيغريد، (١٩٦٩م)، شمس العرب تسطع على أوربا، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي -٠ ط٢ -٠ بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر، ص٤٠٠-٤٠١.
٣١- تاتهام، جورج، (١٩٨٧م)، الجغرافية في القرن التاسع عشر، تحرير جريفت تيلور تحت عنوان "الجغرافية في القرن العشرين" ترجمة: محمد السيد غلاب، ومحمد مرسي أبو الليل؛ ج١ -٠ القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، ص٤٧.
٣٢- السباعي، مصطفى،(١٣٩٩هـ)، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم -٠ ط٢ -٠ بيروت : المكتب الإسلامي، ص٤٨-٤٩.
٣٣- لي ديفيد كوبر و جورج رينتز، (١٤١٧هـ)، الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب؛ ترجمة: عبدالله بن ناصر الوليعي-٠ الرياض، ص٧٥.
٣٤- فريمان، ت. و،(١٩٨٣م)، الجغرافيا في مائة عام ؛ ترجمة عبدالعزيز طريح شرف، دار الجامعات، الإسكندرية، ص١٤.
٣٥- بيرين، جاكلين، (ب.ت)، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة: قدري قلعجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٢٧٥.
٣٦- سادلير، فورستر، ج، (١٩٨٣هـ)، رحلة عبر الجزيرة العربية ؛ ترجمة أنس الرفاعي -٠ دمشق : دار الفكر، ص٧.
٣٧- لي ديفيد كوبر و جورج رينتز، مرجع سبق ذكره، ٨١-٨٢.
٣٨- يذكر قاسم السمرائي في ذلك أن صموئيل زويمر كان مبشراً ضمن البعثة التبشيرية للعرب في البحرين وكان يكني نفسه

"ضيف الله"، بينما كان يسميه سكان البحرين "ضيف الشيطان". انظر السامرائي، مرجع سبق ذكره، ص٥٦.

٣٩- الفارس، أسعد عيد، (١٤٢٤هـ)، الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية: أهدافهم وغاياتهم ؛ ج٢- الرياض : دارة الملك عبدالعزيز بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ص٥٥٥-٦٠٢.

٤٠- الحميدي، عبدالله بن عبدالعزيز، (١٤٢٤هـ)، دراسة حصرية تحليلية لأخطاء رسم الأسماء المتصلة بالمملكة العربية السعودية في القسم الجغرافي من كتاب دليل الخليج للوريمر ؛ ج٢ -- الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ص٩٧٧-١٠٠٢.

٤١- الشكعة مصطفى، (١٤٠٥هـ)، موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس، بحث مقدم في احتفالات القرن الخامس عشر الهجري تحت موضوع مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والتعاون مع مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ص٣٠٩-٣١٠.

٤٢- كراتشكوفسكي، مرجع سبق ذكره، ص١٨٧-١٨٩.

٤٣- خوري ، إبراهيم، (١٩٩٣م)، الهمداني صفة جزيرة العرب -- بيروت : دار المشرق، ص ٤٥.

٤٤- باشا، أحمد فؤاد (١٩٩٧م)، العلوم الجغرافية في التراث الإسلامي، مجلة المنهل، عدد متخصص بالجغرافية -- جدة، ص٩٧.

٤٥- محمدين، محمد محمود، (١٤٠٤هـ)، مفهوم الإقليم ودراسته عند المقدسي، بحث للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، المجلد الثالث، إدارة النشر والثقافة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص٣٤٦.

٤٦- العقيلي، محمد أحمد، (١٤٠٤هـ)، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط ، بحث للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، المجلد الثالث، إدارة النشر والثقافة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-- الرياض، ص٣٣١.

٤٧- الدفاع، علي بن عبدالله (١٤١٣هـ)، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية -- ط٢ -- الرياض : مكتبة التوبة، ص ١٤٤.

٤٨- خضر، مرجع سبق ذكره، ص١٠٨.

٤٩- نفيس، مرجع سبق ذكره، ص٧٩.

٥٠- محمدين، محمد محمود، (١٩٩٦م)، مرجع سبق ذكره، ص١٥٦.

٥١- الحريري، محمد مرسي، (١٩٨٥م)، الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته -- الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ص٧٣.

أما سترابون: جغرافي يوناني ولد في أماسيا في آسيا الصغرى حوالي عام ٥٨ ق.م، وتوفي عام ٢١ أو ٢٥م، وهو مؤلف كتاب جغرافيا الذي عالج فيه الظواهر البشرية.

٥٢- عبدالجواد، محمد علي، (٢٠٠٢م)، جهود بعض الجغرافيين العرب التجديدية في سبيل صحوة تنوير جغرافية عربية، الندوة السابعة لأقسام الجغرافيا بالمملكة العربية السعودية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-- الرياض، ص ٢٣.

حلُّ النظم في النقد العربي القديم

عثمان خالد محمد الطاهات

كلية التربية للمعلمات بالأفلاج – جامعة الرياض للبنات

حظيت مسألة حل النظم باهتمام النقد العربي القديم، حيث لاقت عناية في كتب النقد القديمة عند النقاد الذين اهتموا بها؛ لأنهم وجدوا فيها طريقة سهلة لتعليم التلاميذ فن الكتابة، وإيصال المعاني إليهم، والحكم على الشعراء في قضية السرقات، فبدأت على يد أبي هلال العسكري، حيث طرحها كأحد فروع قضية السرقات، وقام ابن الأثير بمناقشتها بطريقة وافية ، غير أنها لم تجد مكاناً في نقدنا الحديث، وربما يعود سبب ذلك أن النقاد تحولوا من القواعد المنطقية التي حاولوا تطبيقها على الشعر إلى التعامل مع القصيدة على أنها شعور صادر وممثل لصاحبه؛ إذ ذهب النقاد إلى المدى الذي تعبر فيه القصيدة عن صاحبها ومدى صدقها وعن القضايا التي تعالجها؛ ويذهب بعض الباحثين إلى أن مسألة حل المنظوم "لم يبد فيها أثناء هذا الطرح ما يثير جدالاً حولها، وما يمكن أن يتفرع أو يصدر عنها من قضايا أخرى، كما أن القدماء لم يختلفوا حولها؛ وهو اختلاف – لو حدث – لأثار شهية المحدثين في تتبعه واستقراء أسبابه ودوافعه"[1]. والنظم فيما تعارف عليه النقاد مصطلح أطلق على الشعر بأنواعه فنيا أو تعليميا لكن عبد القاهر الجرجاني جاء بشيء خالف به النقاد؛ عندما عد النثر نظماً، فالنظم عنده تعليق الكلم بعضه ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض وليس النظم سوى توخي حكم النحو[2].

أما حل[3] النظم فهو نثره[4] أي تحويل الشعر إلى نثر، ويقال له نثر الشعر مع المحافظة على معناه ومعظم ألفاظه الأساسية[5]، وهو أن يعمد الكاتب إلى الشعر ليحل فيه عقدة الوزن فيصيره منثوراً[6].

وحل النظم أو تحويل الشعر إلى نثر هو تفكيك البيت الشعري، وذلك لاستقصاء ما به من معانٍ، وتوضيح المُلْبَس من ألفاظه، ويكون بنثر الأبيات باللفظ أو بما تحمله من معنى.

إن ما يقوم به الناثر هو تمرد على الوزن والقافية، وبعض عناصر الشعر الأكثر خفاء "الشعرية" فالشعر كلام موزون مقفى يدل على معنى، فبعد نثره لا يبقى إلا المعنى؛ لأن الناثر ينقل المعنى من الفن الشعري إلى الفن النثري عبر ألفاظ لغوية جديدة مع المحافظة على المعنى، ويبدو أن هذه الفكرة جاءت إلى الشعر بعد أن طبقت عليه المعايير المنطقية، فقد عد الشعر صناعة يعد له كما يعد لأي صناعة أخرى، فألفت الكتب التي تناولت الحديث عن صناعة الشعر مثل كتاب "الصناعتين" و"العمدة" وغيرهما.

ذهب بعض النقاد إلى أنه يجب قبل البدء بنظم القصيدة إعدادها في الفكر نثراً، يقول العسكري: "إذا أردت أن تعمل شعراً فأحضر المعاني التي يريد نظمها فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزناً يتأتى فيه إيرادها وقافية يحتملها"[7].

ويذهب هذا المذهب ابن طباطبا العلوي حيث يقول: "إذا أراد الشاعر بناء قصيدة فحص المعنى الذي يريد بناء القصيدة عليه في فكره نثراً، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه"[8].

ظهرت فكرة حل النظم، بعد أن استقر ديوان الإنشاء في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة

العباسية[٩]، فكان ظهورها مرتبطاً بتعلم فن الكتابة الإنشائية في دواوين الخلفاء والأمراء، فحل الشعر من أهم المبادئ في تعلم فن الإنشاء وهذا ما أشار إليه أحد الشعراء وهو العتّابي عندما سئل "بم قدرت على البلاغة؟ فقال: بحل معقود الكلام، فالشعر رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول"[١٠].

نالت فكرة حل النظم، اهتمام النقاد؛ لأنها عملية سهلة في تعليم الكتّاب فن الكتابة، وذلك لما يحمله الشعر من معان غزيرة، فكان نثر الشعر وسيلة اعتمدها كبار الكتاب لتدريب تلاميذهم على الكتابة الفنية، فقد روى القاضي الفاضل أنه عندما أرسل إلى مصر ليتعلم الكتابة، قابل رئيس ديوان المكاتبات، قال: سألني، ماذا أعددت لفن الكتابة من الآلات؟ فقلت: ليس عندي سوى أني أحفظ القرآن وكتاب الحماسة، فقال: في هذا بلاغ، ثم أمرني بملازمته فلما ترددت إليه وتدربت بين يديه، أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة فحللته من أوله إلى آخره، ثم أمرني أن أحله ثانية فحللته"[١١].

وقد ميّز بعض النقاد بين الشعر الجيد وغيره، فالشعر الجيد إذا نثر لم يفقد معناه الجيد يقول ابن طباطبا: "ومن الأشعار محكمة متقنة، أنيقة الألفاظ حكيمة المعاني، عجيبة التأليف، إذا نقضت وجعلت نثراً لم تفقد جزالة ألفاظها، ومنها أشعار مموهة مزخرفة عذبة تروق الأسماع و الأفهام إذا مرت صفحاً، فإذا حصلت وانتقدت بهرجت معانيها، وزيفت ألفاظها، ولم يصلح نقضها لبناء يستأنف منه"[١٢] فالنقاد الذين اهتموا بهذه القضية لا يجدون فاصلاً يفصل الشعر عن النثر إلا الوزن والقافية، فالمعاني والتشبيهات والاستعارات التي يصوغها الشاعر يستطيع الناثر أن يودعها في فن النثر، وهذه عملية تقرب المسافة بين فن الشعر وفن النثر.

إن حلّ الشعر صناعة ألم بها الكتاب من النقاد دون غيرهم، فهؤلاء الكتاب قادرون على تذوق الشعر ومعرفة أسراره وجماله وخفاياه، وهذا ما أشار إليه أحد الكتّاب المشهورين وهو الصاحب بن عباد بقوله[١٣] :

ألا إنّ حلَّ النَّظم رتبة كاتبٍ

ولكن منهم من يحلُّ فيعقدُ

لذلك عرضت هذه الفكرة، ووجدت لها مؤلفات مستقلة مثل: "كتاب نثر النظم وحل العقد"- للثعالبي، وكتاب "الوشي المرقوم في حل المنظوم" لابن الأثير، وفصول في كتب أخرى مثل "المثل السائر"- لابن الأثير، و"الصناعتين"- لأبي هلال العسكري.

الحل والسرقات:

تناول النقاد القدماء مسألة حل النظم، ضمن قضية السرقات ، فالجاحظ كان من السّباقين إلى بحث السرقات وتمهيد الطريق للباحثين فيها حين قال : "لا في الأرض شاعر قديم في تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم أو في بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه إن هو لم يَعْدُ على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه، أو لعله أن يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط"[١٤].

بعدها بحثت قضية السرقات فمنهم من رأى أنها في اللفظ ومنهم من رآها في المعنى، وذهبوا إلى التماس العذر في ذلك حيث إن الشعراء السابقين غلبوا على المعاني الشعرية، فضاق السبيل أمام الشعراء المحدثين، فلم يكن من الأخذ بدٌّ[١٥]، وقد كثر الحديث على المعاني

وسرقتها، حيث ذهب الجاحظ إلى نظرية المعاني المشهورة "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[16] وتابعه أبو هلال العسكري حيث قال: "ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تداول المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم ولكن إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ويبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها، وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها"[17]. فالمعاني ممتدة لا يمكن حدها وحصرها، ومباحة كلها للشاعر شريطة الإجادة فيها قال قدامة: "إن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحل وآثر من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه"[18].

إنَّ حلَّ النظم من أجل أنواع السرقات كما ذكر ذلك ابن رشيق في قوله "وأجلُّ السرقات نظم النثر وحلُّ الشعر"[19] وهذا النوع من السرقات يعدّ مباحاً، لأن السارق يأخذ المعنى ويعرضه بطريقة جديدة، فالنقاد الذين عنوا بحل النظم لم يروا عيباً في أخذ الشاعر المعنى من الشاعر الآخر، أو من غيره، ولكن إذا أخذه أن يعرضه عرضاً حسناً، وأن يختار له لفظاً لا ينزل به عن صاحبه الذي أخذه منه، وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك فقال: "لا يستغني الآخر عن الاستعارة من الأول، لكن لا ينبغي أن تعجل في سبك اللفظ على المعنى المسروق، فتنادي على نفسك بالسرقة، وقال: "والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء".

حلُّ النظم عند القدماء:

استقرت فكرة حلّ النظم في بطون الكتب النقدية القديمة[20]، إذ عرضها القدماء وناقشوها انطلاقاً من وضع أسس لتعليم الكتاب مبادئ وأصول تعليم الكتابة، وفيما يلي تفصيل لها عندهم:

١ - أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ) :

يعد أبو هلال العسكري أول من عرض هذه الفكرة وناقشها، حيث قامت هذه الفكرة عنده على نظرية المعاني التي سبقه إليها الجاحظ وتابعه فيها أبو هلال، حيث بين أن المعاني مشتركة بين العقلاء فقد يقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي، وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها، ومن أخذ معنى فكساه لفظاً أحسن من لفظه كان أولى به ممن تقدمه"[21]، ثم يقول "وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم فليس على أحد عيب إلا إذا أخذه بلفظه كله أو أخذه فأفسده وقصر فيه عمن تقدمه"[22]، ثم يبين طريقة تختفي بها آثار السرقة حيث يقول: "والحاذق يخفي دبيبه إلى المعنى يأخذه في ستره فيحكم له بالسبق إليه أكثر مما يمر به، وأحد أسباب إخفاء السَّرَقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده في نثر، أو من نثر فيورده في نظم، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر فيجعله في مديح، أو في مديح فينقله إلى وصف، إلا أنه لا يكمل لهذا إلا المبرز والكامل المقدم"[23].

ثم ينتقل بعدها إلى الحديث عن تداول المعنى بين الشعر والنثر، فيحدده في أربعة أضرب[24]:

الأول : ضرب فيها يكون بإدخال لفظة بين ألفاظه، ومثاله سمع قليب المعتزلي أبياتاً للعتبي وهي:

أقلت بِطَالتُـــهُ وراجَـــعَـــهُ
حِلْمٌ وأعـقـبَـهُ الـهـوى نَدَمَـا

أَلقَى عليْـــهِ الدهرُ كلكلَهُ
وأعـارَهُ الإقـتـارَ والعـدَمَـا
فـــإذا ألمَّ بهِ أخُـــو ثقــةٍ
غضَّ الجفُونَ ومجمَجَ الكَلِمَا

فقال لبعض الملوك يستعطفه على رجل من أهله: "جعلني الله فداءك ليس هو اليوم كما كان، إنه - وحياتك - أفلت بطالته أي والله وراجعه حلمه، وأعقبه وحقك الهوى ندما، أنحى الدهر - والله - عليه بكلكله، فهو اليوم إذا رأى أخاً ثقةٍ غض بصره، ومجمَجَ كلامهُ"(٢٥).

إن هذا الضرب بتقرير العسكري لا يعدو أن ندخل لفظة بين ألفاظ البيت فيتوفر بذلك شرط الحل، زيادة اللفظة تعني زيادة في المعنى، فإذا أصبح لفظ فيه زيادة فقد أصبح غير البيت، وإذا معنى البيت معنى جديد، فزيادة اللفظة تخرج البيت من المنظوم إلى المنثور، فيصبح البيت المنثور غير بيت الشعر لفظاً ومعنى، والذي يجعل البيت يحلُّ بكلمة واحدة، هو إحكام بنائه إذ يلتزم فيه الشاعر بوزن وقافية ومعنى شعري، فالزيادة تفيد المعنى توكيداً وتقوية".

الثاني: ينحل بتأخير لفظة وتقديم أخرى فيحسن محلوله ويستقيم.مثاله قول البحتري:

نطلبُ الأكثر في الدنيا وقــد
نبلغُ الحاجـةَ فيهـا بالأقـلّ

ثم قال فإذا نثرت ذلك ولم تزد في ألفاظه شيئاً قلت: نطلب في الدنيا الأكثر، وقد نبلغ منها الحاجة بالأقل(٢٦).

إن التأخير والتقديم عملية تمس معنى البيت كما تمس مبناه، فالمبنى يتغير؛ لأن الوزن لا يستقيم، والمعنى يتغير بتقرير النحويين والبلاغيين الذين أصروا على أن التقديم والتأخير إنما يكون في الكلام للأهمية.

نلحظ في هذا الضرب أن لا زيادة في الكلام ولا نقص إلا أنه تغيير في ترتيب الكلمات، وهذا التغيير في الترتيب ربما لا يمس جوهر المعنى إلا مساً رفيقاً فيبقى البيت المنثور جميلاً ويحمل معنى جميلاً.

الثالث : أن يفعل الآخذ مثل ذلك التقديم والتأخير، فلا يحسن الكلام ولا يستقيم إلا بالالتجاء ضرورة إلى الزيادة فيه أو النقص منه.

مثاله قول البحتري:

يُسَـرُّ بعُـمْـران الدِّيار مُـضلَّلٌ
وعمرانها مستأنفٌ منْ خرابِها
ولم أرْتَض الدُّنيا أوان مجيئهَا
فكيف ارْتضائيها أوانَ ذَهَابهَا

فإذا نثر على الوجه قيل:"يُسَرُّ المضللُ بعُمران الدنيا ومن خرابها عمرانها مستأنف، ولم أرتض أوان مجيئها الدنيا فكيف أوان ذهابها ارتضائيها". وهو في نظره نثر فاسد، لكنك إذا غيرت بعض ألفاظه حسن، وهو أن تقول: "يُسَرُّ المضللُ بعمران الديار، وإنما تستأنف عمرانها من خرابها وما ارتضيت الدنيا أوان مجيئها فكيف أرتضيها أوان ذهابها"(٢٧).

ويتضح أنه لا يحسن البيت بسبب تغيير الكلام فيه. ولكن هل قصد العسكري بقوله "لا يستقيم" أن هذا البيت بعد تغيير ترتيبه قد خرج عن قاعدة نحوية، أم أنه أصبح سقيماً فوصفه بعدم الاستقامة مع مطابقته لقاعدة ؟.

إن وصف العسكري لهذا النوع من الحل بأنه فاسد مبني على أن التركيب فيه يكون سقيماً ولا يؤدي المعنى المطلوب.

ومن النظم ما لا يمكن حلّه أصلاً بتأخير لفظة وتقديم أخرى منه، حتى يلحق به التغيير والزيادة والنقصان، نحو قول الشاعر:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ
فلم يبقَ إلاّ صــورةُ اللحــم والدَّم

فالمصراع الأول يمكن أن يؤخر بعض ألفاظه ويقدم، فيصير نثراً مستقيماً وهو أن تقول "فؤاد الفتى نصف ولسانه نصف" ولا يمكن في المصراع الثاني ذلك، حتى تزيد فيه أو تنقص منه فتقول: لسان الفتى نصف وفؤاده نصف، وصورته من اللحم والدم لا غناء بهما دونهما ولا معول عليهما إلا معهما"[٢٨].

الرابع : أن تكسو ما تحلّه من المعاني ألفاظاً من عندك وهذا أرفع درجاتك. ويعده العسكري نوعاً من السرقة ويضرب مثالاً لذلك قول بعضهم للربيع بن خيثم، وقد رأى اجتهاده في العبادة : أتعبت نفسك، قتلت نفسك! فقال : راحتها أطلب !! أخذه الشاعر عباس ابن الأحنف فقال :

سَأَطلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمُ لِتَقْرَبُوا
وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّموعَ لِتَجْمُدَا

وقال عروة بن الورد:

تَقُولُ سُلَيمَى لَوْ أقَمْتَ بَأرْضِنا
وَلَمْ تَدْرِ أنِّي لِلمُقَامِ أطَوِّفُ[٢٩]

ويعلق العسكري على هذا الضرب بأنه أرفع درجات الحلّ، وهو نوع من السرقة ولكنها برأيه مباحة. وهو لا يرى بأساً في أخذ الشاعر معنى من المعاني شريطة أن يعرضه بمعرض حسن، وأن لا ينزل به في تعبيره عن صاحبه الذي أخذه منه[٣٠].

ويرى أن الأخذ والنقل يحتاجان إلى حذق وفطنة حتى يسلم المعنى للآخذ، ويكون من العسير على السامع أو القارئ أن يفطن إلى النقل أو يتنبه إلى الأصل ويصرح بذلك فيقول: "والحاذق يخفي دبيبه إلى المعنى يأخذه في ستره فيحكم له بالسبق إليه أكثر من يمر به، وأحد أسباب إخفاء السرقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده في نثر، أو من نثر فيورده في نظم، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر، فيجعله في مديح، أو في مديح فينقله إلى وصف إلا أنه لا يكمل لهذا إلا المبرز والكامل المقدم"[٣١].

ويبدو أن هذا النوع يبلغ فيه الناثر من التصرف درجة تجعل كلامه نثراً مستقلاً عن الشعر؛ إذ يصبح هَمُّ الناثر فيه أن يجمّل نثره ويحسّنه، والعسكري في هذا النوع ينزع نزعة شكلية ترى أن الألفاظ هي التي تحسن المعاني فنراه يقول: "إن المعاني مشتركة بين العقلاء، فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي... وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها"[٣٢]. ولا غرو في ذلك فهو من النقاد الذين يفضلون اللفظ على المعنى، ومن مدرسة الجاحظ[٣٣] التي تتشيع للصياغة وتتعصب للفظ، مع أنه في نظري أكثر مغالاة في تقدير قيمة اللفظ.

وربما كان هذا النوع من أنواع الكلام على الكلام وهو يمثل مرحلة من النقد هي ما نراه في أيامنا هذه من حديث النصوص على النصوص، فالتوحيدي أشار إلى أن النقد (كلام على الكلام)[٣٤].

وإذا قمت بصياغة قطعة نثرية على بيت شعري فأنت تنشئ كلاماً على الكلام فأنت ناقد بمفهوم البنيويين المحدثين ومن جاء بعدهم من التفكيكيين في النقد الغربي ومن تأثر بهم من النقاد العرب هذه الأيام.

إن عملية الإبداع فيما يرى العسكري تكمن في إخفاء السرقة عن طريق استخدام ألفاظٍ جديدة للمعنى، ثم في معرفة أنواع الشعر والطريقة التي يحل بها كل نوع، فإذا وضع الناثر يده على أنواع الشعر المذكورة التي أشار إليها العسكري، واستخدم لكل نوع منه طريقته الخاصة في نثره سواء أكان ذلك بإدخال لفظة بين ألفاظه، أم بالتقديم والتأخير أم غير ذلك مما بينه العسكري، فإن الناثر بذلك يكون مبدعاً في عملية حل النظم؛ لأنه استطاع أن يميز بين الأنواع المختلفة للشعر المراد حله.

أما بالنسبة إلى الأضرب الثلاثة الأولى فيبدو أن مجال الأديب أو الناثر فيها يبقى ضيقاً محدوداً ضمن معنى البيت كما يرى ذلك العسكري بخلاف الضرب الرابع الذي يكون مجال الإبداع فيه واسعاً.

ويبدو لي أن العسكري قد تأثر بابن قتيبة في تقسيمه المحلول من الشعر أربعة أضرب. فابن قتيبة[٣٥] قسم الشعر بالنسبة "للفظ والمعنى" إلى أربعة أضرب[٣٦]، وخصوصاً أن فكرة حلّ النظم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية اللفظ والمعنى إذ هي جزء لا يتجزأ منها.

وبهذه الطرق يكون العسكري "قد وضع بين يدي مزاولي مهنة الكتابة درساً في الاستفادة من أدب سابقيهم، ويوطئ لهم سبيل الانتفاع بآثار غيرهم، مبيناً لهم ما يحسن وما يقبح، وما هو ممكن أو غير ممكن، وتبقى للرجل أهم صفاته، وهي صفات العلم يرود لتلاميذه طرق الإجادة والإحسان"[٣٧].

٢ – علي بن محمد الهمذاني(٤١٤هـ):

طور الهمذاني فكرة حل النظم التي جاء بها سابقوه، في كتابه "المنثور البهائي"[٣٨] حيث تناولها من جانب واحد وهو حل الشعر ببعض ألفاظه وهو ما غلب على كتابه كله.

ويتألف الكتاب من مقدمة بين فيها رأيه في الكتابة ثم تسعة أبواب هي: باب الحماسة والمديح والنسيب والهجاء والأدب والأوصاف والتعازي والمراثي والملح، حيث اعتمد حماسة أبي تمام مصدراً أساسياً لاختياراته الشعرية إضافة إلى مصادر أخرى[٣٩].

أما حل النصوص الشعرية فقد اتبع الهمذاني طريقة حل الشعر ببعض ألفاظه،وكان يختار المقطوعات اختياراً ليحلها مما يدل على أنه ليس كل الشعر يمكن حله.

يقول في ذلك : "نظرت إلى أشعار العرب فتتبعت من ألفاظها ما هو بمذهب الترسل أليق ، وبطريق الكتابة آنس، وأخذته كما يؤخذ القضيب الأملس ثم رشته بما حضرني من الكلام، حتى صار سهما من السهام يعده الرامي وقت الحاجة، ويدخره القانص لساعة الفرصة"[٤٠].

ومنهج- حل الشعر ببعض ألفاظه- يغلب على الكتاب كله إلا في القليل النادر من الفصول حيث اتبع طريقة حل الشعر بلفظه وهو قليل نادر حيث أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه[٤١] .

ومن أمثلة حل الشعر ببعض ألفاظه قول الكميت بن معروف الفقعسي :

وإني وإن شابت مسائح لمتي
لكالسيف أفنى جفنه وهو قاطع
يصان إذا ما السلم أرخى قناعه
وقد جربت في الحرب منه الوقائع
ولست بجثام يبيت وهمه
قصير وإن ضاقت عليه المضاجع
إذا أعتقتني بلدة لم أكن لها
نسيبا ولم تسدد علي المطالع

قال في حله: "فلا يطمعن في بياض المشيب الناصع سواد العدو الماصع ، فإنني كالحسام الذي بلي غمده ونفي حده ، ولست بجثام إذا أعتقتني بلدة ولا بوقاف إذا اعترضتني شبهة ، ولكنني مضاء على الهول وطاء على الليل، لا تضيق علي المضاجع ولا تسد دوني المطالع"[٤٢] .

وعلى هذا النمط يقوم الهمذاني بحل الشعر في الأبواب التسعة التي أوردها في كتابه الذي يعد رائداً في مجال حل الشعر؛ لأنه يقدم أنموذجاً جديداً في مجال التأليف النثري ، الذي يبين اكتمال فكرة حل الشعر ونضوجها عند الكتاب الشعراء الذين مارسوا مهنة الكتابة السلطانية في بلاط السلاطين ، وعرفوا الأدوات الضرورية اللازمة لهذه المهنة التي لم يكن للعرب بها

عهد من قبل بل نمت وازدهرت في فترة متأخرة في الدولة الإسلامية .

والكتاب يبرز الهمذاني أديباً ناقداً له ذوقه الخاص الذي يتميز بحس مرهف وثقافة واسعة واطلاع على أشعار العرب فقد عرض من خلال مقدمته عدداً من القضايا النقدية من أهمها المفاضلة بين الشعر والنثر[٤٣] ، والقديم والجديد[٤٤].

٣ - أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) :

ألف كتاباً خاصاً في هذا الفن وسماه "نثر النظم وحل العقد" ويبدو أن الثعالبي متأثر بالهمذاني في هذا المجال ؛ لأن الثعالبي كان معجباً به وقد قال عنه : " أحد أفراد الزمان الذين ملكوا القلوب بفضلهم، وعمروا الصدور بودهم ، يرجع إلى أدب غزير وفضل كثير ..... "[٤٥] .

وكان قد بين في مقدمته سبب تأليفه لهذا الكتاب وأنه فعل ذلك رغبة من الملك "خوارزم شاه" وأنه قد كلفه بنثر الشعر المتضمن عليه كتاب "مؤنس الأدباء المترجم، وهنا لا بد من سؤال يطرح نفسه وهو ما السبب الذي جعل هذا الملك يكلف الثعالبي بتأليف هذا الكتاب في هذا الفن؟

يبدو من اسم هذا الملك أنه فارسي لا يعرف من العربية إلا القليل، فأراد أن يتعمق في اللغة العربية ويتعرف إلى جمال هذه الأشعار عن طريق نثرها، وخصوصاً أنه ملك تأتيه الشعراء لتمدحه فيريد أن يعرف ما يقوله هؤلاء من شعر أمامه، فعمد إلى الشعر ليعرف جماله عن طريق نثره فكلف الثعالبي، وهو رجل قيل عنه : "راعي تلعات العلم وجامع أشتات النثر والنظم"[٤٦] بنثر هذه الأشعار، ونراه بنثرها يتقرب إلى ولي نعمته الملك" خوارزم شاه" فقد جعل كتابه أبواباً وكل باب يشتمل على عدة رسائل من الشعر المنثور، فكان ينثر الشعر عن الكرم أو الشجاعة أو الوفاء فيجعلها له وهكذا فيما ينثره من معان كثيرة من كتابه[٤٧].

لم يتبع الثعالبي منهجاً معيناً في حله للشعر يعلم القارئ من خلاله طريقة النثر ولم يقم بتقسيم الشعر المحلول كما فعل العسكري من قبله، لذلك لا يعد كتابه كتاباً نقدياً، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن تأليف كتابه كان لغايات تيسير الشعر لهذا الملك، فهو من أنواع النثر الميسر لغايات الإفهام.

ولكن من يقرأ كتابه يجد أن طريقته في نثر الشعر كانت عن طريق إدخال ألفاظ بين ألفاظه، وذلك لزيادة المعنى من جهة ومن جهة أخرى لملاءمة حركة السجع، ويسترسل بعد ذلك فيكون رسالة إنشائية ونثر الشعر ببعض ألفاظه هي الطريقة التي اتبعها الهمذاني في كتابه "المنثور البهائي" ويبدو أن الثعالبي قد اتبع طريقته في حله الشعر ، وهي الطريقة الثانية عند العسكري .

مثال (١) قول ابن المعتز[٤٨]:

يا سيدي قد عثرت فخذ بيدي
ولا تدعني ولا تقل تعســـاً
واعف فإن عدت فاعف ثانية
فقد يداوي الطبيب من نكسا

يقول: "أنا أشكو إلى مولاي - أدام الله عزه - عثرة قدمي، وكثرة ندمي، وأساله أن يأخذ بيدي ولا يقول لي تعساً، بل ينعشني ثوب عفوه عني، فإن عدت للذنب فليعد للعفو، وإن رجعت إلى الكدر فليرجع إلى الصفو، فقد يعفو الله عند معاودة السوء الذي تأمر به النفس ويداوي الطبيب من يعرض له بعد إقبالة النكس والسلام"[٤٩].

مثال (٢) قول الشاعر:

إذا ما أتاه السائلون توقدت
عليه مصابيح الطلاقة والبشر
له في ذوي المعروف نعمى كأنها
مواقع ماء المزن في البلد القفر

يقول: " لنا والحمد لله ملك إذا أتاه السائلون وقصده الآملون، رأى في وجهه القمري البشري ماء البشر ويشرهم بالأمان من الدهر ووقعت نعماه منهم مواقع القطر في البلد القفر"(٥٠) .

٤ - أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) :

بحث حل الشعر في كتاب "البديع في نقد الشعر" حيث جمع "الحل والعقد" في باب واحد وقال: "إن الحل والعقد هو ما يتفاضل فيه الشعراء والكتاب، وهو أن يأخذ لفظاً منثوراً فينظمه، أو شعراً فينثره ويطارحه العلماء فيما بينهم"(٥١). ولم يأت بشيء جديد في كتابه، ولم يتأثر بمن قبله في حل الشعر من تلقاء نفسه، وكل ما فعله هو تتبع أخذ بعض المعاني بين الأدباء والشعراء وذكر أمثلة لذلك، من مثل قول عبد الله بن الزبير، لما قُتِلَ أخوه: "إن التسليم والسلوة لحزماء الرجال، وإن الجزع والهلع لربات الحجال"(٥٢).

عقده أبو تمام فقال:

خلقنا رجالاً للتجلد والأسى

وتلك الغواني للبكا والمآتم(٥٣)

ثم ذكر مناقلة المعنى بين أرسطوطاليس والمتنبي. مثال: (٢) من مناقلة المعاني بين أرسطوطاليس والمتنبي. قال الحكيم "باعتدال الأمزجة وتساوي أركان الأجناس يفرق بين الأشياء وأضدادها قال المتنبي:

وما انتفاع أخو الدنيا بناظره

إذا استوت عنده الأنوار والظلم

٥ - ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ)

بحث قضية "حل النظم" في كتابه "المثل السائر" ثم ألف كتاباً خاصاً بعد ذلك لهذه القضية سماه "الوشي المرقوم في حل المنظوم" ومهد للحديث عن حل الشعر بحديثه عن الكتابة وطرقها ، ثم قسم الحل إلى ثلاثة أنواع فقال: "ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها، وأظفرتني بكنوز جواهرها ؛ إذ لم يظفر غيري بأحجارها، فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا حل آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية، وحل الأبيات الشعرية"(٥٤).

ونراه يُسدي نصائحه إلى الكتاب وهي نصائح من معلم إنشاء مارس مهنة الكتابة السلطانية في بلاط السلطان "صلاح الدين الأيوبي" مع القاضي الفاضل والعماد الكاتب، فهي إذن صادرة عن تجربة لهذه المهنة العظيمة التي كانت تحتل مكانا بارزاً في ذلك العصر "عصر الحروب الصليبية ومن هذه النصائح يقول: "واعلم أن الكاتب يحتاج إلى التشبث بكل فن، والنظر في كل علم وإرصاد السمع لمحاورات الناس، فإنه لا يعدم من ذلك فائدة، فإن الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها"(٥٥).

ثم يقول: "إن صاحب هذه الصناعة ينبغي له أن يعلم ما تقوله النادبة في المآتم، وما تقوله الماشطة عند جلوة العروس، وما يقوله المنادي في السوق على السلعة... والكاتب لا حاصر له فيما يحتاج إليه في الكتابة؛ لأنه مكلف أن يأتي بما يقوله من ذات خاطره، والمعاني المستخرجة من الخواطر كعدد الرمل إكثاراً والقطر إدراراً"(٥٦).

ويتحدث بعد ذلك عن عدة الكاتب التي يحتاج إليها من يسلك طريق الكتابة فيقول: "وجدت خلاصة ما يحتاج إليه الكاتب ثلاثة أشياء: الأول: حفظ القرآن الكريم، والثاني: حفظ ما ينبغي له من الأخبار النبوية، والثالث: حفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد، مما يكون كل بيت منه في الجودة بمنزلة قصيدة من غيره"(٥٧).

ثم يعرف بعد ذلك الكاتب فيقول: (الكاتب عندي من إذا كلفته أن يكتب عنك كتاباً في أمر من الأمور، وأفضيت

له بالمعنى جملة واحدة، فصلّه واتى به على وجه إذا تأملته قلت: هكذا كان في نفسي ولكني لم أقدر أن أعبر عنه، فهو ينطق عن خاطرك بما لا تقدر أنت أن تنطق به"[٥٨]. ويتحدث بعد ذلك عن حل الشعر، وتفصيل أقسامه فيقول: "حل الشعر ينقسم إلى ثلاثة أقسام"[٥٩].

- القسم الأول: حل الشعر بلفظه:

وهو أدناها مرتبة: أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة - وهذا عيب فاحش - ومثاله كمن أخذ عِقْداً ، قد أُتقن نظمه ، وأُحسن تأليفه ، فأوهاه وبدده، وكان يقوم عذره في ذلك لو أن نقله عن كونه عقداً إلى صورة أخرى مثله، أو أحسن منه، وأيضاً فإنه إذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة، فيقال : "هذا شعر فلان بعينه، لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شيء"[٦٠].

وقد سلك هذا المسلك بعض العراقيين[٦١]، فجاء مستهجناً، لا مستحسناً، ولكن ما طالت ممارستي لهذا الفن، عقدته وحلته، وانكشفت لي خفاياه، لكثرة ما غربلته ونخلته، وقد وجدت من الأشعار ما لا يجوز تغيير لفظه وهو عشرة أنواع[٦٢]:

هي كل بيت تضمن مثلاً من الأمثال، وكل بيت تضمن قصة مشهورة، وكل بيت يتضمن ذكر ألفاظ تختص بعلم من العلوم من نحو أو حساب أو طب أو غير ذلك، وكل بيت تضمن ذكر قبيلة من القبائل أو بيت مشهور من بيوت العرب، وكل بيت تضمن ذكر معنى من معاني التشبيه وهذا التشبيه يكون بلفظ مخصوص دال على معنى مخصوص، فإذا غيّر لفظه زال ذاك المعنى، وكل بيت بلغ الغاية القصوى في البلاغة، فإذا بدل بغيره من الألفاظ أفسد ؛ لأنه لا يأتي إلا منحطاً عنه ونازلاً دونه، وكل بيت استعمل فيه التجنيس وهو الألفاظ المشتركة التي يكون لفظها واحداً ومعناها مختلفاً، وكل بيت شعر استعملت فيه ألفاظ المطابقة كاللفظ الدال على المعنى واللفظ الدال على ضده، مثل السواد والبياض والضحك والبكاء، وما يجري مجراه، وكل بيت ينحصر معناه في مقصد من المقاصد، وكل بيت تضمن ألفاظاً فرائد في محلها، لا يسد غيرها مسدها بحيث إذا أبدلت بما يرادفها تداعى بناء البيت.

وبهذا ينتهي ابن الأثير من المرحلة الأولى لـ"حل الشعر" وهي مرحلة "حل الشعر بلفظه"، ونلاحظ من تعليقه على هذا الضرب أنه عيب فاحش، مما يشير إلى رأيه في أن مجال الناثر فيه يبقى محدوداً ومقيداً ضمن معنى الأبيات، ولكن ما يلبث أن يقسم الشعر إلى عشرة أقسام مبيناً من الشعر ما لا يجوز تغير لفظه، واضعاً طريقة منهجية لمثل هذا النوع وما يجب أن نبقي من الألفاظ ضمن حل الشعر.

وابن الأثير في هذا القسم قد تأثر بالعسكري، الذي كان قد ذكر الضرب الثاني هو حل الشعر بلفظه عن طريق تقديم الألفاظ وتأخيرها مع مراعاة نظام الفصاحة في ذلك، وابن الأثير لم يرض بحل الشعر دون زيادة، بل عمد إلى زيادة ألفاظ في حله على غير ما جاء به العسكري.

- القسم الثاني وهو وسط بين الأول والثالث في المرتبة[٦٣]:

وهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه، ويعزم على البعض بألفاظ أخرى ، وهنا تظهر الصبغة في المماثلة والمشابهة، ومؤاخاة الألفاظ الباقية المرتجلة، فإنه إذا أخذ لفظاً مجيداً قد نقحه وصححه، فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة، ولا خفاء بما في ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن، والطريق المسلوك

إلى هذا القسم أن تأخذ بعض بيت من الأبيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم تماثله، وسأورد هنا مثالاً واحداً ليكون قدوة للمتعلم، فأقول:

قد أورد هذا البيت من شعر أبي تمام في وصف قصيدة له:

حَـذَّاء تملأُ كلُّ أذن حكمـةً
وبلاغـــــةً وتُدرُّ كلُّ وَرِيدِ

فقوله (تملأ كل أذن حكمة) من الكلام الحسن، وهو أحسن ما في البيت، فإذا أردت أن تنثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه، لأنه في الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة، فعليك حينئذ أن تؤاخيه بمثله، وهذا عسر جداً، وهو عندي أصعب منالاً من نثر الشعر بغير لفظه؛ لأنه مسلك ضيق، لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة.

وأما نثر الشعر بغير لفظه فذلك يتصرف فيه ناثره على حسب ما يراه ولا يكون مقيداً فيه بمثال يضطر إلى مؤاخاته، وقد نثرت هذه الكلمات المشار إليها فقلت: "وكلامي قد عرف بين الناس واشتهر وفاق مسير الشمس والقمر، وإذا عرف الكلام صارت المعرفة له علامة، وأمن من سرقته؛ إذ لو سُرق لدلت عليه الوسامة، ومن خصائص صفاته أن يملأ كل أذن حكمة، ويجعل فصاحة لسانه عجمة"(٦٤).

وهذه المرحلة الثانية من مراحل حل الشعر ينتهي ابن الأثير منها، ويعلق على هذه المرحلة بأنها أصعب منالاً من نثر الشعر بلفظه، والسبب أنه يجب أن تماثل ألفاظ الشعر بألفاظ أخرى في غاية الحسن والجودة، وهذه المرحلة لا يستطيع أن يسلكها إلا من كان أديباً موهوباً وقادراً على الإتيان بمثل ما جاء به الشاعر، بل بأحسن منه. وهذا القسم هو ما نجده عند العسكري وهو القسم الثاني من الضرب الثالث ، وهو الضرب الذي يلحقه التقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، وقد تحدث عنه العسكري وابن الأثير إلا أن الأخير قد طور هذا النوع، وحشد له الكثير من الأمثلة مبيناً ما يجب بقاؤه من البيت وما يجب حذفه.

- **القسم الثالث – وهو أعلى من القسمين الأولين**(٦٥):

وهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه، ومن ثم يتبين حذق الصائغ في صياغته، ويعلم مقدار تصرفه في صناعته، فإن استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية، أحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه.

واعلم أن من أبيات الشعر ما يتسع المجال لناثره، فيورده بضروب من العبارات، وذلك عندي شبيه بالمسائل السيالة في الحساب التي يُجاب عنها بعدد من الأجوبة ومن الأبيات ما يضيق فيه المجال حتى يكاد الماهر في هذه الصناعة لا يخرج عن ذلك اللفظ وإنما يكون هذا لعدم النظير.

فأما ما يتسع المجال في نثره فكقول أبي الطيب المتنبي:

إنَّ القتيلَ مضرجاً بدموعِهِ
مثلُ القتيلِ مُضرجاً بدمائِهِ

أخذت هذا المعنى فنثرته فمن ذلك قولي: "القتيل بسيف العيون، كالقتيل بسيف المنون، غير أن ذلك لا يجرد من غمده، ولا يقاد صاحبه بعمد" فزدت على المعنى الذي تضمنه البيت وغيرت اللفظ ومن ذلك وجه آخر. وهو دمع المحب ودم القتيل متفقان في التشبيه والتمثيل، إلا أنهما يختلفان لوناً" وهذا أحسن من الأول.

وأما ما ضاق في المجال فيعسر على الناثر تبديل ألفاظه كقول المتنبي:

وكان بها مثلُ الجنونِ فأصبحت
ومن جُثثِ القتلى عليها تمائمُ

فقلت في نثره: "سرى إلى حصن كذا مستعيدا منه

سبية نزعها العدو اختلاسا وأخذها مخادعة لا افتراسا، فما نزلها حتى استفادها، ولا نزلها حتى استعادها وكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائمه عزائم، وعلق عليها من رؤوس القتلى تمائم"[٦٦].

هذا القسم يعده ابن الأثير أعلى القسمين، وابن الأثير من النقاد الذين يرون أن الألفاظ تابعة للمعاني فيقول:"وان من شروط حسن السجع أن يكون الكلام في المسجوع تابعاً للمعنى لا المعنى تابعاً للفظ"[٦٧] ولعل السبب يعود إلى أن الكاتب ربما تضطره السجعة إلى لفظة تغير المعنى، ويرى أن الجيدين من الشعراء هم أقدر الناس على إبراز المعاني في صور جميلة مقبولة[٦٨].

بهذه الأقسام الثلاثة للمحلول أو المراحل الثلاثة من الشعر ، ينتهي ابن الأثير وقد جعل من المنظوم مدرسة متعددة المراحل لتخريج الكتاب، فابتكر السبل لذلك ووضع القواعد للوصول إليها، فيعد بذلك معلم إنشاء فقد نهج في طريقته هذه نهجاً تعليمياً، أبرز خلالها كيفية نثر الشعر وكيفية حله، وبين لنا الطرق المثلى في حله، وعلمنا أي الألفاظ يحق لنا أن نبقيها في حله وأيها يحق لنا أن نستبدل بها غيرها.

إن طريقته النثرية هذه "تحولت بنقده إلى وجهتين، أولاهما: تقريب المسافة بين الشعر والنثر[٦٩] ففي الوجهة الأولى يرى أن لا فرق بين الشعر والنثر في الموضوع ولكنهما لا يتطابقان تمام التطابق إذ تبقى بينهما مسافة صغيرة منها أن المعاني في الشعر أغزر، والسر في ذلك لأن الشعر كان أغلب على العرب على مر الزمن فأودعوه كل المعاني، ولهذا صح لمن يريد إجادة النثر أن يدرس الشعر أولا لكي يهتدي إلى المعاني التي ينثرها ويحلها في رسائله وإنشائه[٧٠]. أما الوجهة الثانية، فإن ابن الأثير سحب إيثاره للمعنى على تاريخ الأدب العربي كله فتصور أن العرب كانت تهتم بالمعاني وأن الاهتمام بالمعاني إنما يدل على تقدير للمعنى[٧١] .

ولكن هناك عدداً من المآخذ على ابن الأثير في حله للشعر:

١ - هناك الكثير من الألفاظ الغامضة في حله للشعر تحتاج إلى تفسير، وكأني به قد وضع هذا الكتاب لتعليم الكتابة للسلاطين والأمراء ومن هم في مستواهم.

٢ - كان يرى نفسه فوق الكتاب في حله للشعر، يقول في ذلك: "وقد سلك هذا المسلك بعض العراقيين ، فجاء مستهجناً لا مستحسناً" ويقول أيضاً: "ولئن سبقني إلى حل الشعر سابق، فإنه ركب هجيناً لا هجاناً، وظن خواطره فيه سميعة بصيرة وكانت صُمّاً وعُمْيَاناً"[٧٢].

٣ - كما أخذ الصفدي على ابن الأثير استسلامه لهذا المنظوم حتى أصبح إنشاؤه فكراً شتى من صنع غيره فقال: "وأما ابن الأثير فإنه أكثر من الحل وأتى فيه بما حرم وحل وزاد من رقمه في بروده، وبالغ من نظمه في عقوده"، وقد نهجَ طريقة ابن الأثير من النقاد ابن الأثير الحلبي في كتاب "جوهر الكنز" حيث ذكر الأقسام الثلاثة[٧٣] دون أي زيادة تذكر.

٦ - شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) :

تعرض لحل الشعر في أثناء حديثه عن الكتابة وأدواتها وخصائصها في الجزء السابع من "نهاية الأرب في فنون الأدب" فقال: "وأما الحل فهو باب متسع المجال، وملاك أمر المتصدي له أن يكون كثير الحفظ للأحاديث النبوية والآثار والأمثال والأشعار لينفق منها وقت الاحتياج إليها. وكيفية الحل أن يتوخى هدم البيت المنظوم وحل فرائده من سلكه، ثم يرتب تلك الفرائد وما شابهها ترتيب متمكن لم يحصره الوزن، ويبرزها في أحسن سلك، وأجمل قالب، وأصح سبك، ويكملها بما يناسبها من أنواع البديع

إن أمكن ذلك من غير كلفة، ويتخير لها القرائن، وإذا تم معه المعنى المحلول في قرينة واحدة، يغرم له من حاصل فكره، أو من ذخيرة حفظه ما يناسبه، وله أن ينقل المعنى إذا لم يفسده إلى ما شاء، فإن كان نسيباً وتأتى له أن يجعله مديحاً فليفعل، وكذلك غيره من الأنواع وإذا أراد الحل بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبة لألفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها، فمتى قصرت عنها ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحل وعد معيباً، وإذا حل باللفظ فلا يتصرف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل إلا مع مراعاة نظام الفصاحة في ذلك، واجتناب ما ينقص المعنى ويحط رتبته"[٧٤].

ولو تأملنا ما جاء به النويري نجد ما يلي:

١ - تحدث عن عدة الكاتب ومن يريد أن يسلك سبيل حل الشعر فأوجب عليه أن يكون كثير الحفظ للأحاديث والآثار والأمثال والأشعار؛ ليستشهد بها وقت الحاجة.

٢ - حل الشعر عنده هو تفكيك البيت من شروطه الشعرية مع المحافظة على ألفاظه ثم إعادة ترتيبها ترتيب متمكن في أجمل تأليف ونظام، ويجوز له أن ينقل المعنى بعد الحل، فإذا كان المعنى نسيباً وأراد أن يجعله مديحاً فليفعل ذلك أو غير ذلك ثم نراه يقسم الحل إلى قسمين:

الأول: الحل بالمعنى. ويشترط أن تكون ألفاظه مختارة غير قاصرة عن ألفاظ البيت الأصلي.

والثاني: الحل باللفظ. يجب أن يتصرف الناثر بالتأخير والتقديم بحيث لا يخرج بذلك عن قاعدة نحوية ويراعي بذلك نظام الفصاحة باجتنابه ما ينقص المعنى ويحط رتبته.

والنويري بهذا يكون قد تأثر بمن قبله كابن الأثير والعسكري في حل الشعر .

٧ - جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ) :

واشترط جلال الدين القزويني لقبول نثر النظم شيئين[٧٥]:

الأول: أن يكون سبكه مختاراً لا يتقاصر عن سبك أصله.

والثاني: أن يكون حسن الموقع مستقراً في حله غير قلق، وذلك كقول بعض المغاربة "فأنه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذي يعتاده".

حلّ قول المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءتْ ظنونه
وصدّق ما يعتاده من توهُّمِ

جاء في شروح التلخيص في هذا ما يلي: "إن شرط كون الحل مقبولا أمران: أحدهما: راجع للفظ، والآخر للمعنى، الأول: لأن يكون سبك ذلك النثر مختاراً أي أن يكون تركيبه حسناً، بحيث لا يقصر في الحسن عن سبك النظم وذلك بأن يشتمل على ما ينبغي مراعاته في النثر بأن يكون كهيئة النظم؛ لكونه مسجعاً ذا قرائن، فلو لم يكن كذلك لم يقبل، كما لو قيل في حل البيت الآتي: إن الإنسان لا يظن بالناس إلا مثل فعله ونحو ذلك"[٧٦].

والآخر أن يكون ذلك النثر حسن الوقوع غير قلق وذلك بأن يكون مطابقاً لما تجب مراعاته في البلاغة مستقراً في مكانه الذي يجب أن يستعمل فيه، فلو كان قلقاً لعدم مطابقته أي مضطرباً لعدم موافقته لمحله لم يقبل، وليس من شرطه أن يستعمل في نفس معناه، بل لو نقله من هجو لمدح مثلا مع كونه مطابقا مثل: "قول بعض المغاربة - جمع مغربي - فالتاء في الجمع عوض عن ياء النسبة التي في المفرد، وقوله كقول بعض المغاربة أي في وصف شخص يسيئ الظن بالناس لقياس غيره على نفسه، قوله، (فعلاته) أي: أفعاله (حنظلت نخلاته) أي: ثمار

نخلاته فهو على حذف مضاف، والمراد بأثمار نخلاته نتائج أفكاره، كما أن المراد بالنخلات: الأفكار، والمراد بحنظلة النتائج: قبحها أو هذه الجملة أن قوله وحنظلت نخلاته: استعارة تمثيلية فقد شبه حال من تبدلت أوصافه الحسنة بغاية ما يستقبح من الأوصاف بحال من له نخلات تثمر الحلو ثم انقلبت تثمر مُرّاً في كون كل منهما فيه تبدل ما يستملح بما يستقبح"(٧٧).

وواضح من شروط القزويني وما جاء به النويري أن كلاً منهما قد تأثر بالآخر وخصوصا أنهما عاشا في حقبة واحدة.

٨ – صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)

تعرض لقضية حل النظم في كتابه "نصرة الثائر على المثل السائر" حيث قال:"وحل المنظوم إنما هو نوع واحد، وقسم لو فُقِد ما كان عليه واجد، وما لم يكن فيه خفة تروّجه، وحلاوة تقرنه بالسمع وتزوجه، لم يعلق بالسمع قرطه، ولم يجاز بالقبول شرطه، وما أمثله إلا بعقد نثرت حباته، وروض صوحت زهراته، فأي حسن لقريض خانه وزنه، وأي نضارة لروض جفاه مزنه، اللهم إلا أن يكون المنشئ سليم الفطرة، قويم الفكرة، يستدرك على الناظم ما فاته، ويرهف صارمه ويثقف قناته، إما باحتراز ما لم يحد عنه أو الإتيان بملائم لم يتمكن لضيق الوزن منه، أو باختصار ما يقوم المعنى بدونه، أو بزيادة زهر في غصونه، أو بجودة سبكه أو بإتقان حبكه، وهنا تظهر القدرة المتمكنة، وتكون أدلة الفصاحة بينة"(٧٨).

إن ما جاء به الصفدي في حل المنظوم يختلف عما جاء به ابن الأثير من تقسيم حل المنظوم ومراحل ذلك، فالصفدي يشترط أن يرد حل المنظوم الأديب الموهوب القادر على حله بحيث إذا ورد حدائق الشعر ميز بين الشعر الحسن والشعر الرديء، فيتأثر بالحسن الرائع، ويعدّل في الشعر الرديء حتى يعوض للمنظوم ما فقده عند الحل من مميزاته الشعرية الكثيرة من أمثال الوزن والقافية وغيرها، فالذي يرد هذه الحدائق الشعرية يجب ألا يقل في موهبته الأدبية وسلامة ذوقه وقدرته على الإتيان بما كان عليه الشعر، بل أحسن منه، عن الشاعر بحال، بل يجب أن يفقه حتى يستطيع استدراك ما يراه في شعر الشاعر من زيادة أو نقصان أو غيرها.

قام اختيار الشعر المحلول على أسس جمالية ، وكان الشعر على مستوى عال من النظم والجمال ، وهذا يعني أن النقاد كانوا يبحثون عن معاني سامية ليحلوها في نثرهم، فينقلوها من النظم إلى الشعر وبالتالي سيدخل المعنى من الخطاب الشعري إلى الخطاب النثري وهنا لا بد من طرح السؤال التالي : هل يبقى المعنى المنقول كما هو في الخطابين ؟ بمعنى : هل يكون المعنيان مترادفين ؟

لقد أجرى بعض الباحثين دراسة على الترادف بين المعنى المنقول من الشعر إلى النثر وبين أن الترادف لم يكن ترادفاً كاملاً بين المعاني المنقولة ، حيث ظل لكل كلمة إيحاءاتها الخاصة بها، وأسلوبها في التأثير وسياقها اللغوي المحدد الذي هيأ لها عوامل إضافية في الإيحاء بحيث استحال أن يكون للكلمة الواحدة في الصيغتين التأثير نفسه ولذلك فإن شكل المعنى يكون مختلفاً في كل صيغة(٧٩) .

إن الصياغة الشعرية تختلف عن الصياغة النثرية على الرغم من أنهما يقعان ضمن نظام بلاغي متماثل ، إلا أن الكلمة تؤدي داخل النثر دوراً يختلف عنه داخل الشعر ومن هنا يبرز دور موسيقى الشعر في إظهار المعنى وتوضيحه(٨٠) ، فموسيقى الشعر ترتبط ارتباطاً عضوياً بالنص فهي عنصر أساس يدخل في ترتيب الصياغة الشعرية كما أنها تساعد في إنتاج دلالات خاصة بها ؛

لذلك فهي محور رئيسي لدراسة النص الشعري وتفسيره[81] ، والكشف عن الطاقات الجمالية فيه ، فموسيقى الشعر تعد من مقوماته الأساسية التي إذا فقدها فقد خاصية من الخصائص الكبرى التي تميزه عن النثر ، فالنثر له موسيقاه وإيقاعه ، ولكنهما يختلفان في نسقهما أكبر الاختلاف عن موسيقى الشعر وعن إيقاعه المنظم المحدد[82] .

نتائج البحث

- إن حل النظم قضية اهتم بها الكتاب من النقاد دون غيرهم، فجمعوا الشعر والمختارات منه بهدف التعليم؛ لأنهم وجدوا أن الشعر يحتوي المعاني الغزيرة وهو في الوقت نفسه عملية سهلة لتعليم التلاميذ أو المبتدئين فن الكتابة.
- وجدت هذه الفكرة عند أبي الهلال العسكري وقام بتنفيذها على أكمل وجه ضياء الدين بن الأثير فجعلها مدرسة قائمة لها قواعد وأصول في طريقة حل الشعر وبين بأسهل الطرق وأيسرها كيفية الحل .
- ارتبطت مسألة حل النظم بقضية السرقات فعدت نوعاً من أنواع السرقات المباحة عند النقاد الذين اعتنوا بحل الشعر وليسوا من النقاد الفحول بل هم من الأدباء الكتاب الذين اعتمدوا على الجمع والمختارات لتعليم الكتابة .
- يعد الحل نوعاً جديداً من التأليف ولوناً من ألوان النثر ويعبر عن تطور النثر وتشكله في قوالب جديدة في القرنين الرابع والخامس الهجريين .
- المختارات الشعرية التي اختيرت للحل قيمتها الفنية عالية وسبب ذلك أن الأدباء الكتاب هم شعراء أيضاً فهم أعرف بالتمييز من غيرهم بأنواع الشعر جيده ورديئه .
- إن مصطلح حل النظم اختفى في الدراسات الحديثة، فلا توجد له إشارة في الكتب النقدية الحديثة على الرغم من أن العملية التعليمية لابد أن تستند بشكل أو بآخر إلى مفهوم حل النظم فكل الشروحات والدراسات الحديثة عن الشعر هي في باب حل الشعر ولكن لا نجد إشارة إلى هذا المصطلح في دراسات المحدثين يرفض المحدثون.

الهوامش

١ – حل النظم بحث في نمط من الحيل الأسلوبية. أحمد صبره، مجلة علامات في النقد -، مج ٨٩، ج٣، ديسمبر ١٩٩٨م، ص ٢٧٠.

٢ – انظر: دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني؛ تعليق محمد رشيد رضا -. بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٢م، ص ٦٤ وما بعدها.

٣ – ذكر ابن الأثير ثلاثة أنواع للحل هي: حل الآيات القرآنية وحل الأحاديث الشريفة وحل الشعر، وسيقتصر الحديث في هذا البحث على حل الشعر. انظر: المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير؛ تحقيق أحمد الحوفي -. القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ت) ج١ ص١١٤، ١٢٧.

٤ – انظر: التلخيص – الإمام القزويني -. بيروت : دار الكتاب العربي، د.ت ص٤٢٦، وشروح التلخيص -. مصر: ط عيسى البابي الحلبي، ج٤، ص٢٢٣، وموسوعة العلوم الإسلامية، التهانوي -. بيروت : عيسى، خياط، د.ت ، ج٢، ص٤، ٦.

٥ – المعجم المفصل في الأدب . محمد

التونجي ·- ط٢ ·- بيروت : دار الكتب العلميــــة، ١٩٩١م)ج١، ص٣٧٨.

٦ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب.

٧ - الصناعتين، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ)؛ تحقيق مفيد قميحة ·- بيروت : دار الكتب العلمية: ١٩٨١م ، ص١٥٧.

٨ - عيار الشعر. ابن طباطبا العلوي؛ تحقيق عباس عبد الستار ·- ط١·- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م ، ص١١.

٩ - حل النظم. أحمد صبرة، ص٢٧٣.

١٠- عيار الشعر. ابن طباطبا، ص٨١.

١١- الوشي المرقوم في حل المنظوم. ضياء الدين بن الأثير؛ تحقيق جميل سعيد ·- بغداد : مطبعة المجمع العلمي الوافي، ١٩٨٩م، ص٥٥.

١٢- عيار الشعر. ابن طباطبا، ص١٣.

١٣- نثر النظم وحل العقد. عبد الملك بن محمد الثعالبي ·- بيروت : دار الرائد العربي، د.ت، ص٥.

١٤- الحيوان. عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)؛ تحقيق عبد السلام هارون ·- ط٢ ·- المجمع العلمي الإسلامي ، ١٩٦٩م ، م٣ ص٢١١.

١٥- انظر: عيار الشعر. ابن طباطبا، ص١٢ وما بعدها.

١٦- الحيوان، ج٣، ص١٣١-١٣٢.

١٧- الصناعتين. العسكري، ص٢١٧.

١٨- نقد الشعر لأبي قدامة بن جعفر؛ تحقيق كمال مصطفى ·- ط٣ ·- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٨م ، ص١٩.

١٩- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده. ابن رشيق القيرواني؛ تحقيق محمد محيي الدين ·- دار الجيل للنشر والتوزيع، د.ت، ج٢، ص٩٣.

٢٠- أشار إلى هذه القضية قبله ابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) ولكنه لم يناقشها، إذ ربط الشعر بالرسائل وأكدّ أنه يجب على الشاعر أن يسلك مسلك أصحاب الرسائل في بلاغتهم، فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل.انظر: عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، ص٤٤.

٢١- انظر: الصناعتين، ص٢١٧، ٢١٨.

٢٢- المرجع نفسه، ص٢١٨.

٢٣- المرجع نفسه ، ص٢١٩.

٢٤- انظر: المرجع نفسه، ص٢٣٧.

٢٥- الصناعتين. أبو هلال العسكري، ص٢٣٧.

٢٦- المرجع نفسه ص٢٣٨.

٢٧- الصناعتين. أبو هلال العسكري، ص٢٣٨.

٢٨- الصناعتين. أبو هلال العسكري، ص٢٣٨.

٢٩- المرجع نفسه ، ص٢٣٩.

٣٠- الصناعتين. أبو هلال العسكري، ص٢١٧.

٣١- المرجع نفسه ، ٢١٧.

٣٢- المرجع نفسه، ٢١٩.

٣٣- انظر: النظرية النقدية عند العرب. هند حسين طه ·- بغداد : وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ص١٧٩.

٣٤- الإمتاع والمؤانسة. أبو حيان التوحيدي؛ ضبطه وصححه أحمد أمين·- بيروت: دار الحياة، د.ت، ج٢، ص١٣١.

٣٥- يعد ابن قتيبة أول مَن ألف في الكتابة وأدواتها فصنف كتابه المعروف أدب الكاتب إلا أنه لم يتعرض لمسألة حل النظم ضمن المعارف التي يجب على الكاتب إتقانها. انظر أدب الكاتب. ابن قتيبة محمد بن عبد الله(٢٧٦هـ)؛ تحقيق محمد الدالي ·- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م .

٣٦- انظر: "الشعر والشعراء"لابن قتيبة؛ تحقيق أحمد محمد شاكر·- القاهرة : دار المعارف، د.ت ، ج١ص٦٤ وما بعدها.

٣٧- أبو هلال العسكري ومقاييسه النقدية والبلاغية؛ تحقيق بدوي طبانة ·- ط٣ ·- بيروت : دار

الثقافة، ١٩٨١م ، ص١٧٩.

٣٨- جاء عنوان الكتاب المصور عن مخطوطة رقم (١٣٩٨) في مكتبة كوبريلي بإستطنبول"منثور المنظوم للبهائي" وهو من منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية وهذا خطأ، والعنوان الصحيح للكتاب هو المنثور البهائي وقد أثبت صحة ذلك عبد الرحمن الهليل في تحقيقه الكتاب. انظر المنثور البهائي لأبي سعيد علي بن محمد الهمذاني(٤١٤هـ) دراسة وتحقيق عبد الرحمن الهليل.- ط٢ .- بيروت : دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م ، ص٤٧.

٣٩- انظر: المرجع السابق نفسه، ص٤٨.

٤٠- انظر: المنثور البهائي ، ص٨٧.

٤١- انظر: المرجع السابق نفسه، ص٨٨.

٤٢- انظر : المنثور البهائي ص١٤٨، ١٤٩.

٤٣- انظر: المرجع نفسه ص ٨٤ .

٤٤- انظر: المرجع نفسه ص ٩٨.

٤٥- يتيمة الدهر ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ؛ تحقيق مفيد قميحة .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ، ج٣ ص٤٧٦.

٤٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان؛ تحقيق إحسان عباس .- بيروت: دار صادر، ج ٣، ص١٧٨.

٤٧- انظر: نثر النظم وحل العقد. أبو منصور الثعالبي .- ط بيروت: دار الرائد العربي، ص٢٠ وما بعدها.

٤٨- المرجع نفسه، ص٩٦.

٤٩- نثر النظم وحل العقد، ص٩٦.

٥٠- انظر: المرجع نفسه، ص٩٧.

٥١- البديع في نقد الشعر. أسامة بن منقذ ؛ تحقيق علي مهنا .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ص٢٦٣.

٥٢- المرجع نفسه، ص٢٦٤.

٥٣- البديع في نقد الشعر، ص ٢٧٠ وما بعدها، وقد أورد هذه المناقلة بين المتنبي والحكيم ارسطوطاليس ابن الأثير الحلبي حرفياً انظر: جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي ؛ تحقيق محمد زغلول سلام .- الإسكندرية : منشأة المعارف ١٩٨٠م ، ص١٩٥ وما بعدها.

٥٤- المثل السائر . ضياء الدين بن الأثير ، ص ١٠١ .

٥٥- الوشي المرقوم في حل المنظوم . ضياء الدين بن الأثير ؛ تحقيق جميل سعيد .- بغداد : المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٩م، ص٤٨.

٥٦- المرجع نفسه، ص٤٩.

٥٧- المرجع نفسه، ص٥٠.

٥٨- المرجع نفسه، ص٥٧.

٥٩- انظر: المثل السائر، ص١٠٣، الوشي المرقوم ص٥٧ وما بعدها.

٦٠- المثل السائر، ص١٠٣.

٦١- يشير ابن الأثير هنا إلى الهمذاني حيث انتقده في هذا الأمر وعرض بفعله . انظر: المنثور البهائي ، مقدمة التحقيق ص ، ٥٨ .

٦٢- انظر: الوشي المرقوم، ص٥٧ وما بعدها.

٦٣- انظر: المثل السائر، ص١٠٥.

٦٤- انظر: المثل السائر – ص١٠٥.

٦٥- المثل السائر – ص١٠٥، ١٠٦.

٦٦- المثل السائر، ص١٠٥، ١٠٦.

٦٧- المثل السائر، ص١١٧.

٦٨- المثل السائر، ١١٨.

٦٩- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس .- بيروت : دار الثقافة ١٩٨٦م ، ص٥٩٣.

٧٠- انظر: المثل السائر، ج ١ ص٢٣٧.

٧١- انظر : المرجع نفسه ج٢ ص٦٥، ٦٦.

٧٢- الوشي المرقوم، ص٤٦.

٧٣- انظر: جوهر الكنز. أحمد بن إسماعيل الحلبي؛ تحقيق محمد زغلول سلام .- الإسكندرية : منشأة المعارف ، ص٦٠٧.

٧٤- نهاية الأرب في فنون الأدب. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

النويري ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د ت ج٧، ص١٨٣.

٧٥- انظر: التلخيص في علوم البلاغة . الإمام جلال الدين القزويني؛ ضبطه عبد الرحمن البرقوقي ٠- بيروت : دار الكتاب العربي ، ص٤٢٦. والإيضاح ٠- بيروت : دار الهلال، ١٩٩١م ، ص ٣٤٧.

٧٦- شروح التلخيص؛ تحقيق محمد هاشم دويدري ٠- ط٢ ٠- بيروت: دار الجيل ١٩٨٢م ، ص٥٢٣.

٧٧- المرجع نفسه، ص٤، ٥.

٧٨- نصرة الثائر على المثل السائر . صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي؛ تحقيق محمد علي سلطاني٠- دمشق : مجمع اللغة العربية ، د . ت ، ص٩١ .

٧٩- انظر: حل النظم - بحث في نمط من الحيل الأسلوبية . أحمد صبرة ص ٢٩٠ وما بعدها .

٨٠- فطن بعض النقاد القدماء إلى الوظيفة الإيحائية للموسيقى فقال : " زعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه ، فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع، فلما ظهر عشقته النفس وحنت إليه الروح " . العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي؛ شرح أحمد أمين وأحمد الزين ٠- ط دار الكتاب ج ٣ ص١٧٧.

٨١- هناك دعوة عند النقاد المهجريين للتخلص من العروض والقافية جاءت عند ميخائيل نعيمة في مقاله عن الزحافات والعلل، حيث بين أن الأوزان والقوافي ليست من ضرورات الشعر وأن عروض الخليل قد أساء إلى الشعر والأدب عامة ومن هنا دعوا إلى الشعر المنثور وجاراهم في ذلك بعض الأدباء في المشرق. انظر: الغربال. ميخائيل نعيمه ٠- بيروت : مؤسسة نوفل ، ١٩٨٤ م ، ص ١١٦ - ١١٨ .

٨٢- انظر: النقد والنقاد المعاصرون . محمد مندور ٠- القاهرة : نهضة مصرللطبع والنشر، د.ت ص١٩٢.

المصادر والمراجع

١ - **أبو هلال العسكري ومقاييسه النقدية والبلاغية**. بدوي طبانة ٠- ط٣٠- بيروت: دار الثقافة، ١٩٨١م.

٢ - **أدب الكاتب** لأبي محمد عبدالله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)؛ تحقيق محمد الدالي ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.

٣ - **أسس النقد الأدبي**. أحمد بدوي٠- القاهرة : دار نهضة مصر. د.ت .

٤ - **الإمتاع والمؤانسة**. أبو حيان التوحيدي؛ صححه وضبطه أحمد أمين، منشورات دار المكتبة الحياة.

٥ - **الإيضاح** . الخطيب القزويني ٠- بيروت : دار الهلال ، ١٩٩١م .

٦ - البديع في نقد الشعر. أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)؛ تحقيق علي مهنا٠- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م .

٧ - **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**. إحسان عباس٠- بيروت : دار الثقافة، ١٩٨١م .

٨ - **التلخيص في علوم البلاغة**. الإمام القزويني؛ ضبطه عبد الرحمن البرقوقي٠- بيروت : دار الكتاب العربي، د.ت.

٩ - **جوهر الكنز**. ابن الأثير الحلبي؛ تحقيق محمد زغلول سلام ٠- الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٨٠م.

١٠- **الحيوان**. عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون ٠- ط٢ ٠- المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٩٦٩م.

١١- **دلائل الإعجاز**. عبد القاهر الجرجاني؛ تعليق محمد رشيد رضا.- بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.

١٢- **شروح التلخيص**؛ تحقيق محمد هاشم دويدري .- ط٢ .- بيروت: دار الجيل، ١٩٨٢م .

١٣- **الشعر والشعراء** . ابن قتيبة الدينوري؛ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.- القاهرة : دار المعارف، د.ت .

١٤- **الصناعتين** . أبو هلال العسكري؛ تحقيق مفيد قميحة .- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨١م .

١٥- **العقد الفريد**. ابن عبد ربه أحمد ابن محمد الأندلسي؛ شرح أحمد أمين ، وأخرين .- بيروت : دار الكتاب العربي، د.ت .

١٦- **العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده** . ابن رشيق القيرواني؛ تحقيق محمد محيى الدين .- دار الجيل للنشر والتوزيع، د.ت.

١٧- **عيار الشعر** . ابن طباطبا العلوي؛ تحقيق عباس عبد الستار .- ط١.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م.

١٨- **الغربال** . ميخائيل نعيمة .- بيروت: مؤسسة نوفل، ١٩٨٤م.

١٩- **المثل السائر**. ضياء الدين بن الأثير؛ تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة .- ط القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت.

٢٠- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**. أحمد مطلوب

٢١- **المعجم المفصل في الأدب**. محمد التونجي.- ط٢ .- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

٢٢- **مناهج النقد الأدبي عند العرب**. هاشم ياغي واخرون .- ط١ .- عمان : جامعة القدس المفتوحة ، ١٩٩٧م .

٢٣- **المنثور البهائي** لأبي سعيد الهمذاني (ت ٤١٤هـ) ؛ تحقيق عبد الرحمن الهليل.- ط٢.- بيروت: دار الغرب الاسلامي ، ٢٠٠٢م .

٢٤- **موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية**. الشيخ المولوي محمد أمل بن علي التهانوي .- بيروت: خياط، د.ت.

٢٥- **نثر النظم وحل العقد** - عبد الملك ابن محمد الثعالبي .- بيروت: دار الرائد العربي، د.ت.

٢٦- **نصرة الثائر على المثل السائر** . صلاح الدين خليل أيبك؛ تحقيق محمد علي سلطاني .- دمشق : مجمع اللغة العربية، د.ت .

٢٧- **النظرية النقدية عند العرب** . هند حسين طه .- بغداد : منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨١م .

٢٨- **نقد الشعر**. لأبي الفرج قدامة بن جعفر؛ تحقيق كمال مصطفى .- ط٣ .- القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م .

٢٩- **النقد والنقاد المعاصرون** . محمد مندور .- القاهرة : نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت .

٣٠- **نهاية الأرب في فنون الأدب** . شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٣١- **الوشي المرقوم في حل المنظوم** . ضياء الدين بن الأثير؛ تحقيق جميل سعيد .- بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٩م.

٣٢- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان؛ تحقيق إحسان عباس .- بيروت : دار صادر ، د.ت .

٣٣- **يتيمة الدهر**. أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)؛ تحقيق مفيد قميحة.- ط١.- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ .

الدوريات

١ - حل النظم : بحث في نمط من الحيل الأسلوبية، **مجلة علامات في النقد**.- مج٨٩،ج٣، ديسمبر ١٩٩٨م.

التأويل عند ابن جنّي

(الفسر نموذجاً)

محمد فرحان طرابلسي

طالب دراسات عليا – دكتوراة – كلية الآداب – جامعة البعث – سورية

ملخص البحث :

«يعدّ التأويل وسيلة من الوسائل التي عالج بها النحويون التعارض القائم بين القانون الإعرابي والحالة المخالفة له في النص . وقد ظفر التأويل بنصيب وافر من اهتمام ابن جني ، حيث تجلّت فيه براعته ، وقدراته العقلية التي أهّلته – بجدارة – أن يكون أحد أعلامه المبرزين . وليس من هدف هذا البحث أن يخوض في ضروب التأويل وتشعباته، مما هو موضوع مؤلفات متخصصة، وإنما هدفه الوقوف على جوانب محددة من المفاهيم النظرية التي انطلق منها ابن جني، واعتمد عليها في تأويل شعر المتنبي في كتابه الموسوم بـ «الفسر» ، وهذا ما يحاول هذا البحث أن يلمّ به ، ويكشف النقاب عنه» .

يتخذ التأويل عند ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) مسارين اثنين . أمّا أولهما فيعنى بتفسير المفردة أو التركيب على نحو يدفع عنها شائبة اللحن أو الوهم الذي يسبق إلى اللسان ، وأمّا الثاني فيعنى بتوجيه النصوص الفصيحة التي يُخلُّ بها مخالفتها للقواعد ليجد لها وجهاً من التأويل يُسوّغ به مجافاتها للمألوف ، ومخالفتها للمطرد الشائع .

وينبغي لنا – بدياً – أن نعي أن اهتمام ابن جني بالتأويل ، وإيغاله في مساربه ممّا تمثّل في تتبّعه للقراءات الشاذة، وبسط القول على غامضها ، فضلاً عن اهتمامه بإعراب «مشكل الحماسة» و«مشكل المتنبي» وأضرابهما، لم يبلغ حدَّ الدفاع عن الخطأ الصريح الذي لا يملك سبباً من أسباب الصحة ، بل غاية ما يواجه به هذه الحالات المروية عمن عرفوا بفصاحتهم وقوة ملكتهم ، أن يعتذر عنها ، فينعتها بالسهو الذي تزلُّ به ألسنة الناطقين باللغة لأدنى ملابسة أو شبهة ، فإن لم يكن الأمر كذلك ، وكان مخالفاً لمقاييس العربية المطَّردة ؛ لجأ إلى مفهوم الضرورة مستمداً منه مسوغات القبول ودعائمه [1] .

وقد عقد ابن جني باباً في كتابه «الخصائص» سمّاه (باب فيما يرد عن العربي مخالفاً لما عليه الجمهور) قال فيه: «إذا اتفق شيءٌ من ذلك نُظر في حال ذلك العربيّ وفيما جاء به ، فإنْ كان الإنسان فصيحاً في جميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به ، وكان ما أورده ممّا يقبله القياس ، إلاّ أنّه لم يرد به استعمال إلاّ من جهة ذلك الإنسان ، فإنَّ الأولى في ذلك أن يُحسن الظنّ به ، ولا يُحمل على فساده ... فإن لم يكن القياس مسوغاً له ، كرفع المفعول ، وجرّ الفاعل ، ورفع المضاف إليه ، فينبغي أن يُردّ ، وذلك لأنّه جاء مخالفاً للقياس والسماع جميعاً ، فلم يبق له عصمة تُضيفه ، ولا مُسكة تجمع شعاعه»[2] .

إن تجربة ابن جنّي الواسعة في التعامل مع اللغة ، وعكوفه على استجلاء خفاياها ، وتبصّره الدقيق في عللها وأحكامها، أتاح له فرصة عظيمة للخروج بنتائج ثرّة من ألوان التأويل بما يدعم هذه القواعد ويؤكدها، سواء أكان ذلك على مستوى المفردات، أم على مستوى التراكيب، على نحو ما نراه في مصنفاته المختلفة التي وقفها على دراسة اللغة

وعلومها في جانبيها النظري والتطبيقي . ومن هنا يمكن أن نخلص إلى أنَّ النشاط التحليلي في الدرس اللغوي عند ابن جني الذي يُعَدُّ التأويل مظهراً من مظاهره الواضحة ليس سوى ثمرة من ثمار الثقافة النحوية البصرية التي حذقها ، وكان واحداً من أعلامها المبرزين . وما تمكّن ابن جني من تحقيق هذه النتائج إلا لامتلاكه أدوات البحث ، وقدرته على التصرف بها لخدمة المهمة التي ندب نفسه لها، ووقف حياته عليها ، ممّا لا يتأتى إلا لعالمٍ فطنٍ صَناعٍ .

التأويل النحوي :

يتوجّه هذا الضرب من التأويل إلى حلّ التعارض القائم بين القانون الإعرابي المطرد ، والحالة المخالفة له في النص . ووسيلة ابن جني لمعالجة هذا التعارض تتوجه في الغالب الأعمّ ، إلى الاستعانة بالاحتمالات المتعددة التي ينطوي عليها النصّ لترجيح المعنى المؤوّل إليه . وهنا تنطلق ممارسة النشاط الذهني النحويّ الذي ينعته ابن جني بـ (الصنعة)، ويُريد به الاحتمالات الإعرابية أو اللغوية التي يمكن أن يعالج بها النصّ . وقد يكون التركيب عصياً على القواعد ، فيلتمس له ما يمكن التوفيق بينه والقواعد الناظمة له : «والشعر موضع اضطرار ، وموقف اعتذار ، وكثيراً ما يحرّف فيه الكلم عن أبنيته ، وتُحال فيه المُثل عن أوضاع صيغها، لأجله»[٣] . وليس من هدف هذا البحث أن يخوض في ضروب التأويل وتشعباته ، وإنما هدفه الوقوف على الجانب النحوي فيه ، بما يُمكّن من حلّ التعارض القائم بين القانون الإعرابيّ المطّرد ، والحالة المخالفة له في النصّ . وسنقصر الكلام هنا على أمثلة من وسائل التأويل التي انطلق منها ابن جني لتطبيق هذه الأشكال مما يتصل بالحذف ، والتقدير ، والزيادة ، والحمل على المعنى .

الحذف :

احتفل ابن جني بالحذف في العربية ، وعقد له باباً في كتابه الخصائص تحت عنوان «شجاعة العربية» قال فيه: قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف ، والحركة . وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليلٍ عليه ، وإلاّ كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته[٤] . وبذلك يقوم الحذف بوظائف كثيرة منها التوجيه الإعرابي لأجزاء التركيب ، كيما يغدو منسجماً مع القاعدة أو المعنى الذي يقتضيه السياق ، وينفي عنه اللبس أو الإشكال .

- حذف الحرف : ويتمثّل عادة بالحرف المستقلّ ، كحرف الجرّ وغيره ، والحرف الذي يُعدّ من بنية الكلمة . فمن أمثلته قول المتنبي :

حَبَاني بِأثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَها
مَخَافَةَ سَيْرِي أنّها للنَّوى جُنْدُ

قال أبو الفتح: و"أنّها" في موضع نصب بـ «حباني» على أنّه مفعولٌ له ، والتقدير : حباني بذلك لأنّها ، فلمّا حذف اللام نصبه بـ «حباني» ، ويجوز أن يكون في موضع جرّ باللام ، إلاّ أنّها حذفت لطول الكلام . والأول الوجه ، على أن تكون بدلاً من «مخافة» ، وتكون بدل الاشتمال[٥].

❖ حذف الاسم : ويتبدى الحذف في صور مختلفة منها :

- حذف المضاف : ومن أمثلته قول المتنبي :

مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قِلَّتِهِمْ
وَأَنْ يَكُونَ المِئُونَ آلافَا

قال أبو الفتح : «قال : ... وأراد ألا تكون ، فحذف «لا» ، أو يكون على حذف المضاف ، وكأنه قال : غير قلّتهم، وعدم كون المئين آلافاً»[٦] .

- حذف الموصوف : وهو يقوم على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، ومن هذا قوله :

وَبِمُهْجَتِي يَا عَاذِلي المَلِكُ الذي
أسْخَطْتُ أعْذَلَ مِنْكَ في إرْضَائِهِ

قال أبو الفتح: «.. وقوله: «يا عاذلي» بعد ذكر العواذل، والعواذل جمع عاذلة، والعاذل واحد مذكرٌ ، فإنّما جاز له

ذلك لأنّه أراد : يا مَنْ يعذلني . ومن يقع لإبهامها للمذكر والمؤنث والواحد والاثنين والجميع، فكأنّه قال: يا من يعذلني، أو كأنّه يُخاطب واحدةً من العواذل فقال : يا عاذلي . وأراد: يا إنساناً عاذلي، والإنسان يقع على الرجل والمرأة»[٧].

وقوله :

جَلاَ اللونُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسلَكٍ
كما انْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النّهارِ ضَبَابُ

قال أبو الفتح : جلا: أي زال ... وشبّه زوال السواد بالبياض بانجياب الضباب عن ضوء النهار ، وأراد جلاء اللون الأسود أو الأول ، أو نحو ذلك ، فحذف الصفة لما في الكلام من الدلالة عليها. ومثله قوله ﷺ : لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد[٨]، أي : لا صلاة كاملة الفضل . يدل على ذلك إجماع الأمة ، على أنّه لو صلّى جار المسجد في بيته لكانت صلاته متقبلة مجزية ... وقال سيبويه : سِيرَ عليه ليلٌ[٩] ، أي : ليل طويل ، فحذفت الصفة ، مع الحاجة إليها ، وإذا جاز هذا في النكرة كان في المعرفة أجوز[١٠] .

❖ **التقدير في تأويل الفروق والفصول :**

وهي المواضع والأمثلة التي يُفصل فيها بين الأجزاء المترابطة على نحو متلازم ، فكلّما ازداد الجزءان اتصالاً قوي قُبْح الفصل بينهما[١١] . وقد أساغ ابن جني أن يكون الجار والمجرور والظرف بالنسبة إلى متعلّقهما في حكم بعض الصلة أو الصلة نفسها بالنسبة إلى الموصول . وترتّب على هذا أنّه كما لا يجوز الفصل بين الصلة والموصول بأجنبي ، وكما لا يجوز تقديم الصلة على الموصول ، فكذلك لا يجوز الفصل بين الجار والمجرور أو الظرف وبين متعلّقهما بأجنبي ، ولا تقديم واحد منهما على متعلّقه أيضاً[١٢] . ولهذا اتكأ ابن جني على التأويل ليوفق بين هذا الاستعمال والقاعدة التي تقول بعدم جواز الفصل بين الصلة والموصول بأجنبي . وقد كان هذا التأويل عن طريق تقدير محذوف تتعلّق به الصلة ، ويدلُّ عليه الموصول.

ومما وقع في تأويل المصدر قول المتنبي :

يُعْطِي فَلا مَطْلُهُ يكدّرُهَا
بِهَا ولاَ مَنُّهُ يُنَكِّدُهَا

قال أبو الفتح : «يقول : فلا مطله بها يكدرها ، أي بأياديه . هذا معناه . إلاّ أنَّ إعرابه ليس على هذا لئلا يفصل بين «المطل» وبين «بها» . والباء على هذا من صفة المطل، فيكون قد فصل بين الصلة والموصول، وهذا خطأ عندنا ، ولكنَّ الوجه أن تعلّق الباء بفعل محذوف يدلُّ عليه المصدر، كأنّه قال بعد انقضاء الكلام: لا يُمطل بها»[١٣] .

ومثله قوله :

وَفَاؤُكما كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طاسِمُهْ
بأنْ تُسْعَدا والدَّمعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ

قال أبو الفتح : «كلّمته وقت القراءة عليه في إعراب هذا البيت فقلت له : الباء في«بأن» بأيِّ شيء تتعلّق ؟ فقال: بالمصدر الذي هو وفاؤكما ، فقلت له : فيمَ رفعت «وفاؤكما» ؟ قال : بالابتداء ، فقلت له : فأين خبره ؟ فقال: كالربع ، فقلت له : هل يصحّ أن يخبر عن اسم قبل تمامه وقد بقيت منه بقية، وهي الباء . فقال : هذا لا أدري ما هو، إلاّ أنه قد جاء في الشعر له نظائر ...»[١٤] .

ونظيره في تأويل غير المصدر قوله :

وأَشْقَى بِلادِ اللهِ مَا الرُّومُ أَهْلُهَا
بِهَذَا وَمَا فيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدُ

قال أبو الفتح :" أراد : وأشقى بلاد الله بهذا ما الروم أهلها ، والوجه أنّه لا يُقال إنّه فصل بين الموصول وصلته بالخبر الذي هو «ما الرومُ أهلها ، ولكنّه علّق الباء بمحذوف يدل عليه المبتدأ ، وأنّه قال : شقوا بهذا»[١٥] .

❖ **التقدير في تأويل التقديم والتأخير :**

وهو كالتأويل في الفصول والفروق يكون بتقدير محذوف تدلُّ عليه الصلة المتأخرة ، أو بتقدير محذوف من لفظ الموصول المتأخر ، ومثله قول المتنبي :

الطِّيبُ أنْتَ إذَا أصَابَكَ طِيبُهُ
وَالمَاءَ أنْتَ إذَا اغْتَسَلْتَ الغاسلُ

قال : «نصب «الماء» ، لأنَّ معناه : وأنت إذا اغتسلت الغاسلُ الماء ، إلاّ أنَّ انتصابه الآن ليس على الغاسل ، لأنَّ الصلة لا تعمل فيها قبل الموصول .. ولكنّه منصوب بفعل مضمر يدلُّ عليه الغاسل ، فكأنّه قال : وتغسل الماء إذا اغتسلت، وصار قوله : «أنت إذا اغتسلت الغاسل» بدلاً منه، ودالاً عليه[16] . وقرأ صاحب التبيان برفع "الماء" عطفاً على «الطيب»، وقال : «أنت» : مبتدأ ، و «الغاسل» : خبره، والتقدير : الغاسله ، بإرادة الهاء . وتقدير البيت : الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت الغاسله إذا اغتسلت[17] .

الزيادة :

الحروف هي أكثر المواضع التي تؤول بالزيادة، وهذه الزيادة لا تخلو غالباً من دلالة مقصودة هي التوكيد[18]، ومنها:

❖ **زيادة الحروف في مواضع مطّردة ، كزيادة اللام أو الباء فيما أصله مفعول به. ومن أمثلته قوله:**

وَسَوقَ عليٍّ مِنْ مَعَدٍّ وغَيْرِها
قبائلَ لا تُعطي القُفيَّ لسابقِ

قال أبو الفتح : «وزاد اللام في "السابق" ، والأصل: لا تعطي القفيَّ سابقاً، وقد تفعل العرب هذا توكيداً للتعدي. ومثله قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [19]، وهذا أحسن من غيره، لأنّه لمّا قدّم المفعول حَسُنَ دخولُ اللام»[20].

وقوله :

نَحنُ مَنْ ضايقَ الزَّمانُ لَهُ فيـ
ـكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الأيّامُ

قال أبو الفتح: «قال أردتُ ضايقه ، فزدت اللام[21]. وقد جعل الزجّاجي (ت ٣٣٧هـ) الزيادة في اللام غير مقيسة، وإنما هو مسموع في أفعال تحفظ ولا يقاس عليها[22] . لكنّ هذا التفسير لم يقنع ابن فورّجة (ت نحو ٤٥٥هـ)، قال: وهذا على ما ذكره وجهٌ، ولولا قوله : خانته، لوجب أن يقول مع هذا التأويل «لهم»، لأنَّ «نحن» للجماعة، إلاّ أنّه حمله على لفظ "من". وعندي له وجهٌ آخر، وهو أن تكون الهاء في "له" عائدة على الزمان . يريد : نحن من ضايق الزمان لنفسه فيك ، أي لأجل نفسه»[23] .

الحملُ على المعنى :

وهذا الأسلوب هو أهم أساليب تأويل النصوص المخالفة لقواعد التطابق، وقد تناول ابن جني هذه الظاهرة في كتابه «الخصائص» وقرّر أن هذا الأسلوب يدلّ على «غور من العربية بعيد ، ومذهب نازح فسيح قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً ، كتأنيث المذكر ، وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد ، أو في حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً»[24]. وقد عدّ ابن جني تأنيث المذكر أغلظ من تذكير المؤنث لأنَّ المذكر هو الأصل ، ففي تأنيثه "مفارقة أصل إلى فرع" . وتأخذ ظاهرة الحمل على المعنى في شعر المتنبي صوراً وأشكالاً مختلفة ، منها:

❖ **تذكير المؤنث** : ومثله قول المتنبي :

مَثَّلتِ عَيْنَكِ في حَشَايَ جِراحَةً
فَتَشَابَهَا كلتاهُمَا نَجْلاءُ

قال أبو الفتح: «وقوله «فتشابها»، ولم يقل فتشابهتا، حمله على المعنى، كأنه قال: فتشابه المذكوران أو الشيئان، أو ذهب بالعين إلى العضو ، وبالجراحة إلى الجرح»[25].

❖ **تذكير المؤنث** : ومثله قول المتنبي :

وأرْديةٌ خُضْرٌ ومُلْكٌ مُطاعَةٌ
وَمَرْكوزةٌ سُمْرٌ ومُقْرَبَةٌ جُرْدُ

قال أبو الفتح : «... يقول هم ملوك . وأنّث الملك لأنه ذهب به إلى السلطان ، والسلطان يؤنّث . تقول العرب : أخذت فلاناً السلطان ، وقضت به عليك السلطان»[26].

❖ **الضمير الرابط :**

تفترض المطابقة في النوع والعدد والجهة في

الضمير الرابط بين جملة وأخرى، ولكن النحاة أجازوا المخالفة إذا كان الضمير رابطاً بين جملة الصلة والاسم الموصول، وكان الحمل على المعنى هو الأداة التي توسّلها ابن جنّي لحلّ هذه المخالفة . فمما وقف عليه قول المتنبي :

وَأنتَ الذي رَبَّيتَ ذَا المُلْكِ مُرْضَعاً
وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ ولا أبُ

قال أبو الفتح : الوجه أن يُقال : ربّى ... ولكن جاز «ربيّت» لمّا تقدّم «أنت» فحمله على المعنى ، وكلمته غير مرة في هذا فاعتصم بأنه إذا أعاد الذكر على لفظ الخطاب كان أبلغ وأمدح من أن يرده على لفظ الغيبة ، وإذا قال «ربيت» فقد خاطبه ، فكان أبين . ولعمري إنه لكما قال ، ولكن الحمل على المعنى عندنا لا يسوغ في كل موضع ولا يحسن[٢٧] . ومن هذا أيضاً قوله :

إنَّ نُيُوبَ الزَّمانِ تَعْرِفُني
أنَا الّذي طَالَ عَجْمُها عُودي

قال أبو الفتح : والوجه أنا الذي طال عجمها عوده، ولكنّه ردّ الضمير على المعنى دون اللفظ[٢٨] .

ومثله في غير جملة الصلة :

وَأنتمُ مَعْشَرٌ تَسْخُو نُفُوسُكُمُ
بِمَا يَهَبْنَ وَلا يَسْخُونَ بالسَّلَبِ

قال أبو الفتح : لو قال نفوسهم لكان أقوى في الإعراب ، ونفوسكم بالكاف جائزٌ ، إلاّ أنّه أمدح لأنَّ فيه لفظ الخطاب ، فهو أخصّ[٢٩] .

الضرورة :

اختلف العلماء في تحديد مفهوم الضرورة ، فيرى سيبويه[٣٠] وابن مالك والأعلم أنها : ما ليس للشاعر عنه مندوحة ، وأنه لا مفرّ منه مما قد يضطر الشاعر إلى حذفه أو زيادته للمحافظة على الوزن الشعري[٣١] .

ويلتقي ابن جني في فهمه للضرورة الشعرية مع تعريف الجمهور لها ، ولكنه على العموم لا يأخذ بمقولة (ما ليس للشاعر عنه مندوحة) . قال : «فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها، فاعلم أن ذلك على ما جشّمه منه وإن دلّ من وجه على جوره وتعسّفه ، فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله ...، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته... وأن الشاعر إذا أورد منه شيئاً فكأنه لأنسه بعلم غرضه وسفور مراده به لم يرتكب صعباً ، ولا جَشِمِ إلا أمماً، وافق بذلك قابلاً له، أو صادف غير آنس به، إلا أنه هو قد استرسل واثقاً، وبنى الأمر على أن ليس ملتبساً»[٣٢].

وقد تنوعت الضرورة في شعر المتنبي، وتعددت صورها ونماذجها، ومما وقف عليه ابن جني من الضرورات في شعر المتنبي :

❖ ضرورات الحذف :

أ - حذف حركة البناء عن آخر الفعل المعتل :

ومثله قول المتنبي :

إذا شَاءَ أنْ يَلْهُو بِلحْيَةِ أحْمَقٍ
أرَاهُ غُبَاري ثُمَّ قَالَ لَهُ : الحَقِ

قال أبو الفتح : أسكن الواو من «يلهو» في موضع النصب لأنّها أخت الياء، والياء مشبهة في هذا بالألف، فلذلك تُسكن في موضع النصب لضرورة الشعر[٣٣]. فالأصل أن يقول: أن يلهوَ، بنصب الفعل بأداة النصب لأنه معتل بالواو، والمعتل بالواو يظهر النصب عليه، ولكنه سكن الواو ضرورة.

وقوله :

وَأنْ يَكْذِبَ الإرْجَافَ عَنْهُ بضِدّهِ
وَيُمْسي بِمَا تَنْوي أعَاديه أسْعَدا

قال أبو الفتح: ... وكانَ ينبغي أن يفتح ياء "يمسي" لأنّه منصوب، ولكنّه سكّن الياء، وهو من أحسن الضرائر[٣٤].

ب - حذف الحركة من آخر الاسم المعتلّ :

وما ينطبق على ضرورة حذف الحركة عن آخر الفعل المعتلّ الياء ينطبق على الاسم المعتلّ الآخر في عدم ظهور

حركة الفتحة على آخره تشبيهاً له بحالة الرفع والنصب[٣٥].

ومما سكّن فيه الياء من الاسم المعتلّ ضرورة قوله :

بَعِيدةِ مَا بَيْنَ الجُفُوْنِ كأنمـَّا

عَقَدتُم أعالي كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِـبِ

قال أبو الفتح : "سكّن ياء" أعالي "في موضع نصب ضرورةً[٣٦] . وقوله :

ألمْ يَحْذَروا مَسْخَ الذي يَمسخُ العدا

ويَجعلُ أيدي الأسْدِ أيدي الخَرانقِ

قال أبو الفتح : «أسكن الياء من" أيدي «في موضع النصب ضرورة»[٣٧] . فالأصل أن تظهر الحركة لأنه اسم منقوص في حالة النصب ، ولكنه سكنه للضرورة .

وقوله :

وَأمْســتْ تُخَيِّرنـــا بِالنِّقَــا

بِ وَادي المِيَـاهِ وَوَادي القُــرَى

قال أبو الفتح : «... وأمّا تسكينه الياء في «وادي المياه ووادي القرى» في موضع النصب فضرورةٌ ، وذلك أنّه شبّه الياء في «قاضي» بألف «عصا» ، وكما أنّ الألف في الأحوال الثلاث بصورة واحدة ، فكذلك جُعلت ياء قاضي في أحالها الثلاث على صورة واحدة ، وذلك لما بين الياء والألف من القرب والمناسبة[٣٨] .

ج- حذف الحركة وسطاً في جمع الاسم :

ومثله قول المتنبي :

أفْدي المُودِّعة الـتي أتْبَعْتُهـا

نَظَراً فُــرَادَى بَـيْنَ زَفْرات ثُنَـا

قال أبو الفتح: الوجه "زَفَرَات"، ثم أسكن الفاء ضرورة[٣٩].

وقوله :

وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقطَعُ الهَامَ حدُّهُ

وَتَقْطعُ لزْبَاتِ الزَّمَــانِ مَكارمُـهْ

قال أبو الفتح : لزبات جمع لَزْبَة ، وهي الشدّة ، وكان قياسه لزَبات ، إلاّ أنه أسكن الزاي ضرورة[٤٠] .

ودفع صاحب التبيان كلام ابن جني ، وعدّ الجمع صحيحاً وليس ضرورة ، لأنّ لزبات هي صفة وليست اسماً ، واستشهد بما نقله عن الصحاح[٤١].

❖ حذف الحرف :

أ - حذف الهمزة على صورة قصر الممدود :

ومما يجوز للشاعر قصر الممدود ، وذاك أنك إذا قصرته حذفت منه[٤٢] ، ومن أمثلته عند المتنبي :

نَازَعْتُهُ قُلصَ الرِّكـابِ وَرَكْبُـهَا

خَوْفَ الهَـلاكِ حُـدَاهُمُ التَّسْبيحُ

قال أبو الفتح : «... قَصَر «الحداء» ، وهو ممدودٌ ضرورة»[٤٣] . لكن الوحيد البغدادي (ت ٣٨٥هـ) يرى أن قصر الممدود مما يجوز ، ... إلا أن الشاعر تبع قوة الكلام، ولم يحفل بقصر الممدود[٤٤].

وقوله :

خُذْ مِنْ ثَنَايَ عَلَيْكَ مَا أسْطِيعُهُ

لا تُلْزِمَنّـي في الثَّنَاءِ الوَاجِـبَا

قال أبو الفتح: «الثناء» ممدودٌ، إلاّ أنّه قصره ضرورة»[٤٥].

ب - حذف الهمزة وسطاً من الفعل، ومثله قول المتنبي:

أظْمتني الدُّنْيَـا فلمَّـا جِئْتُهَـا

مُسْتَسْقياً مَطَرَتْ عَليَّ مَصَائبـا

قال أبو الفتح : «أظمتني : أعطشتني ، والظّما : العطش . وأصله : أظمأتني ، فأبدل الهمزة»[٤٦] .

وقوله :

مَرَتْكَ ابنَ إبراهيمَ صَافيةُ الخَمْرِ

وَهُنِّئتها مِنْ شَاربٍ مُسْكِرَ السُّكْرِ

قال أبو الفتح :" مرتك ، أراد : مرأتك ، فحذف الهمزة اضطراراً .. وكان يجب أن يقول: امرأتك»[٤٧] .

ج - حذف همزة الاستفهام ، ومن هذا قوله :

شِيَمُ اللّيالي أنْ تُشكّكَ نَاقتي

صَدْري بِهَا أفْضَى أم البَيْدَاءُ

قال أبو الفتح : «يقول : من عادات الليالي أن تُوقع لناقتي الشك والشبهة : أصدري أوسع أم البيداء لما ترى من سعة قلبي وبُعْد مطلبي. وأراد همزة الاستفهام فحذفها ضرورة وتخفيفاً»(٤٨).

ونظير ذلك قوله :

لله قَلْبُكَ ما تَخَافُ مِنَ الـرَّدَى
وَتَخافُ أنْ يَدْنُو إليـكَ العَـارُ

قال أبو الفتح : «... أراد حرف الاستفهام فحذفه ، ومعناه : أما تخاف ...

ومعنى البيت كأنه قال : أما تخاف الردى ، ويجوز أن يكون مخبراً لا مستفهماً ، كأنّه قال : مِنْ أمرك كذا ، ومِنْ أمرك كذا»(٤٩) .

د - تخفيف المضعّف : وقد أجازه القدماء سواء أكان المضعّف صحيحاً أم غير صحيح ، «وذلك أنّ المشدّد حرفان ، فلمّا تمّ الوزن بأحدهما حذف الآخر»(٥٠) .

ومثله قول المتنبي :

قد أجمَعتْ هذه الخليقةُ لي
وأنَكَ بالأمسِ كُنْتَ مُحْتلِمـا
أنَكَ يابنَ النَّبيِّ أوْحَـــدها
شَـيْخَ مَـعَـدٍّ وَأنْتَ أمْـرَدُهَا

قال أبو الفتح : «وأنَك : يُريد : وأنّك ، فأجراه مع المضمر ، والأصل تثقيل النون ، إلاّ أنه قد جاء مثله في ضرورة الشعر ، وهو على كل حال قبيح»(٥١) .

هـ - حذف الفاء في جواب الشرط :

وقد أجمع ابن سيده(٥٢)، والواحدي(٥٣)، وصاحب التبيان(٥٤) على جواز حذفه ضرورة، وأجازها القزّاز القيرواني. قال: وممّا يجوز للشاعر حذف الفاء من جواب الجزاء»(٥٥).

ومثله قول المتنبي :

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغامَ للصَّيْدِ بَازَه
يُصَيِّرُهُ الضِّرغامُ فِيْمَا تَصَـيَّدَا

قال أبو الفتح: «... قلت له وقت القراءة: لم جعلت «مَنْ» شرطاً صريحاً، وهلاّ جعلتها بمنزل الذكر، وضمّنت الصلة معنى الشرط .. فقال: هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء، وأنا جئت بلفظ الشرط صريحاً لأنّه أبلغ وأوكد، وأردت الفاء في «يصيّره» وحذفتها، والذي قاله جائز، والوجه ما سمته إيّاه»(٥٦).

ومثله قوله :

وَمَا عِشْتَ مَا مَاتوا ولا أبواهُمُ
تَميـمُ بنُ مُرٍّ وابنُ طَابخَـةَ أُدُّ

قال أبو الفتح : وكان الوجه أن يقول : ما عشت فما ماتوا ، إلا أنّه حذف الفاء ضرورة(٥٧) .

و - حذف الياء ضرورة من الجمع :

ومثله قول المتنبي :

بِأبي الشُّمُوسُ الجَانِحاتُ غَوَارِبَا
اللابِسَاتُ مِنَ الحَريرِ جَلاَبِبَا

قال أبو الفتح : «... وقال ابن السكّيت : الجلباب : الخِمار ، وأصله جلابيب ، ولكنّ العرب قد تحذف في الشعر هذه الياء اختصاراً وضرورة»(٥٨) .

وقريب منه قوله :

أتَاهُمْ بِهَا حَشْوَ العَجاجةِ وَالقَنَا
سَنَابِكُها تَحْشُو بُطُونَ الحَمَالِقِ

قال أبو الفتح: «الحمالق جمع حملاق.. وهو باطن الجفن، وكان قياسه حماليق، ولكنّه قصر الكلمة بحذف الياء»(٥٩).

ز - حذف التنوين : ويجوز حذف التنوين فيما الوجه في إثباته(٦٠) ومثله قول المتنبي:

إلى واحدِ الدّنيا إلى ابنِ مُحمدٍ
شُجَاعِ الذي لله ثُمّ لهُ الفَضْـلُ

قال أبو الفتح: الوجه «شجاعٍ» الذي، فحذف التنوين استخفافاً لسكونه وسكون اللام الأولى من الذي(٦١) .

التغيير :

ويشتمل التغيير صورة اللفظ إعراباً وبناءً، والتقديم والتأخير الذي هو تغيير في بناء الجملة. ومن ضروبه:

❖ **صرف مالا ينصرف :**

اختلف الكوفيون والبصريون في هذه المسألة، فذهب الكوفيون إلى أنّه يجوز ترك صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر، أمّا البصريون فذهبوا إلى أنّه لا يجوز ، وأجمعوا على أنّه يجوز صرف ما لا ينصرف في ضرورة الشعر[٦٢].

ومن هذا قوله :

حمَتهُ على الأعداءِ مِنْ كلِّ جانبٍ

سُيوفُ بني طُغْجَ بن جَفَّ القمَاقمِ

قال أبو الفتح: كذا قال بترك صرف «طغجّ» و«جفّ»، وهذا يجيزه الكوفيون، وهو خطأ عندنا، لأن المذكر إذا سمّي بأعجمي ثلاثي انصرف ... ولو صرف «طغجّ» وترك التنوين من «جفَ» لسكونه وسكون اللام من القماقم لكان أصوب... والذي عمله من تحريف الاسم للضرورة صواب، أن العرب إذا نطقت بالأسماء الأعجمية اجترأت عليها، فغيرتها[٦٣] .

ومثله:

فَيَـالَكَ لَيْـلاً عَلى أعْكُــشٍ

أحَمَّ البِـلادِ خَـفيِّ الصُّـوى

قال أبو الفتح: «أعكش موضع بعينه. وصرفه ضرورة»[٦٤].

❖ **إظهار التضعيف :**

والأصل في التضعيف الإدغام ، فإذا حلَّ الإدغام ظهر التضعيف . ومما وقع في شعر المتنبي :

وَلا يُبْرِمُ الأمْرَ الّذي هُوَ حَالِلٌ

ولا يُحْلِلُ الأمْرَ الّذي هُوَ مُبْرِمُ

قال أبو الفتح: «... وأظهر التضعيف ضرورة»[٦٥] .

❖ **إبدال الهمزة على غير قياس :**

ومثله قول المتنبي :

أنْتَ أعْلى مَحَلّـــةً أنْ تُهَـنّــى

بِمكانٍ في الأرْضِ أو في السَّماءِ

قال أبو الفتح : «... وقوله تهنّى ، أراد : تُهنأ ، وتَرك الهمزة ضرورة ، وليس على حدّ التخفي القياسيّ ، ولو كان عليه لجعلها بين بين ، ولكنّه أبدل ، وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر»[٦٦] .

وقوله :

وَهَلْ يُخْطِي بِأسْهُـمِهِ الرَّمَايَـا

وَمَا يُخْطِـي بِمَا ظَـنَّ الغُيُوبَـا

قال أبو الفتح : «أراد : يخطئ ، فأبدل الهمزة ضرورة . وعلى هذا قالوا : أخطيت ، ولا يقاس»[٦٧] .

❖ **الفصل بين المضاف والمضاف إليه :**

ومثله قول المتنبي :

حَملتُ إليهِ مِنْ لساني حَديقَـةً

سَقاها الحِجَى سقيَ الرّياضَ السّحائبِ

قال أبو الفتح : وجرّ «السحائب» بإضافة «السقي» إليها ، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول الذي هو «الرياض» ، وذلك ضرورة[٦٨] .

التوجيه بمعنى الجنس :

يُقصد بمعنى الجنس هنا الشيوع والعموم ، اللذان يفهمان منه كونه مرتبة أعمّ تشمل ضروباً مختلفة تندرج تحته . فمعنى الجنس هنا قريب من معناه في المنطق[٦٩] .

ومثله قول المتنبي :

غَيْري بِأكثرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَـدِعُ

إنْ قَاتَلوا جَبُنُوا أو حَدَّثوا شَجُعوا

قال أبو الفتح: «إنمّا قال «هذا» ولم يقل «هؤلاء»، لأنّه ذهب به إلى الجنس. فالوجه أن يقول: بأكثر هؤلاء الناس ليتطابق اسم الإشارة مع المشار إليه في العدد»[٧٠] .

التوجيه بحكاية الحال :

قد يعبّر عن زمن الفعل الذي يقتضيه السياق في الكلام بغير صيغته ، فيستعار الفعل المضارع – مثلاً – ليعبّر عن الماضي ، والتفسير الذي يوجّه به مثل هذا هو حكاية الحال الحاضرة . كما نرى في قوله :

يَا مَنْ يُبَــدِّلُ كلَّ وَقْتٍ حُلَّةً
أنَّى رَضِيــتَ بِحُلَّةٍ لا تُنْزَعُ

قال أبو الفتح: «أي يا من كان يبدّل، فحذف «كان»، وهو يريدها، فأتى بلفظ فعل الحال على الحكاية[٧١]. فالكلام موجّه للمرثي الذي كان هذا ديدنه أن يُبدّل كلّ وقت حلّة، وانتهى وقوعه، ولكنّه عبّر عنه بصيغة المضارع لا الماضي.

وبعد، فقد حاول هذا البحث أن يبرز مظاهر التأويل عند ابن جني، ويردّها إلى أسبابها. وبدا جلياً أن التأويل كان من أهم الوسائل التي جهد ابن جني من خلالها أن يعالج التعارض القائم بين القانون الإعرابي والحالة المخالفة له في شعر المتنبي، وهو يتجه في الغالب الأعم إلى الاستعانة بوجوه المعاني التي تنطوي عليها المفردة أو التركيب إلى جانب المعنى، بما يمكن من حل التعارض القائم بينهما، وترجيح المعنى المؤول إليه.

الهوامش

١ - انظر دراسات في نظرية النحو العربي: ١٤٣.
٢ - الخصائص ١: ٣٨٥.
٣ - الخصائص ٣: ١٨٨.
٤ - نفسه ٢: ٣٦٠.
٥ - الفسر (قونيه) ٢: ٧٧٣.
٦ - نفسه ٢: ٢٤٧.
٧ - الفسر (خلوصي) ١: ٤٣، والحمزاوية: ٢٠.
٨ - الحديث مختلف في صحته. انظر كشف الخفاء للعجلوني ٢: ٥٠٩.
٩ - سيبويه ١: ٢١٨.
١٠- الفسر (خلوصي) ١: ٤٣، والحمزاوية: ٢١.
١١- الخصائص ٢: ٣٩٢. وانظر الدراسة النحوية للشعر عند ابن جني: ١٩١.
١٢- اللمع: ٢٦٢.
١٣- الفسر (خلوصي) ٢: ٢٩٠، والحمزاوية: ٤٠٩.
١٤- الفسر (قونيه) ٣: ٢٠٣.
١٥- الفسر (خلوصي) ٢: ٢٣٣، والحمزاوية: ٤٠٩.
١٦- الفسر (قونيه) ٣: ١٣٩.
١٧- التبيان ٣: ٢٦١، وانظر تفسير أبيات المعاني: ٢١٧.
١٨- الخصائص ٢: ٢٨٦.
١٩- سورة يوسف: ٤٣.
٢٠- الفسر (قونيه) ٣: ٢٧٧.
٢١- نفسه ٣: ٢٢١.
٢٢- انظر لامات الزجاجي: ١٤٧.
٢٣- الفتح على أبي الفتح: ٢٨١.
٢٤- الخصائص ٢: ٤١١.
٢٥- الفسر (خلوصي) ١: ٧٢، والحمزاوية: ٤٨.
٢٦- الفسر (قونيه) ٣: ٣٧١.
٢٧- الفسر (خلوصي) ٢: ٣٤، ٣٥، والحمزاوية: ٣٠٥.
٢٨- نفسه ٢: ٢٠٧، والحمزاوية: ٤٨٩.
٢٩- نفسه ١: ٢٢٣، والحمزاوية: ١٦٧.
٣٠- سيبويه ١: ٣٣٣.
٣١- الضرائر: ٦.
٣٢- الخصائص: ٢: ٣٩٢.
٣٣- الفسر (قونيه) ٢: ٢٦٩.
٣٤- الفسر (خلوصي) ١: ١٤٧، والحمزاوية: ١١٢.
٣٥- نفسه ٢: ٢٥١، والحمزاوية: ٤١٧.
٣٦- نفسه.
٣٧- الفسر (قونيه) ٢: ٢٨٩. الخرنق: أنثى الأرنب.
٣٨- الفسر (خلوصي) ١: ١٢٧، والحمزاوية: ٩٥.
٣٩- الفسر (قونيه) ٣: ٢٢١.
٤٠- نفسه ٣: ٢٢١.
٤١- التبيان ٣: ٣٤٢. وانظر: الاتجاهات النقدية: ٥١٥.
٤٢- ما يجوز للشاعر في الضرورة: ١٤٦.
٤٣- الفسر (خلوصي) ١: ٣٣٥، والحمزاوية: ٢٦٠.
٤٤- نفسه.
٤٥- الفسر (خلوصي) ١: ٢٩٣، والحمزاوية: ٢٢٣.
٤٦- نفسه ١: ٢٧٧، والحمزاوية: ٢١٥.
٤٧- الفسر (قونيه) ٢: ٢٨٥.
٤٨- الفسر (خلوصي) ١: ٧٧، والحمزاوية: ٥٢.
٤٩- الفسر (قونيه) ٣: ٤٥٧.
٥٠- ما يجوز للشاعر في الضرورة: ٩٢.

٥١- شرح المشكل : ٣١٨ .
٥٢- الفسر (خلوصي) ٢ : ٢٦٣ ، والحمزاوية : ٤٢٣ .
٥٣- شرح الواحدي : ٩٥ .
٥٤- التبيان : ٢: ١٩٦.
٥٥- ما يجوز للشاعر في الضرورة: ١١٩.
٥٦- الفسر (خلوصي) ٢: ٢٦٣ ، والحمزاوية : ٤٢٣.
٥٧- الفسر (قونيه) ٢ : ٦٤ .
٥٨- الفسر (خلوصي) ٢ : ٢٧٢ ، والحمزاوية : ٢١٣ .
٥٩- الفسر (قونيه) ٢: ٢٧٥.
٦٠- ما يجوز للشاعر في الضرورة: ١٢٧.
٦١- الفسر (قونيه) ٣: ٥٣ .
٦٢- الإنصاف ٢ : ٤٩٣ .
٦٣- الفسر ٣ : ٢٦٧ .
٦٤- نفسه ١: ١٣٣، والحمزاوية : ١٠١.
٦٥- الفسر (قونيه) ٣: ٣٣٩ .
٦٦- الفسر (خلوصي) ١: ١١١، والحمزاوية : ٨٣ .
٦٧- نفسه ١: ٣٢٠، والحمزاوية : ٢٥٠.
٦٨- الفسر (خلوصي) ١ : ٣٥١ ، والحمزاوية : ٢٧٣ .
٦٩- نفسه ١: ٣٢٠، والحمزاوية : ٢٥٠.
٧٠- الإشارات والتنبيهات : ١٨٧ .
٧١- الفسر (قونيه) ٢: ١٦٧. وانظر الدراسة النحوية للشعر عند ابن جني: ٢٣٤.

المصادر والمراجع

- **الإبانة عن سرقات المتنبي** : العميدي ؛ تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي.- مصر : دار المعارف ، ١٩٦٩م .
- **الاتجاهات النقدية عند شرّاح ديوان المتنبي القدماء** : عدنان عبيدات.- الأردن، عمان: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٢م .
- **الأشباه والنظائر في النحو** : السيوطي؛ تحقيق عبد الإله نبهان وآخرين .- دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٥م .
- **الأصمعيات** : الأصمعي ؛ تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون .- مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م.
- **الاقتراح في علم أصول النحو** : السيوطي .- حيدرأباد : دائرة المعارف النظامية ، ١٣٩٥هـ .
- **أمالي ابن الشجري** : ابن الشجري ؛ تحقيق محمود محمد طناحي .- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٩٢م
- **الإنصاف في مسائل الخلاف** : ابن الأنباري ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .- بيروت : المكتبة العصرية، ١٩٨٧م .
- **ابن جنّي النحويّ** : فاضل صالح السامرائي.- بغداد: دار النذير، ١٩٦٩م.
- **البداية والنهاية** : ابن كثير .- القاهرة : مطبعة السعادة ، د ت .
- **البحر المحيط** : أبو حيان النحوي .- بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٢م .
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: السيوطي ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عباس .- بيروت : دار الثقافة، ١٩٨١م.
- **التبيان في شرح الديوان**: (المنسوب للعكبري)؛ تحقيق مصطفى السقا وآخرين .- القاهرة : مكتبة البابي الحلبي ، ١٩٥٦م .
- **التذكرة الحمدونية** : ابن حمدون ؛ تحقيق إحسان عباس، وبكر عباس.- بيروت : دار صادر ، ١٩٩٦م .
- **تفسير القرطبي** : القرطبي ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢ م .
- **ثقافة المتنبي وأثرها في شعره** : هدى الأرناؤوطي .- بغداد : وزارة الثقافة والفنون العراقية ، ١٩٧٨م .
- **الحركة النقدية حول المتنبي** : ليلى الشايب .- بيروت: دار العلم ، د.ت.
- **حروف المعاني** : الزجاجي ؛ تحقيق علي توفيق الحمد .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦م .
- **الحماسة البصرية**: صدر الدين البصري؛ تحقيق عادل سليمان جمال .- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ٢٠٠٠م.
- **الخاطريات** : ابن جني ؛ تحقيق علي ذو الفقار شاكر .- بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ .
- **خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب**: البغدادي؛ تحقيق عبد السلام هارون.- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٩م .
- **الخصائص**: ابن جني ؛ تحقيق محمد علي النجار .- مكتبة الهدى، د. ت .
- **الدراسة النحوية للشعر عند ابن**

جني: عبد السلام السيد حامد، (رسالة ماجستير)، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٩٩٢م.
- **دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها**: صاحب أبو جناح .- الأردن: دار الفكر، ١٩٩٨م.
- **ديوان رؤبة بن العجاج**: تحقيق وليم ابن الورد .- بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م.
- **ديوان طرفة بن العبد**؛ تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال .- دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٧٥م.
- **ديوان عدي بن الرقاع العاملي**: جمع حسن محمد نور الدين .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- **ديوان القطامي**؛ تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب .- بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠م.
- **ديوان كثير عزة**؛ تحقيق إحسان عباس .- بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١م.
- **ديوان مجنون ليلى**؛ تحقيق وجمع عبد الستار فراج، مكتبة مصر.
- **رائد الدراسة عن المتنبي**: كوركيس وميخائيل عوّاد .- بغداد: وزارة الثقافة والفنون العراقية، ١٩٧٩م.
- **رسالة في قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء**: حسام زادة الرومي؛ تحقبق محمد يوسف نجم .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٢م.
- **الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره**: الحاتمي؛ تحقيق محمد يوسف نجم .- بيروت: دار صادر، ١٩٦٥م.
- **السبعة في القراءات**: ابن مجاهد؛ تحقيق شوقي ضيف .- مصر: دار المعارف، ١٩٨٨م.
- **سرّ صناعة الإعراب**: ابن جني؛ تحقيق حسن هنداوي .- دمشق: دار القلم، ١٩٨٥م.
- **سرقات المتنبي ومشكل معانيه**: ابن بسام النحوي؛ تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور .- تونس: الدار التونسية، ١٩٧١م.
- **سنن الترمذي**: الترمذي؛ تحقيق أحمد محمد شاكر ورفاقه .- بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- **شذرات الذهب**: ابن العماد؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.
- **شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد)**: المنسوب للمعري؛ تحقيق عبد المجيد دياب .- القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢م.
- **شرح ديوان المتنبي**: الواحدي؛ تحقيق فريدرج ديتريصي .- برلين، ١٨٦١م.
- **شرح شعر المتنبي**: ابن الأفليلي؛ تحقيق مصطفى عليان .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م.
- **شرح المشكل من شعر المتنبي**: ابن سيده؛ تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد .- بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٠م.
- **شعراء أمويون**: دراسة وتحقيق نوري حمود القيسي .- العراق: مؤسسة دار الكتب، ١٩٧٦م.
- **الصبح المنبي عن حيثية المتنبي**: البديعي؛ تحقيق مصطفى السقا وآخرين .- مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م.
- **الصحاح**: الجوهري؛ تحقيق أحمد عبد الغفار عطار .- بيروت: دار العلم للمريين.
- **صحيح البخاري**: البخاري؛ تحقيق مصطفى البغا .- بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧م.
- **الضرائر وما يجوز للشاعر دون الناثر**: الآلوسي؛ تحقيق محمد بهجة الأثري .- بغداد: المطبعة السلفية، ١٣١٤هـ.
- **ضرائر الشعر**: القزاز القيرواني؛ تحقيق محمد زغلول سلام، ومصطفى هدارة .- الإسكندرية: منشأة المعارف.
- **ضرائر الشعر**: ابن عصفور؛ تحقيق السيد إبراهيم محمد .- بيروت: دار الأندلس، ١٩٨٢م.
- **عيون الأخبار**: ابن قتيبة: نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.
- **الفتح على أبي الفتح**: ابن فورّجة؛ تحقيق عبد الكريم الدجيلي .- بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٧م.
- **الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي**: ابن جني؛ تحقيق محسن غياض .- بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٧٣م.
- **الفسر**: ابن جني؛ تحقيق صفاء خلوصي .- بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٦٩، ١٩٧٧م.
- **الفسر**: مخطوطة قونيه، والمخطوطة الحمزاوية.
- **القوافي**: أبو الحسن الأخفش؛

تحقيق أحمد راتب النفّاخ -. بيروت: دار الأمانة ، ١٣٩٣هـ .
- **الكتاب** : سيبويه ؛ تحقيق عبد السلام هارون.- القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م .
- **كشف الخفاء ، ومزيل الإلباس ، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** : العجلوني ؛ تصحيح وتعليق أحمد القلاش -. دمشق : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣م .
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** : حاجي خليفة -. الآستانة: وكالة المعارف الجليلة ، ١٩٤١م .
- **لسان العرب** : ابن منظور -. بيروت: دار صادر .
- **اللمع في العربية** : ابن جني ؛ تحقيق حسين محمد شرف -. القاهرة: عالم الكتب ، ١٩٧٩م .
- **ما يجوز للشاعر عند الضرورة**: القزّاز القيرواني ؛ تحقيق المنجي الكعبي -. الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م .
- **المآخذ على شرح ديوان أبي الطيب المتنبي** : الأزدي ؛ تحقيق عبد العزيز المانع -. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠١م.
- **المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة** : ابن جني ؛ تحقيق حسن هنداوي -. دمشق: دار القلم، ١٩٨٧م.
- **المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب** : حسين الواد -. تونس : دار سحنون، ١٩٩١م .
- **مختصر تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب**: أبو المرشد المعريّ؛ تحقيق مجاهد الصواف، ومحسن غياض -. دمشق : دار المأمون ، ١٩٧٩م .
- **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع** : ابن خالويه -. القاهرة : مكتبة المتنبي .
- **معاني القرآن** : الأخفش ؛ تحقيق هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، مصر ، ١٤١٤هـ .
- **معجم الأدباء** : ياقوت الحموي ؛ تحقيق إحسان عباس -. بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣م .
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** : ابن هشام الأنصاري ؛ تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله -. بيروت : دار الفكر ، ١٩٦٩م .
- **المفضليات** : المفضل الضبي ؛ تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون -. القاهرة: دار المعارف، ١٩٤١م.
- **المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره** : ابن وكيع ؛ تحقيق محمد يوسف نجم -. بيروت: دار صادر ، ١٩٩٢م .
- **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**: المرزباني ؛ تحقيق محب الدين الخطيب -. القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٩٨٥م .
- **الندوة المتخصصة الأولى (أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي)** -. بغداد : جامعة الموصل ، ١٩٨٩م .
- **النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام** : ابن المستوفي ؛ تحقيق خلف رشيد نعمان -. بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٩م .
- **النقد المنهجي عند العرب**: محمد مندور، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢م.
- **همع الهوامع** : السيوطي ؛ تحقيق عبد العال سالم مكرم -. الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٩٧٥م .
- **الواضح في مشكلات شعر المتنبي** : أبو القاسم الأصفهاني ؛ تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور -. تونس: الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨م .
- **الوافي بالوفيات** : ابن أيبك الصفدي؛ تحقيق مجموعة من المحققين . دار فرانز شتاينر ، فيسبادن -. بيروت : دار صادر ، ١٩٩٣م .
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : ابن خلكان؛ تحقيق إحسان عباس.- بيروت : دار صادر ، ١٣٩٨هـ .
- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**: الثعالبي ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد -. بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٢هـ .

الدوريات :

المباحث النقدية في كتاب الفسر : نعمة رحيم العزاوي ، **مجلة المورد**، مج ٩١، ع ٢ ، بغداد ، ١٩٩٠ م .
- نعم لقد التقى المتنبي بابن جني : محسن غياض ، **مجلة المورد** ، مج١٠، ع ٢ ، بغداد ،١٩٨١م .
- هل التقى المتنبي بابن جني: عبد الغني الملاّح ، **مجلة المورد** ، مج ٦، ع٣ ، بغداد ، ١٩٧٧م .

منطلقات الفكر التداولي العربي في ضوء المدونة التراثية

نعمان عبدالحميد بوقرة

كلية الآداب – قسم اللغة العربية – جامعة الملك سعود – الرياض

ملخص البحث :

يعتزم هذا البحث تقديم توصيف نظري لمنظومة المقولات النظرية والتطبيقية ذات البعد التداولي من وجهة نظر المثقفين الإسلاميين القدماء في حقول معرفية متكاملة في هدفها بالرغم من اختلاف أطرها المنهجية في الاستدلال والبرهان كالبلاغة والنقد الأدبي وعلوم اللسان والتفسير والأصول والكلام، وربما أمكننا هذا الجهد من وضع الإطار المعرفي للسانيات تداولية عربية تدرس الاستعمال اللغوي وأغراضه متجاوزة وصف البنية والشكل النحوي فاتحة أفقاً أرحب للدراسة النصية المتكاملة، لم لا وحضارة العرب في أصلها حضارة نصية بيانية تقوم على مقاصد الخطاب ومغزاه في عملية الفهم والإفهام.

البيان ونظرية التبليغ :

يمثل البيان المحور الرئيس للنظرية البلاغية، حيث استقطب اهتمامه الفكري وأضحى المعادل الموضوعي لعلاقة اللغة بالمتكلمين في السياقات المعينة، والبيان – عند الجاحظ– اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتّى يفضي السّامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا من كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدّليل؛ لأنّ مدار الأمر، والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع، إنّما هو الفهم والإفهام فبأيّ شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع... (1) . وترتبط قضية الفهم، والإفهام بوظيفة المتكلّم الساعي إلى إظهار الخفيّ، وتوضيحه للسامع بالاستعانة بكلّ الوسائل اللسانية والإشاريّة لتحقيق الفهم . وعليه ستكون الخاصية الأساسة للبيان كونه تعليمياً عملياً، يحقق التواصل الفعال والإفادة بين المخاطب والمخاطب(2). وربما قارب هذا المفهوم في بعده التبليغي الغرض التداولي للخطاب التواصلي في المقامات المختلفة من وجهة نظر حديثة . وفي هذا السياق يذهب الجاحظ إلى ضرورة التركيز على مقصد أدبي مهم يتمعن في إفهام المخاطب وإبلاغه محتوى الرّسالة الأدبيّة من لدن المرسل الذي تتعاظم وظائفه الإبلاغية لتحقيق المقصد الأسنى المتمثل في البيان(3). ولعله الغرض الأساس الذي تحرص التداولية المعاصرة على تحقيقه في الخطابات المنجزة . ولما كان من المستحيل أن يقتنع المتلقي بما هو غامض وغير مفهوم في الخطابات المنجزة والمبلغة، وسعياً إلى إبراز خطر الوظيفة الإقناعية ازدادت عناية الجاحظ بالبيان الذي أطر أهم المباحث اللغوية، بل أضحى الموجه المعرفي لمسألة الوجود من خلال المقولة الشهيرة التي أحسن الجاحظ صياغتها والمتمثلة في قوله :العالم الصغير(اللغة) سليل العالم الكبير(الكون) . هذا ويتوزع البيان في النظرية الجاحظية على مستويين هما:

أ – المستوى التداولي الإقناعي.

ب – المستوى المعرفي، ويرى الجاحظ أن البلاغة في اللفظ، والمستوى المعرفي الذي يختص بالمعاني بصفة

عامة ؛ ومن ثمّ فإنه عمل على حصر البيان في اللفظ وربط الإقناع بالتداول. وقد توصل إلى هذا المستوى البلاغي في البيان انطلاقاً من الوظيفة التواصلية، حيث ينقل في هذا الصدد نصاً عظيم الفائدة من حيث قيمته المعرفية بالنسبة إلى جوهر التصور التداولي ربما تحتم علينا نقله بدون بتر ليحقق بعده المنهجي وغايته المعرفية يقول: "... المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لايعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه، وخلطه، ولا معنى شريكه، والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيّاها، وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجلّيها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهراً، والغائب شاهداً، والبعيد قريباً، وهي التي تخلص الملتبس، وتحل المنعقد، وتجعل المهمل مقيداً، والمقيد مطلقاً، والمجهول معروفاً، والوحشي مألوفاً، والغفل موسوماً، والموسوم معلوماً، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان .."(٤) ؛ يحيل هذا النص إلى أسس العملية التواصلية بشتى وظائفها في إطار اللسانيات المعاصرة من توصيف جاكبسون إلى آراء فان ديك وموريس هال وأوستين وغيرهم، فالمعاني المستورة والخفية لا يتم التعرف إليها إلا بالاستعمال؛ أي (بالألفاظ)، وكذلك بالإخبار عنها ؛ أي الإبانة أو البيان الذي أشار إليه في قوله ويساير هذا التصور مفهوم الإبلاغ الذي تعنى به التداولية التي تصف وتفسر حركية الخطاب بين مستعملي اللغة في علاقة الكلام المنجز بالسياق العام والخاص ومدى تأثيره من حيث هو سلسلة من الأفعال في المتلقي في مستوى الفهم والفائدة، وهذا ما ذهب إليه الجاحظ عندما عد الإخبار والاستعمال المسئولين والمتحكمين في تفعيل المعاني وإعطائها وظائف لسانية وبلاغية وإقناعية معينة .اشترط الجاحظ أن يكون الإفهام مطلباً سابقاً للإقناع والتأثير؛ أي أنّ المتلقي من خلال فهمه لقصد المرسل يمكنه أن يتأثر، ثمّ يقتنع بما أرسل إليه ، وربما وضح ذلك من قوله : «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ، وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص، ولا تزيد؛ أوّلها اللفظ، ثمّ الإشارة، ثمّ العقد، ثمّ الخط، ثمّ الحال التي تسمى نِصْبَة، والنِّصْبَة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصّر عن تلك الدلالات ..."(٥) وربما عكس النص السالف علاقة العلامة بغض النظر عن صنفه العلاقة الكائنة بينها ومنشئها أو مستعمليها وفي هذا الصدد تتجلى العلاقة بين علم العلامات أو ما يصطلح عليه بالسيميولوجيا والتداولية، ويبدو أن الجاحظ كان دقيقاً في تمييز هذه الأدلة من بعضها في ضوء أهمية وشيوع كل صنف في الحياة التواصلية الإنسانية وهو كما يظهر تصور تداولي بحت، ومن ثم أعطى الأسبقية للدليل اللساني ثم الإشارة التي ميز فيها ما يلي:

أ – الإشارة التابعة لسلوك معين وهي نوعان:

١ – إشارة بعضو من أعضاء الجسم وفي ذلك نجده يقول: " ... فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب..."(٦).

٢ – إشارة تتم من خلال المظهر، ويتجلى ذلك في قوله: "... وبالثوب، وبالسيف. وقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زاجرا..." .

ب – الإشارة التابعة للفظ، والكلام، يقول الجاحظ:

... والإشارة واللفظ شريكان في الفضل، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ..."[٧]، وتسهم الإشارة في الإقناع والتأثير لذلك جعلها بعد الفهم، خاصة في الخطابة التي كانت في عصره النموذج الراقي للبيان الذي احتفى به الخاصة .أما فيما يخص العقد فهو عنده الحساب الذي لا نستعمل فيه الكتابة ، ولا الكلام . وأما "النصبة" فقد بدا مفهومها غامضاً إذ جعلها إطاراً حالياً للحياة الإنسانية وهذا ما جعل البعض يفسرها عنده على أنها "الوجود"، أو الكون الذي ألمع إلى خصوصيته في كتاب الحيوان[٨]، والنصبة هي الوضعية التي تكون عليها الأجسام والتي بفضلها يتوصل الإنسان إلى استخراج المعنى الذي يكمن فيها، فهذه الوضعية أو هذه الحال للأجسام هي التي تقوم مقام أدوات التعبير الأخرى كاللفظ، والإشارة وغيرهما[٩]، ويمكن القول إن النصبة هي المعنى، وهي نوع من الدلالة التي لا تتكون من دال ومدلول، وفي السياق ذاته عني الجاحظ بفكرة المقام والمقال التي أسس عليها تصوره لعلاقة الفهم بالإقناع مع ربطها بالمقدار والإصابة المكافئة لفكرة الموازنة بين أقدار المعاني وأقدار المستمعين والحالات؛ فبلاغة الخطاب الإقناعي اعتدال في استعمال الصور البلاغية بحسب الأحوال والمقامات إن هذا الأفق المعرفي تداولي منهجاً ونظرية وهو الذي ارتضاه الجاحظ المعتزلي لتمعين البيان العربي في ضوء البلاغة العامة، ويحاول الباقلاني أن يبرز البعد التداولي لنوع من الخطابات ألا وهو الخطاب الشعري في مستوى تلقي النص وكيفية ممارسة فعل التأثير اللغوي واستجابة المتلقي إلى الأفعال الكلامية وذلك منوط بجملة من الخصائص التي يجب أن يتوافر عليها المتلقي كأن يكون ذا دربة وممارسة فعليتين يستطيع عن طريق ما تسرب في ذاكرته بفعل الإلحاح ومعاودة القراءة ربط الكتابة شعراً ونثراً بصاحبها والتمييز بين أساليب الكتاب ويحتاج في ذلك إلى قرائن السياق المختلفة، ومما لا شك فيه فإن مثل هذه القدرة لا تكتسب إلا بعد عناء وطول ممارسة تنتهي بتبوئ صاحبها مكانة معرفية تؤهله لمواجهة النص الإبداعي مواجهة تتجاوز ظاهر القول فتحاور بنيته العميقة، ومن مظاهر هذه الملكة التأويلية التي تخول له فعل القراءة المنتجة أن يكون[١٠]: – من أهل الصناعة العربية – قد وقف على جملة من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه – قد عرف جملة من طرق المتكلمين – قد نظر في شئ من أصول الدين إن الخطاب على اختلاف أشكاله بناء لغوي قبل أن يكون نتاجاً اجتماعياً وظاهرة حضارية، وعليه فإنه المحك الحقيقي الذي يوظف فيه المخاطب قدراته اللغوية كما يكشف فيه عن مختلف مهاراته وهو كذلك بالنسبة للمخاطب الميدان الذي يختبر فيه كفاءته، في الشرطين الثاني والثالث يشير الباقلاني إلى ما يمكن أن يصطلح على تسميته بالكفاية الموسوعية القادرة على ربط النصوص بعضها وربط الأدب خاصة بغيره من المعارف الأخرى.بهذه النظرة التي تركز على المقدرة اللغوية وتشترط الفصاحة والبلاغة والإلمام بفنون القول ومسالك الخطاب، فإن المتلقي يتبوأ مكانة خاصة في العملية الإنتاجية، وعلى هذا الأساس، فإن المتلقي المنشود هو من كان متناهياً في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها إظهار الفصاحة، فهو متى سمع القرآن عرف إعجازه[١١]. وفي معرض حديثه عن ضرورة تمكن المتلقي من اللسان العربي، يربط المؤلف بين جمالية الإنتاج وجمالية التلقي ؛ فأما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي ووقف على طرقها ومذاهبها فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم

من الفصاحة ويعرف ما يخرج عن الوسع ويتجاوز حدود القدرة، فليس يخفى عليه إعجاز القرآن، كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر وكما يميز بين الشعر الجيد والرديء والفصيح والبديع والنادر والبارع والغريب وعلى الرغم من اقترابه هنا من حقل آخر لا يزال بدوره بكراً ألا وهو جمالية التلقي إلا أنه يعبر بتصوره السالف عن تمايز النصوص اللسانية من حيث البنية والاستعمال والتأثير.

بلاغة السكاكي والأبعاد التداولية في اللغة

بخطى حثيثة يشق أبو يعقوب السكاكي طريقه البلاغية محفوفاً بمعارف نقلية وعقلية متزاحمة بعضها أصيل والآخر أجنبي ربما كان الأساس المنهجي الأول للتصور البلاغي عنده. أما ملامح التداولية فقد بدت علاماتها في منجزه المعرفي المهم بشكل أكبر عند السكاكي من خلال توصيف عناصر العملية التواصلية، وربطها بمقتضى الحال؛ لأنّ وضعية المتلقي، وأحواله تساهم مساهمة فعّالة في فهم المقصد فهما جيّداً، وتحدّد أيضاً نوعية الكلام المرسل من المتكلّم، لأنّ المتلقي سيكون خالي الذهن، أو متردداً في الحكم، أو منكراً له، وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيجعل غير السائل - وهو خالي الذهن - كالسائل وقد يجعل غير المنكر كالمنكر، وقد يجعل المنكر كغير المنكر[١٢].

إن قراءة موازية لنص السكاكي تكشف عن أوضاع غير لسانية تؤطر الفعل التبليغي وعملية التلقي، وهي أوضاع نفسية وذهنية في مبدئها، وهذا تنبيه على ضرورة مراعاة مقتضى الحال، وفي المقالة التالية تمعن للعلاقة الوثيقة بين المتلقي والمقام ووجوب الالتفات إلى تغاير أغراض الخطاب، يقول: فمقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، وكلّ ذلك معلوم لكلّ لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكلّ ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر[١٣]، فالكلام الموجّه إلى الذكي ليس نفسه الكلام الموجّه إلى الغبي. وبتغيّر حال المتلقي يتغيّر قصد المتكلّم، وتتعين حينها مقصدية الإفهام واستجابة المتلقي، كما تتمركز نظرية الأفعال الكلامية في بؤرة اهتمامه بالأساليب الإنشائية من حيث البنية والدلالة والغرض ولأنّ بلاغته تجمع بين النحو والمنطق، والشعر. عد السكاكي أنموذجاً عربياً متميزاً يمكن أن تكون آراؤه أساساً نظرياً للسانيات تداولية عربية بعامة ولنظرية الأفعال الكلامية خاصة[١٤]، كما عني بشكل خاص بالأفعال الطلبية التي جاوزت معناها المباشر إلى المعنى المقامي، في سياق الإشارة إلى إمكان مخالفة ظاهر اللفظ لمراد المتكلم فالاستفهام مثلا يتحول لوجود جملة من القرائن المقالية والمقامية يختارها المتكلم لتحقيق قصد معين كالعرض في قولنا ألا تحب أن تنزل فتأخذ شيئاً، وانصرافه إلى الإنكار في قولنا أمثلك يفعل هذا لمن تراه يفعل فعلة مشينة وهكذا"... تتعدد وظائف الاستفهام بحسب المقام الذي يستعمل فيه[١٥]، ولم يحصر السكاكي ارتباط تعدد الوظيفة التداولية للأفعال الطلبية في الاستفهام، فقد درس الأمر والنهي والتمني والنداء، كما نتلمس ملامح الفعل الكلامي وارتباط الوضع بالقصد في أسلوب الحكيم والسائل بغير ما يطلب[١٦]، ومن أمثلته في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [سورة البقرة/ ١٨٩]، إذ سألوا عن شيء فأجيبوا عن آخر.

ابن خلدون والتوصيل اللغوي

لقد صاغت رؤية ابن خلدون البيانية فيما نزعم آراء سابقيه ولعله يكون الأنموذج المغربي الأمثل لدراسة التصور التداولي العربي إذ نظر إلى الغاية من دراسة الأدب، واكتساب الملكة اللسانيّة بشكل شمولي، حيث يعد الأدب حفظاً لأشعار العرب، وأخبارها، والأخذ من كلّ علم

بطرف، مقرراً أن المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم(١٧)، ومن نفس الرؤية الشمولية يرى أنّ امتلاك اللغة، يجب أن يكون لغاية الإبانة والإفهام وهو هدف التداولية الغربية، يقول: اعلم أنّ اللغات كلّها ملكات شبيهة بالصناعة؛ إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها، وقصورها، بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنّما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامّة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبّق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلّم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة ..."(١٨)، أما عن أهم ما ورد في هذا النص الخلدوني من مقولات تداولية فيمكن صياغته في النقاط التالية : الملكة اللغوية، الجودة والقصور، التعبير عن المعاني المقصودة، مراعاة التأليف مقتضى الحال، التبليغ الغاية من إفادة المقصود السامع، البلاغة وربما اختزلت هذه القيم التداولية بمفهومات معاصرة في : الأداء، الكفاءة، القصد، التركيب، السياق، المتلقي، الإبلاغية وغيرها . كما ظهرت بعض جوانب التفكير التداولي الخلدوني في النص التالي: نجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين (يقصد قوانين النحو)، إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه، أو ذي مودّة، أو شكوى ظلامة، أو قصد من قصوده، أخطأ فيها عن الصواب، وأكثر من اللحن، ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي، وكذا نجد كثيراً ممّن يحسن هذه الملكة، ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول، ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية(١٩) . وربما جاز لنا أن نخلص إلى أنّ الملكة في التأدية، فالملكة لا تحصل إلاّ بالمران والمعاناة، والتكرار، حتى تعود صفة راسخة في المتكلّم، أمّا التأدية فحال متغيّرة وهي أيضاً ضرورية لكلّ علم من علوم اللسان، فلا فائدة من النحو مثلا معزولا عن الإجادة في الكلام والفصاحة، إذ العبرة بالفائدة، والقدرة على الإبلاغ والإفهام بشكل جيّد وفعّال، وهو أعلى مراتب التداولية الحديثة(٢٠) . ويتسق هذا التصور مع نظريته في الإعجاز حيث يقول : إنّ ثمرة هذا الفن إنّما هي في فهم الإعجاز من القرآن، لأنّ إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال(٢١). إنّ هذا الغرض التداولي لا ينفض يديه من غاية نفعية، فللأدب ثمرة، وللغة هدف، وللنحو غاية، وللبيان قصد على حد زعم ابن خلدون وهكذا(٢٢).

التصور التداولي عند حازم القرطاجني

أما حازم القرطاجني فنتلمس تصوره التداولي من خلال ثلة من النصوص لعل أهمها قوله : لمّا كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلاً على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى معاونة بعضهم بعضاً على تحصيل المعاني وإزاحة المضار ..(٢٣)، وهو يشير إلى البعد النفعي الذي ترمي إليه العملية الإبلاغية بصورة شاملة والعملية الإبداعية ممثلة في المنجز الشعري بصورة خاصة والذي يقوم بشكل خاص على عنصر التأثر والتأثير(٢٤). وهذا ما تركز عليه اللسانيات التداولية في تحليل الخطاب(٢٥)، ملمعاً في السياق ذاته إلى ضرورة احترام مقاصد المتكلم المتحكمة بدورها في الأثر الذي يسلطه النص على المتلقي، ويبدو من ناحية ثانية أن هذه المقاصد ذات صبغة حالية تقرأ قراءة سياقية وهي بالتالي جزء لا يتجزأ من المقام الذي يحتل في التصور التداولي الحازمي مكانة متميزة . الأسس التداولية للبيان العربي

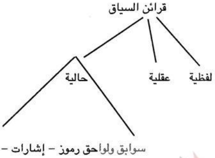
عند الأصوليين يرى كثير من المعاصرين أن مسألة السياق أو المقام كما عرفه العرب القدماء يمثل بؤرة علم الدلالة اللسانية وأوجه استعمال اللغة في التداول اليومي؛ لأنه يعبر باختصار عن الجانب الاجتماعي للمعنى والوظيفة النفعية للغة في حياة الإنسان، وفي هذين الجانبين تظهر الأحداث والعلاقات والقرائن التي تسود ساعة أداء المقال[٢٦] والحقيقة أن الجهل بهذه الظروف لا يمكن من الوصول إلى المعنى على الإطلاق، لذلك قرر ستيفن أولمان (S.Aulman) بأنه لا يمكن الاستمرار في بحث تاريخ الكلمات منعزلاً عن تاريخ الحضارة [٢٧]، وما تاريخ الحضارة إلا أحداث اجتماعية ربطت مقالات معينة ببعضها، وأنزلتها في مسار الأحداث المتصلة، وتتنزل قيمة السياق في دراسة المعنى ضمن تحديد المعاني المتعاورة على اللفظ الواحد بسبب الاشتراك أو تغير دلالة الكلمة عبر الزمن[٢٨] ويعتمد السياق رأسا على اللغة، خاصة عند الشكليين بما هي علاقات بين عناصر منتظمة، مما يحقق مناسبة أو مفارقة في المعنى، كما يعتمد على الظروف الحسية والنفسية المحيطة بالنص، وكذا المحيط الاجتماعي بما فيه من عادات وتقاليد، مما يؤكد على ضرورة المعرفة التامة بأسباب النزول، وأخبار العرب وحياتهم العقلية والروحية والاجتماعية بصفة عامة . وهكذا، تمتد قرينة السياق على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة، وتنتهي بهذه القرائن المتعددة[٢٩] .

الاتجاه الأصولي الشرعي في الثقافة الإسلامية وتداوليات الخطاب

يمثل باب البيان – عند علماء الشريعة – موضوعاً بالغ الأهمية في تفسير النصوص وتأويلها، إذ فيه تتحقق مقصدية صاحب الخطاب وعرفية الاستعمال اللغوي، كما يمثل مجالاً شاسعاً لدراسة معاني الألفاظ، ودلالات التراكيب في النصوص. ولهذا اغتنت كتابات الأصوليين بالبحث في ماهيته وأركانه وأقسامه وحدوده اللغوية والبرهانية بتأثير من علمي الكلام والأصول وعلوم النقل الإسلامية، ويقصد في المتعارف عليه إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب، وأصله الكشف والظهور، فهو اسم لكل ما كشف عن معنى الكلام وأظهره[٣٠]، وسوى التهانوي بينه وبين الفصاحة إذ يقال : فلان ذو بيان أي فصيح، وهذا أبين من فلان أي أفصح وأوضح كلاماً ... والبيان أيضاً الكشف والتوضيح ... وهو مصدر بان، وهو لازم ومعناه الظهور ..وقد يكون متعدياً بمعنى الإظهار[٣١]. كما يرادف الإظهار قال تعالى : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ (آل عمران /١٣٨) . والمراد إظهار الحق بالقرآن وهنا يتجلى جيداً الفعل الكلامي الإنجازي الممثل في وظيفة النبوة المرسلة بالتعاليم الإلهية إلى المخاطبين، ويعضده قوله أيضاً : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل/ ٤٤) . فلو كان البيان – كما ذهب البعض – بمعنى الظهور لما كان محمد (ﷺ) مؤدياً لواجب الرسالة في حق كل الناس[٣٢] . والبيان عند الأصوليين في الأصل، هو مادة الدليل الموصل إلى الحكم الشرعي ؛ وقد نهجوا في تحديده منهجاً عقلياً دقيقاً، مستهدفين من وراء ذلك تحديد الدلالة النصية [٣٣] . ولعل اجتهادهم في تحديد أنواعه أبرز دليل على عنايتهم به، وسنكتفي بذكر هذه الأنواع التي تحيل إلى أغراض الخطاب من حيث هو بنية لسانية مؤسسة على عرف لغوي خاص وقصدية معينة تحققها جملة من الأساليب الإنشائية الطلبية كالأمر والنهي وما يحيلان عليه من دلالات دون الإيغال في تحليلها حتى لا نخرج عن الخط الذي رسمناه لأنفسنا بعدم إغفال النقطة الجوهرية في الموضوع، وهي التركيز على محل هذه الآراء في نظرية الأفعال الكلامية،كما ذكروا في هذا المقام أركاناً للبيان يقوم عليها،

وهي المبين (الله عز وجل)، أو (الرسول ﷺ)، والبيان ويمثل الدليل الموصل إلى معرفة الحكم. أما اللفظ الذي تتضح دلالته بحيث يعرف المراد منه، فهو المبين، في حين يمثل المبين إليه المتلقي أو المكلف بالأحكام الشرعية[٣٤]، والمخطط التالي بيان لذلك : إن هذا التصور - كما هو واضح - يبين إدراكاً عميقاً لحقيقة العملية التبليغية من خلال نموذج متميز هو القرآن، ذلك أن كامل عناية الأصوليين كانت منصبة على إبراز خصوصيات الإعجاز النصي وكيفية تلقي المكلفين للأقوال الإلهية (الآيات القرآنية) بوصفها جملة من الأفعال القابلة للإنجاز والعمل، وهم بذلك يجيبون عن السؤال الذي أثار المحدثين حول كيفية تصير القول اللساني فعلا، وفي سياق تعاضد الخطابات أو ما يمكن أن يعد نصوصاً موازية تسهم في التلقي المنتج كسياقات معرفية ولغوية يشير ابن حزم إلى ضرورة التوقف مع مصادر التشريع جملة واحدة لفهم أغراض الخطاب الديني القرآني ومقاصده فالقرآن مصدر المصادر كلها في نظرية الفقه والاستنباط، وما من أصل شرعي إلا كان اشتقاقه منه، وهو الذي ثبتت به الرسالة المحمدية، باعتباره المعجزة الإلهية المؤيدة للنبوة، كما أن الأصول الأخرى المدعمة للقرآن ترجع في طبيعتها إلى النص، ثم المعنى المأخوذ منه، يقول ابن حزم : "لا سبيل إلى معرفة شيء من أحكام الديانة أبداً إلا من هذه الوجوه الأربعة (أي السنة، والإجماع، والدليل، والقرآن أولها)، وكلها راجعة إلى النص والنص معلوم وجوبه، ومفهوم معناه بالعقل على التدريج الذي ذكرنا"[٣٥]، وفي سياق التأكيد على ضرورة إدراك المقام لفهم خصوصيات المقال نسوق النص التالي توضيحاً لذلك، يقول ابن حزم: ... والبيان يختلف في الوضوح، فيكون بعضه جلياً، وبعضه خفياً، فيختلف الناس في فهمه، فيفهمه بعضهم، ويتأخر بعضهم عن فهمه كما قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إلا أن يؤتي الله رجلا فهما في دينه، وكما تعذر على عمر (رضي الله عنه) وهو الغاية في العلم بنص النبي (ﷺ) على ذلك في فهم آية الكلالة، فمات وهو يقر أنه لم يفهمها، وفهمها غيره من الصحابة (رضي الله عنهم)، وانتهره عليه السلام وأخبره أنها بينة، وكما عرض لعدي في توهمه بأن الخيط الأبيض والأسود من خيوط الناس، حتى زاده الله بياناً في أن ذلك من الفجر، وقد اكتفى غير عدي بالآية نفسها، وعلم أن المراد الفجر وكما توهم ابن أم مكتوم أنه ملوم في تأخره عن الغزو، فزاده الله بياناً باستثناء أولي الضرر، وقد اكتفى غير ابن مكتوم بسائر النصوص الواردة في رفع الحرج، وأن لا حرج على مريض، ولا أعمى، وأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها"[٣٦]، وخلاصة هذا الكلام، أنه يمكن استغلاق أي في فهمها على طالبها، وفي ذاتها بينة، فيدركها من دونه آخر فهماً وإدراكاً[٣٧] . إن هذا النص الذي سقناه بحذافيره يبين ضرورة العناية بالسياق العام للخطاب . وتتجلى عناية المقاربة الأصولية بقصد المخاطب في مباحث البيان من خلال التميز بين الاستثناء والتخصيص ؛ فالاستثناء بيان وتخصيص في الآن معاً، ذلك أنه تكلم بالباقي بعد أداة الاستثناء، كما يتضمن في ذاته نفياً أو إثباتاً لما بعدها أو قبلها (الأداة). أما إذا تكلم بالباقي بعد الثنية كما يقول علماء اللغة، فهو ليس من التخصيص؛ لأن التخصيص معناه أن يكون اللفظ في ذاته عاماً ثم يقترن بدليل مستقل يخصصه[٣٨]، كما يعتبر التخصيص بياناً؛ لأن معناه يقتضي بيان العام الذي لا يراد به ما يدل عليه اللفظ، بل يراد به أول الأمر الخاص فلا يكون التخصيص، من هذا المنطلق، دخول الأفراد في مقتضى العموم، ثم خروجهم بالتخصيص، بل المقصود أن اللفظ العام أريد به بعض أفراده من أول الأمر، ومثال ذلك

تحريم القرآن كما يكون البيان بالتأكيد - أيضاً - فيفيد ثبوت الحكم العام[39]، أما الكناية بالإشارة، فإن الإشارة تعود على أبعد مذكور، إذا كانت ألفاظ مخصوصة يحددها النحاة بذلك، وتلك، وهو، أولئك، وهم، وهي، وهما . أما إذا كانت بألفاظ كهذا وهذه، فإنها (الإشارة) راجعة إلى أقرب مذكور . وثمرة هذا الوصف النحوي هو تفسير لفظة القرء في الآية بالطهر، بالرغم من التسليم بتوارد معنى آخر هو الحيض في اللغة على اللفظة، ويظهر في هذا السياق حديث الرسول (ﷺ) : "مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء"، فالإشارة بتلك تقتضي البعيد من حيث الذكر في الجملة[40]، ويبدو أن إضافة اللام لاسم الإشارة له علاقة بدلالتي القرب والبعد على ما يقرره النحاة[41]، ومن صوره إشارة الرسول (ﷺ) بيده أن ضع النصف في حديث كعب بن مالك مع أبي حدود الصحابي[42]، وإشارته في قوله : الشهر هكذا، وهكذا، فأشار بأصابعه العشر وحبس واحدة في الثالثة[43]. وهذه الإشارات على ما بينا في سياق سالف تجعل من القول فعلاً، ولعل أهم الموضوعات المتعلقة بكيفية استعمال اللغة وتداولها وفهمها والتي عرض لها الغزالي - مثلاً - في المباحث المتصلة بعلم الدلالة اللسانية مبحث السياق .إذ صار هذا المبحث مجالاً خصباً لعملية استنباط الأحكام فيما يمكن الاصطلاح عليه اليوم بعلم النص القرآني وهو قائم في نظره على فكرة مفادها أن فهم غير المنطوق به من المنطوق ذاته دليل صريح على الاحتكام إلى سلطة النص من حيث هو بنية متعلقة بالسياق . وعليه فإنه لا يمكن لاستكشاف البنى العميقة للنصوص والتعرف على البنى الكبرى فيها بالاكتفاء بالدلالات المعجمية للألفاظ،بل لابد من محاولة الغوص في النص في إطار ما تتيحه اللغة من إمكانات أسلوبية وبيانية وتركيبية وما يظهره النص ذاته من قرائن لفظية أو عقلية، بل وما يمارسه أفق انتظار المتلقي للخطاب بالاعتماد على مرجعيات علوم السنة وعلوم أسباب النزول وترتيب التلاوة، وسائر العلوم النقلية والعقلية، و يمكن تصور أسس نظرية السياق الأصولية وفق هذا المخطط :



وليست القرائن في الحقيقة إلا مقام يدرس فيه النص، والذين غفلوا عن دراسته وقعوا في زلات لعزلهم اللفظة عن التركيب والتركيب عن النص والنص عن سياقه وواقعه فاتحين أبواب القول بالرأي والتأويل الخاطئ ، مما أدى إلى ظهور الفرق الإسلامية، و إن كان هذا العرض مقتضباً فإنه يفتح للدارسين باب البحث في نظرية السياق عند الأصوليين، و التي يمكن أن تستخرج أمثلتها من أبواب الاستثناء والشرط والغموض والوضوح والحقيقة والمجاز[44] التخصيص والأمر والنهي والمطلق والمقيد وآيات الأحكام وسائر آليات العام والخاص مما نحسبه دليلاً أكيداً على فائدة السياق اللغوي والحالي في تحديد الدلالة العامة للنصوص، ومن صور العناية بالسياق في تأويل النصوص الدينية تمسك ابن حزم بما يسميه علم النفس وبدهيات العقول، إذ أنكر على أحمد بن حابط المعتزلي الذي وسع دائرة الرسالة لتشمل سائر المخلوقات محتجاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ

بجناحيه إلاَّ أممٌ أمثالكم ﴾ (الأنعام / ٣٨)، وقوله : ﴿ وإن من أمة إلاَّ خلا فيها نذيرٌ ﴾ (فاطر /٢٤)، محتجاً بنعمة العقل التي منحها الإنسان، والمخصوص من جهة ثانية بمنحه النطق الذي هو سبيل التصرف في العلوم والصناعات . والله لا يخاطب بالشريعة إلا عاقلها، والعارف بمرادها ومن له قدرة على ذلك. ولا ريب في أن الحيوان يعدم هذه الخصائص، وبالتالي فهو غير معني بالشريعة والتكليف، في حين تضحى كلمة " أمة " مجرد لفظة دالة على أنواع الأمثال، لا غير، وفرق بين أمة النحل والطير والإنسان بمعنى النوع، وبين أمم الناس بمعنى قبائلهم وطوائفهم وحاضرهم وغائبهم[٤٥]، وفي رده على مزاعم ابن النغريلة اليهودي دليل آخر على فهم المقام الذي يتنزل فيه النص، فهذا المدعي رأي في قوله تعالى: ﴿ وإن تصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئةٌ يقولوا هذه من عندك ﴾ (النساء / ٧٨) تناقضاً لما ذكر في آخر هذه الآية في قوله تعالى : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾(النساء / ٧٩) . ويسعى ابن حزم إلى رد هذا الادعاء انطلاقا من كون الآية مكتفية بظاهرها عن تكلف تأويل، مستغنية ببادئ ألفاظها ونزول هذه الآية جاء كرد على من نسب لحاق السيئات به في الدنيا لمحمد (ﷺ) بأن الإنسان يجني ما كسبت يداه من تقصير أو أداء للواجبات، وكل من عند الله جملة . فإذا نظر الإنسان إلى الآية الموجهة إلى رسول الله (ﷺ)، أخذته الدهشة وطرح سؤالا خلاصته هل يمكن أن يظهر التقصير من النبي مع عصمته ؟ والحقيقة أن المقصود هنا هو تأدية شكر الله وجميع حقوقه على عباده، وهذا لا يستوفيه نبيٌّ ولا ملك. وقد جاءت إجابة الرسول (ﷺ) صادعة حين قال لأصحابه "إن أحدكم لا يدخل الجنة بعمله، فقيل له : ولا أنت يا رسول الله ؟ فقال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته". والظاهر أن الجهل بهذه المعاني المقامية هو الذي جعل اليهودي لا يفرق بين ما أخبر به تعالى من أن كل ما أصابنا به فهو من عند أنفسنا، وبين قول الكفار الذين يتطيرون بالرسول (ﷺ) وصحبه[٤٦]. وفي السياق ذاته، يرد عليه قوله في تناقض الآيتين اللتين يقول فيهما تعالى: ﴿ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾(المرسلات / ٣٥-٣٦)، وقوله : ﴿ يوم تأتي كلُّ نفس تجادل عن نفسها ﴾ (النحل/ ١١١)، إذ يبدو أنه يقف على خصوص قوله تعالى في سورة المرسلات . فالمنع من النطق، إنما هو في بعض مواقف يوم القيامة. أما الجدال، فله مواضعه أيضاً . يقول ابن حزم، موضحاً في إطار السياق اللغوي المعنى المقصود الذي توضحه الآيات التي يأخذ بعضها برقاب بعض : "إذ يقول تعالى : ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظلٍّ ذي ثلاث شعب * لا ظليل ولا يغني من اللهب * إنها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جمالت صفر * ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ (المرسلات/ ٢٩ - ٣٦)، فيه بعذر هكذا نص الآيات متتابعات لا فصل بينها، فيصح أن اليوم الذي لا ينطقون فيه بعذر إنما هو يوم إدخالهم النار، وهو أول اليوم التالي ليوم القيامة الذي هو يوم الحساب، وهو أيضاً يوم جدال كل نفس عن نفسها"[٤٧]. إن هذه النصوص تسمح بأن تكون أداة تأكيد على وظيفة القرائن الحالية، التي عبر عنها ابن حزم بعلم النفس وبديهيات العقل في تخصيص الدلالة العامة وتحديد معاني الوحدات الكلامية المنتجة كنصوص فقوله تعالى: ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم ﴾ [سورة آل عمران/ ١٧٣] لا يمكن أن يحمل على معناه الحرفي إذ حال المخاطبين لا تحتمل أن يجمع لهم كل الناس على سبيل الحقيقة، إنما بعضهم والدليل على ذلك القرينة العقلية . هذا، ويمكن حصر القرائن الحالية في القرينة العقلية

(بديهيات العقل)، ووظيفتها منع حمل دلالة الجملة على المعنى الحرفي كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ (يوسف/ ٨٢)، إذ المقصود مساءلة سكان القرية، أما قرينة الحس فالمقصود بها ما يشبه الواقع أو ينفيه مما يذكره النص أو ينفيه ووظيفة هذه القرينة تصديقية برهانية، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل / ٢٣) فقد علم بالحس أنها لم تؤت ما أوتي سليمان . وتظل فكرة القرائن بعد ذلك أساساً مهماً في التحليل النصي عند ابن حزم، ويمكن القول بأن آراء ه في سياق النظرية الظاهرية قد تصلح حجر أساس في بناء نظرية سياقية كاملة، لها تقنينها وتمثلاتها التطبيقية، ولعل مباحث العموم والخصوص عنده وتكامل النصوص ومراتب الدلالة التركيبية، من حيث الوضوح والغموض صور لهذا الجانب، ولنا أن نتوقف مع مفهوم مميز ظهر عند الأصوليين هو مفهوم الاقتضاء، والمقصود به دلالة اللفظ على المسكوت عنه يتوقف صدق الكلام عليه أو يمتنع وجود صدق الكلام عليه أو يستحيل فهمه إلا به[٤٨]، ويعد هذا المفهوم من أهم مفاهيم التداولية المعاصرة، التي ترى فيه تعبيراً عن قدرة المتكلم على أن يفهم أكثر مما يعلن عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة ويفسر كثيراً من النصوص التي تبدو في غاية التفاوت والتباعد.

الخاتمة :

لقد صدر التفكير البياني العربي في النحو والبلاغة والتفسير والأصول عن رؤية تداولية تتعامل مع النص المعطى في ضوء القرائن السياقية والمقامية غير حاصرة للمعنى في الدلالة الحرفية، من خلال التركيز على الأغراض والمقاصد الأساسية للكلام، مما يجعلنا نقرر أهمية ما توصل إليه الفكر العربي الأصيل ممثلا بالجاحظ والجرجاني ، وابن حزم، وحازم القرطاجني، وغيرهم من الأئمة الأعلام في مجال تحليل اللغة الطبيعية بالنظر إلى المكونات الثلاثة التي تحرص التداولية أو البراغماتية الحديثة على العناية بها، وهي : المكون النحوي والدلالي والتداولي .

الهوامش

١ - الجاحظ . البيان والتبيين، ٧٦/١.
٢ - محمد العمري . البلاغة العربية؛ أصولها وامتداداتها ، ص ١٩١.
٣ - محمد أديوان . نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية أفعال اللغة المعاصرة ، ص ٣٧.
٤ - الجاحظ. البيان والتبيين ، ص٧٥ .
٥ - المرجع نفسه ، ص٧٦.
٦ - محمد الصغير بنّاني . النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص٧٧.
٧ - المرجع نفسه ، ص٧٨.
٨ - ج. كراتشكوفسكي. علم البديع والبلاغة عند العرب -. ط١ -. بيروت ، لبنان : دار الكلمة للنشر ، ١٩٨١م ، ص ٧٢ - ٧٣ .
٩ - محمد الصغير بنّاني. النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ص٧٧.
١٠- الباقلاني. إعجاز القرآن؛ تحقيق أحمد صقر -. مصر: دار المعارف، ١٩٦٣م، ص١١٣.
١١- المرجع نفسه ، ص٢٦.
١٢- السكاكي. مفتاح العلوم -. بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص٧٠.
١٣- المرجع نفسه ، ص٧٣.
١٤- محمد العمري . البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها ، ص٢٧ .
١٥- السكاكي. مفتاح العلوم، ص١٤٧.
١٦- المرجع نفسه ، ص١٥٦.
١٧- ابن خلدون. المقدّمة ، ص٥٥٣.
١٨- المرجع نفسه ، ص٥٥٤.
١٩- المرجع السابق ، ص ٥٦٠ .
٢٠- سالم علوي. ابن خلدون وعلوم اللسان العربي. حوليات جامعة الجزائر ،

العدد الثامن ، ١٩٩٤م ، ص١٩٢.

٢١- سالم علوي . ابن خلدون وعلوم اللسان العربي، حوليات جامعة الجزائر ، العدد الثامن ، ١٩٩٤م ، ص١٩٢.

٢٢- محمد عيد . الملكة اللسانية عند ابن خلدون -٠ بيروت: عالم الكتب، ١٩٧٩م ، ص١٥ وما بعدها.

٢٣- حازم القرطاجني . منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢١٦.

٢٤ - المرجع نفسه ، ص ٢١٦.

٢٥- محمد أديوان . نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة ، ص٢٦ .

٢٦- تمام حسان . اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٣٣٧.

٢٧- ستيفن أولمان. دور الكلمة في اللغة، ص ١٠.

٢٨- علي زوين. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث نص١٨٥.

٢٩- تمام حسان . البيان في روائع القرآن ،ص٢٢١.

٣٠- ابن منظور. لسان العرب، مادة (بين).

٣١- التهانوي،. كشاف اصطلاحات الفنون ، ١٠ / ١٢٦ .

٣٢- السرخسي . أصوله ، ٢٠ / ٢٧ .

٣٣- السيد أحمد عبد الغفار . التصور اللغوي عند الأصوليين ، ص١٢٨.

٣٤- الغزالي . المستصفى ، ٣٦٥/١٠.

٣- ابن حزم. الإحكام في أصول الأحكام، ١ / ٦٩ .

٣٦- المرجع نفسه ١ / ٨٨ .

٣٧- محمد أبو زهرة. ابن حزم، ص٣١٦.

٣٨- المرجع نفسه، ص . ن .

٣٩- ابن حزم . الإحكام في أصول الأحكام، ١٠ / ٨٩ .

٤٠- المرجع نفسه ، ١/ ٢٧ .

٤١- تمام حسان . البيان في روائع القرآن ، ص ٣٣ .

٤٢- المرجع السابق ، ١٠ / ٨٣ .

٤٣- أبو المعالي الجويني. البرهان، ١٢٧/١.

٤٤- طاهر سليمان حمودة . دراسة المعنى عند الأصوليين ، ص١٢٧.

٤٥- ابن حزم . الفصل ،٧٩/١.

٤٦- ابن حزم . الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى ، ص٤٨.

٤٧- المصدر السابق ، ص ٥٥ .

٤٨- الآمدي. الإحكام في أصول الأحكام ، ١٨٦/٢.

المصادر والمراجع

أ - الكتب

- الآمدي ، سيف الدين أبو الحسن (ت ١٣٦هـ). **الإحكام في أصول الأحكام**؛ تحقيق سعيد الجميلي -٠ ط٢ -٠ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٠م.

- أديوان، محمد. نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، كلية الآداب، جامعة تلمسان، العدد ١، سنة ١٩٩٤م.

- الإسترابادي، رضي الدين. **شرح الكافية في النحو لابن الحاجب**؛ تحقيق رحاب عكاوي -٠ بيروت: دار الفكر، سنة ٢٠٠٠م.

- أولمان ، ستيفن . **دور الكلمة في اللغة**؛ ترجمة كمال بشر -٠ مصر : مكتبة الشباب ، ١٩٩٠م.

- الباقلاني ، أبوبكر . **إعجاز القرآن** ؛ تحقيق أحمد الصقر -٠ مصر : دار المعارف ، سنة ١٩٦٣م.

- بناني، محمد الصغير. **النظريات اللسانية والبيانية والبلاغية عند الجاحظ** -٠ بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٦م.

- التهانوي، محمد علي الفاروقي (ت ١١٥٨). **كشاف اصطلاحات الفنون**؛ تحقيق لطفي عبد البديع -٠ القاهرة : المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ). **البيان والتبيين** ؛ تحقيق عبد السلام هارون -٠ ط٤ -٠ القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧٥م.

- الجرجاني ، عبد القاهر . **دلائل الإعجاز** ؛ تحقيق رشيد رضا ؛ تعليق ياسين الأيوبي -٠ صيدا ، بيروت : المكتبة العصرية ، سنة ٢٠٠٠م ؛ وبتعليق محمود محمد شاكر -٠ القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٨٤م.

- الجرجاني ، الشريف علي بن محمد ابن علي. **التعريفات** ؛ تحقيق إبراهيم الأبياري -٠ ط١ -٠ بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ.

- الجويني، أبو المعالي (ت ٧٥٦هـ). **البرهان في أصول الفقه** ؛ تحقيق عبد العظيم محمود الديب -. ط٤-. المنصورة - مصر : مطبعة الوفاء ، ١٤١٨هـ.

- جمال الدين مصطفى . **البحث النحوي عند الأصوليين** -. بغداد : دار الرشيد ، ١٩٨٠م .

- ابن خلدون، عبد الرحمن ت ٨٠٨هـ. المقدمة.- ط٧ -. بيروت: دار القلم، ١٩٨٩م.

- ابن حزم ، أبومحمد . **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية** ؛ تحقيق إحسان عباس -. بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٥٩م. **الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى** ؛ تحقيق إحسان عباس، سلسلة كنوز العرب.- القاهرة : دار العروبة، ١٩٦٠م (نسخة مصورة عن مكتبة جامعة القاهرة). **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ؛ تحقيق سمير أمين الزهري -. ط٢ -. القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م.

- حسان، تمام . **البيان في روائع القرآن**، دراسة أسلوبية لغوية -. ط١-. القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٣م.

- حمودة ، سليمان طاهر . **دراسة المعنى عند الأصوليين**.- الإسكندرية: الدار الجامعية للنشر ، د ت.

- زوين ، علي . **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث** -. ط١-. بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦م.

- السرخسي. **أصول السرخسي**؛ تحقيق أبو الوفاء الأفغاني -. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٢هـ.

- السكاكي، أبويعقوب . **مفتاح العلوم**.- بيروت : دار الكتب العلمية، د ت ط .

- السيوطي ، جلال الدين . **همع الهوامع**؛ تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم -. الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٩٧٥م.

- الشاطبي، أبو إسحاق . **الموافقات في أصول الشريعة**؛ تحقيق عبد الله دراز.- بيروت ، د ت ؛ وبتحقيق محيى الدين عبد الحميد -. القاهرة، ١٩٦٩م .

- طبطبائي، سيد هاشم . **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب** -. الكويت: جامعة الكويت ، سنة ١٩٩٤م.

- كراتشكوفسكي . **علم البديع والبلاغة العربية** -. ط١ -. بيروت : دار الكلمة للنشر ، سنة ١٩٨١م.

- فان ديك ، تيون . أ . **النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**؛ ترجمة عبد القادر قنيني.- الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق، د ت.

- القرطاجني، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء ؛ تحقيق محمد لحبيب بن خوجة -. بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨١-١٩٩٦م.

- القزويني، جلال الدين الخطيب. **شروح التلخيص**.- بيروت: دار الكتب العلمية، دت.

- ابن القيم، الجوزي، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٥١) . **إعلام الموقعين عن رب العالمين** -. مكتبة ابن تيمية ن ط ، ١٤٠٩.

- عبد الغفار ، السيد أحمد . **التصور اللغوي عند الأصوليين** -. ط١ -. شركة مكتبات عكاظ ، ١٩٨١م.

- العسكري، أبوهلال. **الفروق في اللغة**؛ تحقيق لجنة إحياء التراث في -. بيروت: دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٣م.

- العمري ، محمد . **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها** -. المغرب : إفريقيا الشرق، دط ، ١٩٩٩م.

- الغزالي ، أبوحامد . **المستصفى من علم الأصول** ؛ تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي -. ط١ -. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.

- نحلة ، محمد أحمد . **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر** -. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية،

- ياقوت ، محمود سليمان . **علم الجمال اللغوي، (المعاني ، البيان ، البديع)**.- ط١- دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.

ب - المجلات والدوريات

- سالم علوي . ابن خلدون وعلوم اللسان العربي ، **حوليات جامعة الجزائر** ، العدد ٨ ، سنة ١٩٩٤م.

- نعمان، بوقرة. نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ، **مجلة اللغة والأدب**، قسم اللغة العربية، كلية الآداب ، جامعة الجزائر، العدد ٧١، جانفي ٢٠٠٦م.

استخدام الدوريات التربوية العربية المحكمة بمعيار استشهاداتها المرجعية ١٩٩٥ - ١٩٩٩م

دراسة ببليومترية

رسالة دكتوراه مقدمة من أحمد ميرغني محمد أحمد

عرض : محمد عبدالحق محمد مصبح

هيئة التدريب – قطاع المكتبات والمعلومات – معهد الإدارة العامة – الرياض

أحمد ميرغني محمد أحمد / استخدام الدوريات التربوية العربية المحكمة بمعيار استشهاداتها المرجعية ١٩٩٥– ١٩٩٩م: دراسة ببليومترية – رسالة دكتوراه ؛ إشراف حمد عبد الله عبد القادر ؛ الخرطوم : جامعة النيلين – كلية الآداب – قسم المكتبات والمعلومات ؛ تقديم محمد عبد الحق محمد مصبح ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ٢٦٨ص ؛ ملاحق + قرص مدمج .

١ - أهمية موضوع البحث:

عرض الباحث أهمية هذه الدراسة في أنها تسعى لتتبع الإنتاج الفكري التربوي بطريقة منهجية، من أجل التوصل إلى نتائج علمية تكشف عن مسار هذا الإنتاج، وعن مسار سماته البنائية، وترصد حركة التأليف والنشر فيه؛ فضلا عن تحديد الأوعية الأساسية في المجال، والتعرف إلى سلوكات المؤلفين وإنتاجيتهم.

وأن تسهم نتائج هذه الدراسة في وضع الأسس العملية المساعدة لتنمية مجموعات المكتبات، وترشيد ميزانيات التزويد فيها عند اختيار واقتناء أوعية المعلومات المختلفة سواء العربية منها أو الأجنبية – خاصة التربوية منها – ولوضع تصور علمي لاتجاهات تخصص التربية وعلاقاته بالعلوم الأخرى.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من حيث حدودها النوعية والزمنية والمكانية بأنها الأولى من نوعها على مستوى الوطن العربي والعالمي، وذلك حسب علم الباحث بعد تقصيه للإنتاج الفكري التربوي العربي والأجنبي.

٢ - مشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها:

يعد مجال التربية من التخصصات الواسعة والمتشعبة، حيث تربطه كثير من العلاقات بالتخصصات الأخرى – لاسيما العلوم الاجتماعية والإنسانية والتقنية– وذلك لارتباطه الوثيق بقيم المجتمع وعقيدته وتراثه الحضاري.

ولذلك لم يكن غريباً أن نجد عدد المهتمين يتزايد باستمرار، وبالتالي فإن حركة النشر والتأليف فيه هي الأخرى في تزايد أيضاً. وبتتبع الباحث لحركة الإنتاج الفكري والتربوي في العالم العربي لاحظ أن مقالات الدوريات تشكل جزءاً كبيراً منه، ولاستثمار هذا الإنتاج الفكري لمصلحة البحث العلمي، يرى الباحث حاجة هذا التخصص الملحة لإجراء الدراسات القياسوراقية (الببليومترية) الجادة التي تعنى بتحليل الإنتاج الفكري التربوي المتخصص (خاصة الدوريات التربوية) من حيث الكم والنوع والتأثير المتبادل مع التخصصات الأخرى ومسارات التخصص وسماته البنائية. ولم يسبق أن حظيت الدوريات التربوية العربية بدراسة ببليومترية متعمقة، ولأن نتائج مثل هذه الدراسات قد تكشف عن أوعية المعلومات التي تصب في صلب التخصص، وبالتالي

فإنها قد تسهم بدور مؤثر في مسار البحث العلمي في هذا المجال، وتساعد الباحثين والدارسين في إثرائه بكل ما هو جديد، وتهيئهم للقدرة على الإبداع والابتكار لمواكبة التطور المتنامي في فروع المعرفة الأخرى.

٣ - منهج البحث وفروضه وعينته وأدواته:

أ - منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الإحصائي التحليلي بحسبانه المنهج الأكثر ملاءمة لطبيعة الدراسة؛ لأن هذا المنهج يعتمد على استخدام الأساليب الإحصائية والقياسات الكمية، لإعطاء مؤشرات كمية ونوعية عن موضوع الدراسة. وهذه المؤشرات تمثل إحدى الركائز الرئيسة التي اعتمد عليها الباحث للإجابة عن أسئلة الدراسة وتحقيق أهدافها. كما إن هذا المنهج يمكن الباحث من استخدام القوانين الببليومترية Bibliometric التي تستخدم عادة في دراسات تحليل الاستشهادات المرجعية للإنتاج الفكري.

ب - أسئلة البحث:

اتجهت هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

١ - ما مدى تنوع وتوزيع الإنتاج الفكري في مجال التربية؟

٢ - ما مدى التشتت والتوزيع الموضوعي للإنتاج الفكري التربوي؟

٣ - ما مدى وجود علاقات تأثير وتأثر بين مجال التربية والمجالات الموضوعية الأخرى كبعض فروع العلوم الاجتماعية مثل السياسة، والإدارة، والاقتصاد، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والعلوم التقنية؟

٤ - ما أهم الدوريات التربوية العربية الأكثر استخداماً من قبل الباحثين التربويين؟

٥ - ما أبرز سمات المؤلفين في مجال التربية؟ وما العوامل المؤثرة في سلوكات الاستشهاد لديهم؟

٦ - ما أهم لغات نشر الإنتاج الفكري التربوي؟

٧ - ما مدى اختلاف معدلات نمو الإنتاج الفكري التربوي من فترة زمنية إلى أخرى؟

٨ - ما مدى تأثر الإفادة من الإنتاج الفكري التربوي بعامل الزمن؟

٩ - ما مدى التشتت الجغرافي للاستشهادات المرجعية في مجال التربية؟

١٠- ما الجهات التي تهتم بنشر الإنتاج الفكري التربوي؟

١١- ما مدى اعتماد الباحثين التربويين في كتابة بحوثهم على الدوريات المتاحة بالمكتبات القريبة منهم؟

ج - أهداف البحث:

هدف هذا البحث إلى تحليل مقالات الدوريات العربية في مجال التربية، ومن ثم تحليل الاستشهادات المرجعية التي اشتملت عليها تلك المقالات، بغرض التعرف إلى:

١ - نسبة التوزيع الكمي والنوعي للمقالات بين الدوريات.

٢ - مدى التشتت الموضوعي لمصادر الإنتاج الفكري التربوي.

٣ - المجالات الموضوعية التي تؤثر في مجال التربية، وتلك التي يتأثر بها.

٤ - الدوريات التربوية الأكثر استخداماً من قبل التربويين.

٥ - سمات المؤلفين في مجال التربية من حيث: مؤهلاتهم وجنسياتهم والهيئات التي ينتمون إليها.

٦ - اللغات التي ينشر بها الإنتاج الفكري التربوي.

٧ - معدل نمو الإنتاج الفكري التربوي.

٨ - نسبة التقادم لأوعية المعلومات المستشهد بها في مجال التربية.

٩ - التوزيع الجغرافي للإنتاج الفكري التربوي.

١٠- الجهات التي تنشر الإنتاج الفكري التربوي.

١١- مدى توافر الدوريات التربوية العربية الأكثر استخداماً في مكتبات البحث في بعض الدول العربية.

كما هدفت الدراسة إلى التوصل إلى قائمة حديثة بالدوريات العربية الجارية والمتوقفة - التي تم إصدارها داخل الوطن العربي أو خارجه.

د – مجتمع البحث:

مجتمع البحث هو أوعية المعلومات الدورية، كما هو ظاهر من عنوان البحث وتمثله الدوريات التربوية العربية.

وبناء على ذلك قام الباحث بتقصي الإنتاج الفكري في مجالات التربية والمكتبات والمعلومات لسببين:

١ – التحري عن الدراسات السابقة في موضوع بحثه.

٢ – التوصل إلى قائمة حصرية بالدوريات التربوية العربية التي تمثل مجتمع البحث.

لم يتوصل الباحث خلال تتبعه وتقصيه للإنتاج الفكري في مجالات التربية والمكتبات والمعلومات لأي قائمة وراقية حديثة تحصر الدوريات العربية التربوية بشيء من التفصيل والشمول.

قام الباحث بحصر الدوريات التربوية العربية التي تمثل مجتمع البحث من المصادر التي توصل إليها، وبلغ مجموع الدوريات التي رصدها الباحث (٥٦٤) دورية تضمنت كل الأنواع (المجلات، الصحف، النشرات... الخ)، بما فيها الدوريات الجارية والمتوقفة. وبمقارنة هذا العدد بما جاء في الوراقيات المطبوعة، نجده تفوق عليها كثيراً من حيث عدد الدوريات التي رصدت في كل.

أما التوزيع العددي لهذه الدوريات وجد أن هناك (٢٨٧) دورية جارية مثلت حوالي (٥٠,٩٪) من مجموع الدوريات التربوية مجتمع البحث، و(٨١) دورية متوقفة عن الصدور مثلت (١٤,٤٪)، و(١٩٦) دورية غير معروفة حالة كونها جارية أو متوقفة– رجح الباحث توقفها أكثر من استمراريتها– ومثلت (٣٤,٧٪) من مجموع الدوريات.

أما التوزيع النوعي لهذه الدوريات، فقد تصدرت فئة المجلات التي بلغ عددها (٣٦٩) مجلة تمثل (٦٥,٤٪)، تليها النشرات (٩٨) نشرة بنسبة (٦,٢٪)، ثم الصحف والجرائد، والتقارير السنوية بعدد متساوي (٣٥) دورية أي بنسبة (٦,٢٪) لكل منها، ثم الكتب السنوية فالسلاسل الدورية فالأدلة ثم الحوليات فالكشافات وأخيراً فهرس دوري واحد. وهذه مجتمعة بلغ عددها (٢٧) دورية مثلت (٤,٨٪) من المجموع الكلي للدوريات.

وفيما يتعلق بدورة صدور هذه الدوريات، فقد بلغ عددها سبع عشرة (١٧) فئة، والدوريات التي تصدر سنوياً جاءت في الصدارة بنسبة (٢٧,٥٪) أي أكثر من ربع الدوريات مجتمع البحث، تليها الدوريات الفصلية، ثم الشهرية بنسب متقاربة، ثم نصف السنوية... الخ.

ويلاحظ أن الدوريات (السنوية ونصف السنوية وثلث السنوية والفصلية) مثلت أكثر من نصف الدوريات مجتمع الدراسة، فقد بلغ عددها (٣١٩) دورية تعادل (٥٦,٦٪).

أما الجهات التي تصدر عنها هذه الدوريات، فقد بلغت سبع جهات مثلت الفئات الثلاث (الوزارات، الجامعات، الكليات) دورياتها قرابة ثلثي الدوريات، فإذا أضفنا إليها دوريات المنظمات والمراكز والمعاهد التربوية – معظم دورياتها بحثية ومحكمة – تصبح هذه الفئات مجتمعة هي المصدر الرئيس للدوريات العربية التربوية، إذ تصدر عنها (٤٤٧) دورية مثلت (٧٩,٣٪).

وبلغ عدد الدول المنتجة للدوريات (٢٧) دولة منها عشرون دولة عربية، أي كل دول الوطن العربي ما عدا جيبوتي، وسبع دول أجنبية.

تمكن الباحث من صياغة عشرة عناصر شكلت مجتمعة المعيار الذي اعتمد عليه في اختيار الدوريات عينة الدراسة وتمثلت هذه العناصر في:

التغطية الموضوعية، الانتظام والاستمرارية، التحكيم، الاستشهاد المرجعي، جهة الصدور، التنوع الجغرافي، أصالة البحوث والدراسات، دورة إصدار الدورية، لغة النشر، الاستئناس برأي بعض الخبراء والمتخصصين في المجالات التربوية من أساتذة الجامعات وغيرهم.

وبما أن الباحث كان بصدد اختيار خمس دوريات فقط لإجراء دراسته عليها – وهو عدد مناسب لإجراء مثل

هذه الدراسات- فقد غطى البحث عينة قصدية (عمدية) مكونة من خمس دوريات عربية في مجال التربية جميعها دوريات محكمة مستمرة الصدور وهي:

١ - مجلة كلية التربية بالمنصورة.

٢ - المجلة التربوية (جامعة الكويت).

٣ - مجلة مركز البحوث التربوية (جامعة قطر).

٤ - المجلة العربية للتربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).

٥ - مجلة كلية التربية (جامعة الإمارات).

واشتمل البحث تحليل الاستشهادات المرجعية لمقالات الدوريات العربية الخمس السابقة التي اشتملت عليها أعدادها الصادرة خلال الفترة الزمنية (من بداية يناير ١٩٩٥م وحتى نهاية ديسمبر ١٩٩٩م)، وغطى البحث الدوريات العربية السابقة والصادرة في خمس دول عربية هي على التوالي (مصر، الكويت، قطر، تونس، الإمارات العربية المتحدة).

٤ - أسلوب تحليل البيانات واستخراج النتائج:

أولاً: استخدم الباحث الأساليب الإحصائية والنسب المئوية لقياس التوزيع الكمي والنوعي للمقالات والاستشهادات المرجعية.

ثانياً: استخدام الجداول والرسومات البيانية الخطية والدائرية؛ لتمثيل بعض الظواهر والتوزيعات كتوزيع الاستشهادات على سنوات البحث، أو على أماكن نشرها. وقد استفاد الباحث من إمكانات برنامج SPSS (Statistical Package of Social Sciences) في الوصول إلى النتائج.

ثالثاً: استخدم قانون براد فورد للتشتت بصيغته البيانية لقياس توزيع الاستشهادات المرجعية على الدوريات.

رابعاً: استخدم قانون لوتكا لقياس إنتاجية المؤلفين.

خامساً: استخدم صيغة بروكس لتوزيع براد فورد- زيف لقياس التوزيع الطبقي للدوريات العربية والأجنبية، ومن ثم تحديد القائمة البؤرية للدوريات الأكثر استشهاداً. كما تم تطبيق صيغة بروكس أيضاً لقياس معدلات التعطل في الإنتاج التربوي، وقياس توزيعات الناشرين والأوعية المستشهد بها وأماكن نشرها، والخروج بقوائم طبقية لهذه الفئات.

سادساً: استخدم الباحث استبانة مصغرة من صفحة واحدة تشتمل على الدوريات البؤرية، وتم توزيعها على المكتبات المركزية ومكتبات كليات التربية في عشرين جامعة موزعة على عشر دول عربية. وذلك من أجل الإجابة عن السؤال السادس في أسئلة الدراسة.

ملخص الدراسة التطبيقية:

أ - النتائج المتعلقة بالمقالات:

- بلغ عدد المجلات عينة الدراسة خمس مجلات تربوية، اشتملت على (٦٠) عددا تضمنت (٤٣٣) مقالة بمتوسط (٧,٢) مقالة في كل عدد.
- بلغ مجموع صفحات المقالات عينة الدراسة (١٥٦٦٣) صفحة بمتوسط (٢٦١) صفحة في كل عدد. وبلغ متوسط صفحات المقالة (٣٦,٢) صفحة.
- استحوذت اللغة العربية كلغة نشر على (٣٨٧) مقالة تمثل (٨٣,٤٪) من مجموع المقالات، وكان نصيب اللغة الإنجليزية (١٠,٦٪).
- غطت فترة الدراسة خمس سنوات (١٩٩٥- ١٩٩٩م). وبلغت أعلى إنتاجية للمقالات عام ١٩٩٩م وقد نشرت فيه (٩٤) مقالة، وأدنى إنتاجية كانت (٧٨) مقالة عام ١٩٩٨م.
- توزعت المقالات عينة الدراسة على (٦٤) موضوعاً. جاء في مقدمتها - كما كان متوقعاً - موضوع التربية بأقسامه المختلفة وقد استأثر بنسبة (١٣,٤٪) من مجموع المقالات، تلاه موضوع المناهج بنسبة (١٢,٩٪) ثم علم النفس التربوي بنسبة (١١,٣٪) ثم طرق التدريس بنسبة (١٠,٢٪) ... الخ.
- بلغ عدد المؤلفين الذين كتبوا المقالات موضوع الدراسة

(٣٠٥) مؤلفين بمتوسط (١,٤٢) مقالة لكل مؤلف، يمثل المؤلفون الذكور (٧٧,٤٪) منهم، بينما بلغت نسبة المؤلفات الإناث (٢١,٤٪).

- تصدر يزيد عيسى سورطي قائمة المؤلفين الأكثر إنتاجية بست مقالات، تلاه مباشرة زينب علي الجبر ومحمد رفقي ونجاة عبد العزيز المطوع بخمس مقالات لكل منهم.
- بلغت نسبة التأليف الفردي (٨٢٪) من مجموع المقالات، ونسبة التأليف المشترك بمؤلفين (١٦,٤٪)، والتأليف بأكثر من مؤلفين بلغت نسبته (١,٦٪) من مجموع المقالات عينة الدراسة.
- معظم كتاب المقالات كانوا من جنسيات عربية يمثلون (٩٩,١٪) وينتمون إلى (١٧) دولة عربية. جاء المؤلفون المصريون في مقدمتهم بنسبة (٣١,٤٪) تلاهم الأردنيون بنسبة (١٥,٧٪)، ثم الكويتيون فالسعوديون... الخ. وكانت هناك أربع مقالات فقط كتبت بأقلام مؤلفين من جنسيات غير عربية (أمريكية وبريطانية وماليزية).
- بلغ عدد المقالات التي اشتملت على استشهاد ذاتي للمؤلفين (١٤٩) مقالة تمثل (٣٤,٤٪) من مجموع المقالات عينة الدراسة.
- أسهم المؤلفون من حملة الدكتوراه بنسبة (٩٨,٤٪) من المجموع الكلي للمقالات. ويلاحظ أن جميع المؤلفين للمقالات التي نشرت في مجلة كلية التربية بالمنصورة ومجلة مركز البحوث التربوية ومجلة كلية التربية بالإمارات كانوا من حملة الدكتوراه.
- معظم مؤلفي المقالات (٩٦,٣٪) يعملون في الجامعات، والنسبة القليلة المتبقية منهم تعمل في كليات ومعاهد المعلمين والمنظمات التربوية ومراكز البحوث التربوية.
- مصطلح المراجع ثم المصادر كانا أكثر المصطلحات استخداماً في تسمية قوائم الوثائق المستشهد بها في نهاية المقالات العربية. في حين كان المصطلح References ثم Bibliography هما الأكثر شيوعاً وتواتراً في المقالات الأجنبية.

ب - النتائج المتعلقة بالاستشهادات المرجعية:

- اشتملت عينة الدراسة المكونة من خمس دوريات تربوية عربية، على (١٤٠٠٤) استشهادات مرجعية. وقد بلغ متوسط عدد الاستشهادات في المقال الواحد (٣٢,٣) استشهاداً.
- توزعت الاستشهادات المرجعية على تسعة أنواع من أوعية المعلومات، تصدرتها الكتب بنسبة (٤٣,٣٪) تلتها مقالات الدوريات التي استحوذت على (٦٣,١٪) ثم الأطروحات بنسبة (٩٪)، ثم المؤتمرات والندوات وتقارير البحوث والمعاجم والموسوعات ... إلخ.
- توصل الباحث بعد تطبيق صيغة براد فورد- زبف على الاستشهادات إلى قائمة بؤرية بالدوريات التربوية (Core) التي حظيت بالاستشهاد أكثر من غيرها اشتملت على تسع عشرة دورية، منها ثماني مجلات عربية وإحدى عشرة أجنبية.
- تصدرت Journal of Educational Psychology القائمة البؤرية للدوريات التربوية، تلتها Journal of Research in Science Teaching ثم المجلة التربوية ثم دراسات تربوية... الخ.
- تصدرت المجلة التربوية القائمة البؤرية للدوريات التربوية العربية، تلتها دراسات تربوية، ثم رسالة الخليج العربي ثم مجلة كلية التربية بالمنصورة ... الخ.
- بلغ عدد المؤلفين العرب (٢٨٨٤) مؤلفاً مثلوا المجموع الكلي للمؤلفين بنسبة (٣٣,٩٪). بينما بلغ عدد المؤلفين الأجانب (٥٦١٤) مؤلفاً مثلوا (٦٦,١٪) أي حوالي ثلث المؤلفين الذين غطت الدراسة أعمالهم.
- اشتملت القائمة البؤرية للمؤلفين المستشهد بأعمالهم أكثر من غيرهم على (١٩) مؤلفاً كان من بينهم (١٥) مؤلفاً عربياً وأربعة أجانب. وتصدر القائمة فؤاد

أبوحطب وتلته منظمة اليونسكو ثم وزارة التربية بالكويت ثم جابر عبد الله جابر ... الخ.

- استحوذ التأليف الفردي على (٧٣,٥٪)، والتأليف المشترك بمؤلفين على (١٧,١٪) بينما حصل التأليف المشترك بثلاثة مؤلفين فأكثر على (٩,٤٪) من المجموع الكلي للأعمال المستشهد بها.
- تصدر مجال التربية بأقسامه المختلفة قائمة الموضوعات التي غطتها الدراسة بنسبة (٧٠٪)، وتوزعت النسبة المتبقية (٣٠٪) على الموضوعات الأخرى غير التربوية، واحتل موضوع طرق التدريس صدارة القائمة بنسبة (١١٪)، يليه علم النفس التربوي بنسبة (١٠,١٪) ثم القياس والتقويم التربوي بنسبة (٦,٧٪) ثم المناهج التعليمية بنسبة (٦,٤٪) ... إلخ.
- بلغت نسبة التشتت الموضوعي في مجال التربية (٣٠٪). وتمثل هذه النسبة الأعمال غير التربوية المستشهد بها في الدراسة.
- استحوذت اللغة الانجليزية على (٥٤,٤٪) من مجموع الوثائق المستشهد بها في الدراسة، متصدرة بذلك لغات نشر الإنتاج الفكري التربوي. تلتها اللغة العربية بنسبة (٤٥,٢٪) ثم الفرنسية ثم الألمانية فاللغة التشيكية.
- بلغ مدى الفترة التي تم فيها نشر الإنتاج الفكري التربوي المستشهد به في الدراسة (٩١) عاما، بدأت من ١٩٠٩م وانتهت في عام ١٩٩٩م.
- اتضح أن عقد الثمانينيات هو الأكثر إنتاجية فقد بلغت نسبة ما نشر فيه (٤٢٪) أي أكثر من خمسي الاستشهادات عينة الدراسة، تلاه عقد التسعينيات بنسبة (٣٣,٥٪)، ثم عقد السبعينيات بنسبة (١٥,٨٪). بينما أسهمت الفترة من ١٩١٩م حتى ١٩٩٩م بنسبة (٠,٥٪) فقط.
- بلغ مؤشر عمر النصف Halfife في مجال العلوم التربوية (١٢,٥) عاماً. أي أن (٥٠٪) من الإنتاج الفكري المستشهد به في هذه الدراسة نشر خلال الفترة من ١٩٨٦م إلى ١٩٩٩م.
- بلغ متوسط نسبة مفعول الفورية Immediacy Effect (٢٢,٣٪) وتمثل هذه النتيجة النسبة المئوية لعدد الوثائق المستشهد بها والصادرة خلال السنوات الخمس السابقة للدراسة.
- بلغ مجموع الدول التي نشر فيها الإنتاج الفكري المستشهد به (٥٧) دولة، منها (١٨) دولة عربية استأثرت بنسبة (٤٦,٣٪) من المجموع الكلي للاستشهادات التي أجريت عليها الدراسة. و(٣٩) دولة أجنبية ساهمت بنشر (٥٣,٧٪).
- تصدرت أمريكا الدول الناشرة للإنتاج الفكري المستشهد به في الدراسة، واستحوذت على (٤١,٣٪) منه، تلتها مصر بنسبة (٢٠,٣٪) ثم بريطانيا بنسبة (٧,٥٪) ثم السعودية بنسبة (٤,٩٪) ... إلخ.
- تصدر الناشرون التجاريون قائمة الناشرين بنسبة (٤٠,٨٪) تلتهم الجامعات والهيئات الأكاديمية بنسبة (٢٠,٣٪) ثم الجمعيات والاتحادات المهنية المتخصصة بنسبة (١٧,٤٪) ثم مراكز ومعاهد البحوث التربوية بنسبة (٦,٨٪).
- تصدرت جمعية علم النفس الأمريكية American Psychological Association القائمة البؤرية للناشرين، تلتها مستخلصات الأطروحات العالمية International Dissertation Abstracts ثم جامعة عين شمس ثم الجمعية الأمريكية للبحث التربوي American Education Research Association ثم مكتبة الأنجلو المصرية.
- ضمت القائمة البؤرية للناشرين (٨١) ناشراً نصفهم أجانب والنصف الآخر ناشرون عرب أكثر من نصفهم من مصر.
- أظهرت الدراسة أن أكثر من ثلثي الدوريات التربوية الأساسية المتمثلة في القائمة البؤرية التي توصل إليها الباحث، إما إنها غير موجودة أصلا بمكتبات البحث عينة الدراسة، أو أن ما يتوافر منها في هذه المكتبات يقل عن (٧٠٪) من مجموع مجلداتها.

- تعد مجلة رسالة الخليج العربي أنها الأفضل بين المجلات التربوية البؤرية من حيث توافر مجلداتها بمكتبات البحث عينة الدراسة.

ج - نتائج عامة:

- تبين من خلال تحليل الاستشهادات المرجعية أن هناك تبايناً واضحاً في طريقة توثيق الأعمال المستشهد بها في نهاية المقالات العربية والأجنبية من حيث استكمال البيانات الوراقية أو الالتزام بقواعد الفهرسة الوصفية.
- تبين للباحث عدم اتفاق صيغة قانون لوتكا Lotka's Law لقياس إنتاجية المؤلفين مع نتائج دراسته فيما يتعلق بإنتاجية مؤلفي المقالات أو الاستشهادات المرجعية.
- أظهرت الدراسة أن قانون براد فورد للتشتت Bradford's Law Scattering بصيغته النظرية لم يوفق في تحديد القائمة البؤرية للدوريات التربوية ولذلك فضل الباحث استخدام صيغة بروكس Brooks لتوزيع براد فورد-زيف Bradford-Zipf Distribution لتحديد تلك القائمة.
- اتفقت نتائج هذه الدراسة في كثير من الأحيان، مع نتائج بعض الدراسات القياسوراقية العربية والأجنبية في مجالات التربية والمكتبات والمعلومات.
- كشفت الدراسة أن المجلات الخمس التي تمثل عينة الدراسة تميزت بكثير من الخصائص مثل: تحكيم المقالات والالتزام بدورة الصدور، والتقيد إلى حد كبير بضوابط النشر التي حددتها، والإخراج الفني الراقي. وتحققت هذه الخصائص بصورة أكثر وضوحاً في المجلة التربوية ثم مجلة مركز البحوث التربوية ومجلة كلية التربية بجامعة الإمارات .

التوصيات:

١ - أوصى الباحث بإجراء المزيد من الدراسات القياسوراقية في مجال التربية خلال فترات زمنية مختلفة، مع التنوع في أوعية المعلومات التي تمثل عينة الدراسة (كتب، دوريات، أطروحات... إلخ). من اجل التوصل إلى بعض النتائج التي يمكن تعميمها.

٢ - إجراء دراسات قياسوراقية مقارنة يكون مجال التربية أحد طرفيها، والطرف الآخر يمثله أحد فروع العلوم الاجتماعية أو الإنسانية، للتعرف إلى المزيد من العلاقات التي تربط مجال التربية بالمجالات الموضوعية الأخرى.

٣ - على المكتبات ومراكز البحوث التربوية، الحرص على اقتناء الدوريات التربوية المحكمة التي تصدر عن الجامعات والمنظمات الدولية والإقليمية المتخصصة. وأوصى الباحث باقتناء الدوريات البؤرية التربوية أي دوريات اللب Core Journal التي وردت كإحدى النتائج المهمة في هذه الدراسة؛ بهدف ترشيد ميزانيات هذه المكتبات، وتأمين الدوريات التي تلبي اهتمامات المستفيدين.

٤ - ضرورة اهتمام المؤلفين وبذلهم المزيد من التعاون مع الناشرين في توثيق الأعمال التي يستشهدون بها بالصورة العلمية المعهودة، من خلال رصد البيانات الأساسية عن الوثيقة المستشهد بها مثل: اسم الناشر، تاريخ ومكان النشر... الخ بجانب المعلومات الشخصية عن المؤلف نفسه كالمؤهل العلمي والدرجة الأكاديمية والتخصص والجهة التي يتبع لها ... الخ.

٥ - أكد الباحث على الناشرين والجهات التي تتولى إصدار الدوريات المحكَّمة لاسيما التربوية منها، التقيد والالتزام بسياسة وقواعد النشر التي تتبناها.

٦ - أمل الباحث أن تجد القائمة الحصرية للدوريات التربوية التي توصل إليها كإحدى النتائج المهمة في دراسته، من إحدى الجهات التربوية المتخصصة مثل الكليات الجامعية ومراكز البحوث التربوية الوطنية أو الإقليمية، أو غيرها من الجهات ذات الاهتمام بالعلوم التربوية. أن تتولى مهمة إصدار هذه القائمة في شكل ورقي أو رقمي وإتاحتها على الانترنت للمستفيدين؛ لأنها من وجهة نظر الباحث تمثل أحدث دليل للدوريات التربوية العربية.

اتجاهات طلاب الدراسات العليا نحو استخدام شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)

دراسة مسحية على طلاب كلية الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية(*)

رسالة ماجستير مقدمة من عصام توفيق أحمد إبراهيم

عصام توفيق أحمد إبراهيم / اتجاهات طلاب الدراسات العليا نحو استخدام شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) : دراسة مسحية على طلاب كلية الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية - رسالة ماجستير ؛ إشراف ذياب موسى البداينة ؛ الخرطوم : جامعة النيلين - كلية الآداب - قسم الوثائق والمكتبات ؛ تقديم محمد عبد الحق محمد مصبح / ٢٠٠٢م ، ٣٤٢ ورقة .

١ - أهمية الموضوع :

تنبثق أهمية هذه الدراسة من أهمية التعرف إلى اتجاهات طلاب الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية نحو استخدام الإنترنت ، ويتطلع الباحثون والعلماء وطلاب الدراسات العليا إلى أن يجدوا ما يخدم بحوثهم ودراساتهم وحاجاتهم من المعلومات التي هي في تضاعف مطرد وتتسارع معه حاجات العلم والبحث إلى المواكبة وعدم الركود.

كما تعتبر هذه الدراسة من الدراسات النادرة - حسب علم الباحث - التي تتطرق إلى معرفة اتجاهات طلاب الدراسات العليا نحو الإنترنت، وذلك لقلة الإنتاج العلمي والفكري العربي في علم المكتبات والمعلومات حول استخدام الإنترنت كدراسات ميدانية على الجامعات ومراكز الأبحاث، وقد يعزى ذلك إلى حداثة هذه الوسيلة الإعلامية المعلوماتية.

٢ - مشكلة الموضوع وكيفية تحديدها:

تعد (الإنترنت) من أهم المصادر التي يمكن عن طريقها الحصول على المعلومات، ولذا فقد بادرت أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في الاشتراك بهذه الخدمة قبل دخولها إلى المملكة رسميا رغبة منها في تهيئة الفرصة أمام طلابها وأعضاء هيئة التدريس فيها للاستفادة من خدماتها التي ربما ساعدت في إجراء دراساتهم وبحوثهم العلمية، ومن هنا رأى الباحث باعتباره أحد العاملين بمركز خدمة الإنترنت بالمكتبة، إجراء دراسة ميدانية للوقوف على اتجاهات طلاب الدراسات العليا نحو الاستفادة من خدمة الإنترنت في إجراء بحوثهم ودراساتهم، وما إذا كانت هناك مشكلات أو معوقات تحول دون استفادتهم الكاملة من هذه الخدمة، ومن ثم الخروج بالتوصيات والمقترحات اللازمة في ضوء ما تسفر عنها من نتائج.

٣ - منهج البحث وفروضه وأسئلته وأهدافه وعينته وأدواته:

أ - منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي، وهو الذي يقوم على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع؛ ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو كمياً، وقد وظف الباحث هذا المنهج في إجراء هذه الدراسة من خلال

(*) ملاحظة: تم تغيير مسمى أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية إلى جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في عام ٢٠٠٣م.

المسح الاجتماعي لاتجاهات جميع أفراد مجتمع الدراسة وذلك عن طريق إجراء مسح ميداني شامل لطلاب كلية الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية للعام ١٤٢١ - ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠٢م.

ب - فروض البحث:

استندت هذه الدراسة على الفرضيات التالية :

١ - استخدام شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) في البحث العلمي ضرورة تفرضها متطلبات التعامل مع مستجدات العصر.

٢ - يتم الحصول على المعلومات عن (الإنترنت) من مصادر مختلفة، تسعى هذه الدراسة إلى التعرف إلى مصادر حصول طلبة الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية عن الإنترنت.

٣ - تستخدم الإنترنت لأغراض مختلفة، تسعى هذه الدراسة إلى التعرف إلى أهم أغراض طلبة الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية من استخدامها.

٤ - تفترض الدراسة استفادة الطلاب من خدمات الإنترنت، حيث تسعى إلى التعرف إلى مدى استفادة طلاب الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية من خلال الإنترنت في بحوثهم.

٥ - تواجه طلاب الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بعض الصعوبات لدى استخدامهم الإنترنت، وتسعى هذه الدراسة إلى التعرف إلى تلك المعوقات.

ج - أسئلة البحث:

سعت الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

السؤال الرئيس : ما اتجاهات طلاب الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية نحو استخدام شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)؟ وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية:

١ - ما أغراض طلاب الدراسات العليا من استخدام الإنترنت؟

٢ - إلى أي مدى يستفيد طلاب الدراسات العليا من خدمات الإنترنت في إجراء بحوثهم ودراساتهم العلمية؟

٣ - ما المعوقات التي تواجه طلاب الدراسات العليا لدى استخدامهم للإنترنت في مجال البحث العلمي؟

٤ - ما المصادر التي من خلالها تعرف طلاب الدراسات العليا على الإنترنت؟

٥ - مدى إلمام طلاب الدراسات العليا باستخدام الإنترنت؟

٦ - هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية في اتجاهات طلاب الدراسات العليا نحو الإنترنت تعزى للمتغيرات الديمغرافية، (العمر، المهنة، سنوات الخدمة، معرفة اللغة الإنجليزية، الدخل).

د - أهداف البحث:

١ - التعرف إلى اتجاهات طلاب الدراسات العليا نحو استخدام الإنترنت.

٢ - التعرف إلى مدى استفادة طلاب الدراسات العليا من استخدام الإنترنت في مجال البحث العلمي.

٣ - التعرف إلى المعوقات والسلبيات التي تحول دون الاستفادة القصوى من خدمات الإنترنت ومعالجتها.

٤ - الإسهام في إثراء الإطار النظري في مجال المكتبات واستخدامات تقنية المعلومات والحاسب الآلي.

هـ - مجتمع البحث:

اقتصرت هذه الدراسة على طلاب الماجستير بكلية الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، حيث. كانوا مصدراً للمعلومات الأولية، وهم الطلبة المسجلون بالكلية في عام ١٤٢١/ ١٤٢٢هـ الموافق (٢٠٠٢م)، والبالغ عددهم ١٨٩ طالباً.

و – أداة البحث :

قام الباحث بتعميم استبانه أداةً لجمع البيانات الميدانية اللازمة للدراسة، وبلغ عدد الاستبانات الموزعة (١٨٩) استبانه، وتم استعادتها كاملة ١٠٠٪، وبعد مراجعة وتدقيق الاستبانات تبين أن هناك تسع استبانات غير مكتملة الإجابات تم استبعادها، وبذلك يكون عدد الاستبانات التي خضعت للتحليل في هذه الدراسة (١٨٠) استبانه، وبنسبة ٥٩٪ من أفراد مجتمع الدراسة.

٤ – أسلوب تحليل البيانات واستخراج النتائج :

قام الباحث بإدخال الإجابات الواردة بالإستبانات الصحيحة في الحاسب الآلي ، واستخدام طريقة الاتساق الذاتي، واستخراج التكرارات والنسب المئوية، والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري وتحليل التباين الأحادي وغيرها من خلال استخدام الحزمة الإحصائية (SPSS) .

ملخص الدراسة الميدانية التطبيقية:

أولاً– الخصائص الديموغرافية لمجتمع الدراسة:

توصلت الدراسة إلى أن غالبية أفراد العينة المبحوثة في الفئة العمرية من (٣٠–٤٠) سنة بنسبة بلغت ٥٩,٤٪.

أ – ٩٠٪ من أفراد العينة المبحوثة من المتزوجين.

ج – حظي قسم العلوم الشرطية بالنسبة الأكبر من أعداد الملتحقين فيه بالأكاديمية حيث تصل نسبة الطلاب إلى ٤١,١٪ من المجموع العام.

د – نسبة ٦٥٪ من المبحوثين يعملون في القطاع العسكري.

هـ – الدخل الشهري تبين أن ٤٤,٩٪ دخلهم من ٦٠٠٠ – ٩٠٠٠ ريال بمتوسط ٧٥٠٠ ريال.

و – مدة خدمة المبحوثين تتراوح ما بين ٥–١٠ سنوات وبنسبة ٤٣,٣٪.

ز – درجة تعلم اللغة الإنجليزية لدى أفراد العينة المبحوثة **بنسبة بلغت ٤٣,٩٣٪.**

ثانياً – بيانات تتعلق باستخدام الحاسوب :

١ – أظهرت نتائج الدراسة أن هناك غالبية كبيرة من أفراد العينة المبحوثة وصلت الى ٩٢,٧ ٪ تمتلك جهاز حاسب آلي.

٢ – غالبية أفراد مجتمع البحث ٩٧,٢٪ لديهم معرفة باستخدام الحاسوب.

٣ – نسبة ٨١٪ من أفراد مجتمع البحث تلقوا دراسات في الحاسب الآلي.

٤ – أوضحت نتائج الدراسة فيما يتعلق بمدة استخدام الحاسوب أن غالبية كبيرة بلغت نسبتها ٩٠٪ من أفراد مجتمع البحث هم من حديثي العهد باستخدام الحاسوب وانحصرت المدة ما بين (سنة إلى أربع سنوات) فقط.

ثالثاً – بيانات تتعلق باستخدام الإنترنت:

١ – ٩٨,٢٥ ٪ من أفراد مجتمع البحث يستخدمون الحاسوب استخداماً متنوعاً و ٤٥,٤٥٪، استخداماً عاماً، و ٣٠٪، استخداماً أكاديمياً.

٢ – ٩٥ ٪ من أفراد مجتمع البحث يعتبر الاشتراك في الإنترنت الركيزة الأساسية للحصول على خدمات الإنترنت التي تقدم من خلال متعهدي الخدمة في المملكة العربية السعودية.

٣ – ٨٩,٩ ٪ من أفراد مجتمع البحث يستخدمون الإنترنت.

٤ – ٥٦,٧ ٪ من مجتمع البحث تلقوا تعليماً وتدريباً على استخدام الإنترنت ونسبة الذين دربوا أنفسهم ذاتياً أو بمعاونة الأصدقاء ٤٢,٣٪.

٥ – دلت نتائج الدراسة فيما يتصل بالمجالات أو الأغراض التي يهتم بها أفراد مجتمع الدراسة، أن المهتمين

بالبريد الإلكتروني نسبة ٢٦,٨٪، وسجل المهتمون بالبحث العلمي ١٧,٨٪، والمهتمون بالتصفح وزيارة المواقع ١٢,٨٪، والذين سجلوا اهتماماً بالمحادثة ١١,٧٪، والمهتمون بالمجال التسويقي ١,١٪.

٦ – أشارت نتائج الدراسة أن هناك غالبية كبيرة بلغت ٩٢,٢٪ من أفراد مجتمع البحث يترددون على المكتبات لاستخدام الإنترنت.

٧ – كشفت نتائج الدراسة وفيما يخص ساعات استخدام الإنترنت أن هناك غالبية ٧٢,٢٥٪ يستخدمون الإنترنت أقل من ساعتين يومياً، وتعتبر هذه المدة غير كافية .

٨ – نسبة الذين يستخدمون الإنترنت في منازلهم بلغت ٢٧,٨٪، وفي أماكن عملهم ٢٥٪ من أفراد مجتمع البحث، وهاتان النسبتان أعلى النسب لأماكن الاستخدام.

٩ – نسبة ٤٣,٣٪ من أفراد مجتمع البحث هم في المستوى المتوسط من حيث مهارة استخدام الإنترنت، ومن هم في المستوى جيد جداً ١٥,٦٪ من إجمالي مجتمع البحث.

١٠– أهم معوقات استخدام الإنترنت في المكتبة عدم الإلمام باللغة الإنجليزية بنسبة ٣٠,٦٪، ويأتي في الدرجة الثانية بطء شبكة الإنترنت كمعوق مهم بنسبة ٢٨,٨٪، وعدم وجود خطة بحث احتلت المرتبة الثالثة بنسبة ١٠٪.

١١– ٩٨,٨ ٪ من أفراد مجتمع البحث يستخدمون محرك البحث ياهو، ونسبة ٩٧,٧٪ يستخدمون محرك البحث جوجل.

١٢– ٦٧,٢ ٪ من أفراد مجتمع البحث يرون أن المعلومات باللغة العربية المتاحة على الإنترنت غير كافية.

١٣– نسبة عالية من أفراد مجتمع البحث ٨٣,٣٥٪ يلمسون صعوبات في التعامل مع أدلة ومحركات البحث على الإنترنت؛ لأنها تحتاج إلى تعليم وكثرة استخدام حتى تتكون ملكة البحث فيها.

١٤– أبانت نتائج الدراسة أن هناك نسبة ٤٢,٨٪ من أفراد مجتمع البحث أقروا بأن عدم دقة المعلومات شكلت لديهم الصعوبة الأكبر، ونسبة ٢٣٪ قالوا إن تداخل المعلومات يشكل صعوبة، ونسبة ١٧,٨٪ شكلت كثرة الإحالات بالنسبة لهم صعوبة.

١٥– ٧٦,٦ ٪ من المبحوثين استخدموا حلقات المناقشة والحوار في إطار البحث العلمي عبر شبكة الإنترنت.

١٦– نسبة ٧٢,٨٪ من أفراد مجتمع البحث يستخدمون البريد الإلكتروني في مجال البحث العلمي.

١٧– مصادر المعلومات الأولية التي حصل من خلالها أفراد مجتمع البحث على المعلومات عن الإنترنت شكلت فيها ما نسبته ٢٨,٨٪ الصحافة والمجلات تلتها نسبة ٢٥٪ من خلال الأصدقاء والزملاء، ونسبة ١٧,٧٪ من خلال الإذاعة والتلفاز.

رابعاً– اتجاهات الطلاب نحو استخدام الإنترنت :

أظهرت نتائج الدراسة أن اتجاهات الطلاب نحو الإنترنت بشكل عام اتجاهات قوية وايجابية مرتبة حسب وزنها النسبي (المتوسط) إلى ثلاث مجموعات، الأولى ذات الاتجاهات القوية ووزنها النسبي من (٣,٥) فأكثر وتتكون من (١٩) فقرة وهي :

حلت فقرة الإنترنت وسيلة فعالة للارتباط بما يجري في العالم في الترتيب الأول مشكلة اتجاهاً قوياً وايجابياً.

وجاءت في الترتيب التاسع عشر فقرة يجب أن تكون ملماً باللغة الإنجليزية لتمكن من استخدام الإنترنت وهذا يشكل اتجاهاً سلبياً.

وأما المجموعة الثانية التي أخذت متوسط الأهمية وتعطي اتجاهاً إيجابياً متوسطاً فهي الفقرات التي تقع في الوزن النسبي من (٢,٥) إلى (أقل من ٣,٥) وهي الفقرات من ٢٠- ٢٨.

حيث شكلت فقرة الإنترنت يساعد على الاتصال بمختصين للاستفادة منهم الترتيب العشرين. أما الترتيب الثامن والعشرون الذي رصدته فقرة الإنترنت يؤدي إلى الميول الثقافية الغربية عبارة عكسية أوضحت بأنه لا يؤدي إلى الميول إلى الثقافات الغربية.

وجاءت المجموعة الثالثة التي كانت الفقرات قليلة الأهمية ووزنها النسبي أقل من ٢,٥ بلغت الترتيب التاسع والعشرين فقرة الإنترنت وسيلة من وسائل الفساد وهذه عبارة عكسية.

خامساً - الفروق وفق المتغيرات الديموغرافية :

أظهرت النتائج وجود فروق ليست ذات دلالة إحصائية لمجموع اتجاهات الطلاب نحو استخدام الإنترنت تعزى إلى العمر، المهنة، مدة الخدمة، الدخل الشهري، معرفة اللغة الإنجليزية، التخصص الدراسي، حيث لم تصل إلى مستوى الدلالة (٠,٠٥ ٪) المقبولة إحصائيا في العلوم الاجتماعية.

توصيات الدراسة:

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة قدم الباحث عدداً من التوصيات التي يؤمل أن تفيد المسئولين والمهتمين بموضوع الدراسة وهي:

١ - زيادة الاهتمام بعقد الدورات التأهيلية والتدريبية بصفة دورية للطلاب والمستخدمين لشبكة الإنترنت لتنمية قدراتهم ومهاراتهم، وتعريفهم بالمجالات الجديدة للإنترنت للاستفادة منها على الوجه الأمثل.

٢ - ضرورة التوسع في عقد الندوات وإعداد المحاضرات وتنظيمها وإصدار النشرات عن شبكة الإنترنت واستخداماتها وفوائدها لخلق وعي بأهميتها.

٣ - تضمين المناهج والبرامج التعليمية في كلية الدراسات العليا بالأكاديمية لمقرر دراسي عن استخدام الإنترنت كمتطلب لكل الطلاب أسوة بمادة أساليب وطرق البحث.

٤ - استخدام خط الاتصال المباشر الدائم(Leased line) بدلاً من (Dial up) المعمول به حالياً وذلك لرفع سوية الشبكة وزيادة كفايتها وسرعتها عن طريق تأمين خادم (Server) مناسب.

٥ - زيادة عقد دورات تدريبية خاصة لتعليم اللغة الإنجليزية للطلبة بغرض رفع كفاية الأداء لديهم.

٦ - تفعيل النشر على شبكة الإنترنت وذلك من خلال نشر الكتب ونتائج الأبحاث التي تصدرها وتعدها الأكاديمية لزيادة الحصيلة المنشورة باللغة العربية.

٧ - التعريف بالمواقع البحثية المهمة التي تدخل ضمن مجالات عمل الأكاديمية ويحتاج إليها الطلاب وإعداد القوائم المتخصصة لهذه المواقع (Site) ؛ لتسهيل عملية الدخول إليها.

٨ - توفير الكوادر البشرية المتخصصة في الإنترنت لمساعدة الطلاب في اختيار محركات وأدلة البحث التي تتناسب وأبحاثهم في المكتبة.

٩ - التوسع في استخدام شبكة المعلومات العالمية وتوفيرها في مكاتب أعضاء هيئة التدريس لدوام التواصل مع الطلاب من خلال الشبكة.

١٠- تطوير وتحديث موقع الأكاديمية على شبكة الإنترنت بما يتناسب وحجم التطور العلمي والبحثي الذي شهدته.

١١- زيادة المدة الزمنية المتاحة لاستخدام الإنترنت بالنسبة للطلاب والباحثين.